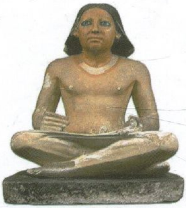
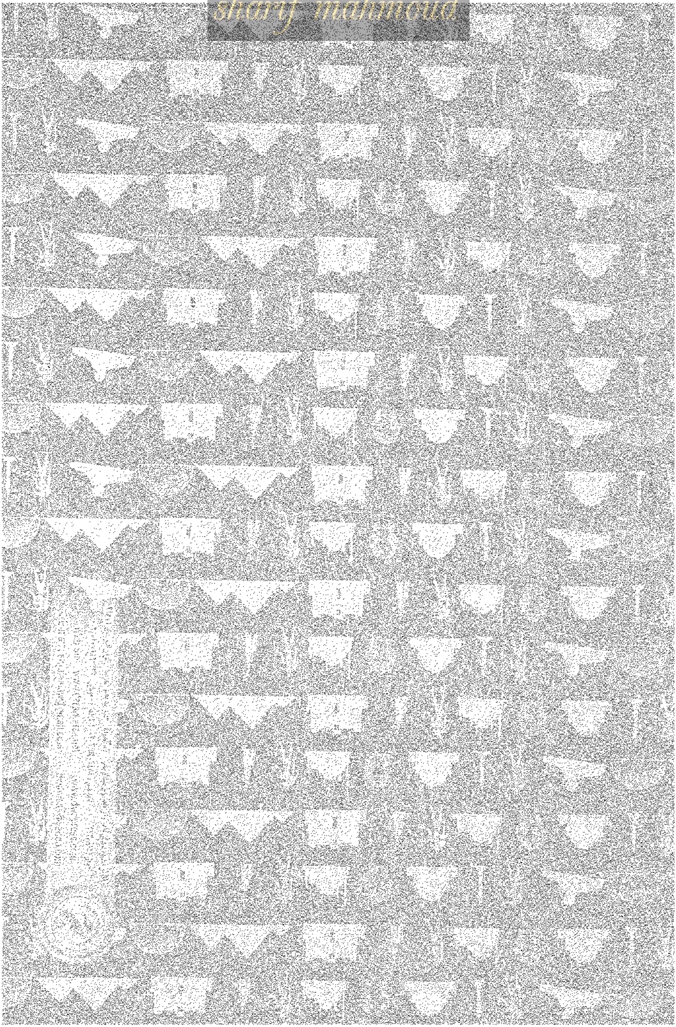
المكتبات عند القدماء المصريين





تليفاكس: ٥٤٠٤٤٨٠ - الإسكندرية

دكتورة
نجلاء محمد جابر مرسى
قسم المكتبات - جامعة القاهرة



sharif mahmoud

المكتبات عند القدماء المصريين

دكتورة

نجلاء محمد جابر مرسى

قسم المكتبات- جامعة القاهرة

الطبعة الأولى

2015م

الناشــر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس : 5404480 - الإسكندرية

sharif mahmoud

مقدمة:

لقد دلت الحفريات والتنقيب عن الآثار أن أولى المكتبات ظهرت قديماً قبل الميلاد في منطقة ما بين النهرين في العراق وفي وادي النيل.

ولقد اختلف مفهوم المكتبة وتطور مدلولها عبر العصور، وذلك لأن المكتبات القديمة لم تكن كالتي نراها هذه الايام من حيث تعداد أنواعها ومقتنياتها وطرق تنظيمها وخدماتها فالسومريون في منطقة ما بين النهرين سموها بيت اللوحات الكبير لأنها مليئة بالألواح الطينية. أما الفراعنه فقد أطلقوا عليها قاعة كتابات مصر ومكان إنعاش الروح. وإذا انتقلنا إلى اليونان لوجدنا كلمة bibliotheca للدلالة على المكتبة، والكلمة تعني المكان الذي توضع فيه الكتب، ولا تزال الكلمة شائعة في فرنسا والدول التي تتكلم اللاتينية. أما الرومان فقد استعملوا كلمة libri وتعني الكتاب نفسه ومنها جاءت كلمة library والتي تعني مكتبة للبحث والمطالعة. وتعتبر كلمة مكتبة حديثة في العالم العربي ولم تستخدم إلا في القرن التاسع عشر فقد استخدم العرب كلمة دار وكلمة خزانة للدلالة على المكتبة.

أما أشهر المكتبات في بلاد ما بين النهرين هي تلك التي وجدت في المعبد الرئيسي بمدينة كلش والتي تسمى مكتبة تللو حيث ضمت أكثر من 30 ألفاً من الألواح الطينية. كذلك وجدت في معابد مدن أور ونيبور وغيرها حجرات لحفظ الألواح الطينية المسجل عليها أخبار الآلهة والأحداث التاريخية والملاحم الشعرية والسحر والأساطير وغيرها. ولقد كانت مكتبات الحضارة البابلية والآشورية

كالمكتبات السومرية لا تتعدى كونها دوراً للمحفوظات والسجلات. وكانت هذه المحفوظات ترتب موضوعياً في كثير من الأحيان أو حسب أحجامها. أما المشرف على المكتبة فقد كان كاهناً عالي المرتبة في مكتبات المعابد ومن أبناء العائلات النبيلة في مكتبات القصور. ومن أشهر المكتبات في بلاد النهرين وأعظمها مكتبة آشور بانيبال الذي لقب نفسه بـ عناية الحاكم الآشوري المثقف آشور بانيبال ملك العالم وملك الآشوريين، مكتبة القصر الآشوري، مكتبة قصر آشور بانيبال، وقد اختلف العلماء حول مقدار مقتنياتها حيث قال البعض بأنها 1000 رُقم طيني ، ويذهب البعض بأنها أكثر من ذلك، ومن الثابت أن الملك آشور بانيبال قد جمع في هذه المكتبة كل ما وجده في القصور الملكية لأجداده من الملوك السابقين وأضاف إليها كل ما استطاع جمعه في عصره وحفظ فيها الآف الألواح الطينية التي تمثل تراث حضارات ما.

المعلومات التي وصلتنا عن مكتبات مصر القديمة لا تكفي لتكوين صورة كاملة عن مقتنياتها وتنظيمها فإن المصادر المختلفة تشير إلى وجود مكتبة في الجيزة حوال عام 2500ق.م. كما أسس رمسيس الثاني مكتبة في طيبة تضم حوالي عشرين ألفاً من ورق البردي وكان ذلك حوالي عام 1250ق.م. وكانت لفائف البردي تحفظ عادة مطوية في جرار فخارية أو اسطوانات معدنية وعليها كلمات تدل على محتوياتها كما كانت لفائف البردي أحياناً أخرى توضع مصفوفة على الرفوف.

دلت الحفريات والتنقيب عن الآثار أن أولى المكتبات ظهرت قديماً قبل الميلاد في منطقة ما بين النهرين في العراق وفي وادي النيل.

لقد اختلف مفهوم المكتبة وتطور مدلولها عبر العصور، وذلك لأن المكتبات القديمة لم تكن كالتي نراها هذه الايام من حيث تعداد أنواعها ومقتنياتها وطرق تنظيمها وخدماتها فالسومريون في منطقة ما بين النهرين سموها بيت اللوحات الكبير لأنها مليئة بالألواح الطينية. أما الفراعنه فقد أطلقوا عليها قاعة كتابات مصر ومكان إنعاش الروح. وإذا انتقلنا إلى اليونان لوجدنا كلمة bibliotheca للدلالة على المكتبة، والكلمة تعني المكان الذي توضع فيه الكتب، ولا تزال الكلمة شائعة في فرنسا والدول التي تتكلم اللاتينية. أما الرومان فقد استعملوا كلمة libri وتعني الكتاب نفسه ومنها جاءت كلمة library والتي تعني مكتبة للبحث والمطالعة. وتعتبر كلمة مكتبة حديثة في العالم العربي ولم تستخدم إلا في القرن التاسع عشر فقد استخدم العرب كلمة دار وكلمة خزانة للدلالة على المكتبة.

أما أشهر المكتبات في بلاد ما بين النهرين هي تلك التي وجدت في المعبد الرئيسي بمدينة كلش والتي تسمى مكتبة تللو حيث ضمت أكثر من 30 ألفاً من الألواح الطينية. كذلك وجدت في معابد مدن أور ونيبور وغيرها حجرات لحفظ الألواح الطينية المسجل عليها أخبار الآلهة والأحداث التاريخية والملاحم الشعرية والسحر والأساطير وغيرها. ولقد كانت مكتبات الحضارة البابلية والآشورية كالمكتبات السومرية لا تتعدى كونها دوراً للمحفوظات والسجلات. وكانت هذه المحفوظات ترتب موضوعياً في كثير من الأحيان أو حسب أحجامها. أما المشرف على المكتبة فقد كان كاهناً عالي المرتبة في مكتبات المعابد ومن أبناء العائلات النبيلة في

مكتبات القصور. ومن أشهر المكتبات في بلاد النهرين وأعظمها مكتبة آشور بانيبال الذي لقب نفسه بـ عناية الحاكم الآشوري المثقف آشور بانيبال ملك العالم وملك الآشوريين، مكتبة القصر الآشوري، مكتبة قصر آشور بانيبال، وقد اختلف العلماء حول مقدار مقتنياتها حيث قال البعض بأنها 1000 رُقم طيني، ويذهب البعض بأنها أكثر من ذلك، ومن الثابت أن الملك آشور بانيبال قد جمع في هذه المكتبة كل ما وجده في القصور الملكية لأجداده من الملوك السابقين وأضاف إليها كل ما استطاع جمعه في عصره وحفظ فيها الآف الألواح الطينية التي تمثل تراث حضارات ما بين النهرين في جميع فروع المعرفة وكانت المكتبة مفهرسة ومنظمة بصورة جيدة.

المعلومات التي وصلتنا عن مكتبات مصر القديمة لا تكفي لتكوين صورة كاملة عن مقتنياتها وتنظيمها فإن المصادر المختلفة تشير إلى وجود مكتبة في الجيزة حوال عام 2500ق.م. كما أسس رمسيس الثاني مكتبة في طيبة تضم حوالي عشرين ألفاً من ورق البردي وكان ذلك حوالي عام 1250ق.م. وكانت لفائف البردي تحفظ عادة مطوية في جرار فخارية أو اسطوانات معدنية وعليها كلمات تدل على محتوياتها كما كانت لفائف البردي أحياناً أخرى توضع مصفوفة على الرفوف.

الفصل الأول

القدماء المصريين قناع
توت عنخ آمون الذهبي

حضارة قدماء المصريين أو الحضارة الفرعونية هي الحضارة التي قامت في مصر تحت حكم الأسر الفرعونية المختلفة منذ فجر التاريخ وحتي الغزو الروماني لمصر.

موجز تاريخ مصر القديم

إقرأ أيضا تاريخ مصر

اتفق المؤرخون الحديثون على تقسيم تاريخ مصر القديمة الفرعونية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

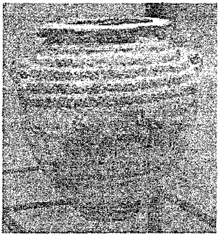
الدولة القديمة والوسطى والحديثة. وتمثل كل دولة من هذه الدول عصراً من عصور الازدهار والتقدم، وتضم عدداً من الأسر الفرعونية التى حكمت مصر الموحدة. يترأس هذه الدول أشهر ثلاثة ملوك قاموا بتوحيد شطرى البلاد وهمنارمر مينا منتوحتب الثاني وأحمس الأول. وقد سبق عصر الدولة القديمة عهد عتيق شمل الأسرتين الأولى والثانية، أرست فيه أسس الحضارة المصرية ودعمت خلاله اركان الدولة المصرية. كذلك مرت البلاد بعد كل دولة من تلك الدول بعهد ضعف سيطر فيه الأجانب على جزء من البلاد وقرب نهاية التاريخ الفرعونى تمتعت البلاد بعصر نهضة يعرف بالعصر الصاوى، حاول فيه المصريون أن ينهضوا ببلدهم من جديد ويحيوا مجدها القديم، وقد قسم المؤرخون هذا العصر الفرعونى إلى واحد وثلاثين أسرة حاكمة.

ويمكن تقسيم هذا العصر إلى العصور الإتية:

عصر العتيق:

نص كتاب مصر في العصر العتيق الاسرتان الاولي والثانيه انقر على الصورة للمطالعة.

ويبـــدأ حـــوالى عـــام3200 ق.م .ويشـــمل الأســـرة الأولى والثانية ومن أهم ملوكها الملك "مينا" موحد القطرين وتم فيه وضع أسس الدولة الموحدة وعاصمتها"منف".



A typical Naqada II jar decorated with gazelles. (Predynastic Period).

يضم هذا العصر الأسرتين الأولى والثانية، وقد أطلق عليه المؤرخون أسماء عدة، منها: "العصر العتيق"، على اعتبار أنه أقدم العصور التاريخية المصرية؛ وسُمَّى أيضاً "عصر بداية الأسرات"، على اعتبار أنه يضم الأسرتين اللتين يبدأ بهما التاريخ المُدوّن لمصر. وقد سمى أيضاً: "عصر الأسرات المبكر"، إشارة إلى الأسباب التى ذكرناها مع التسميات السابقة. وأُطلق عليه أيضاً: "العصر الثِّينى، "نسبةً إلى قرية "ثِنِى" التى تقع بالقرب من "أبيدوس" (العَرّابة المدفونة، مركز البَلّينا، محافظة سوهاج)، على اعتبار أن معظم الآراء ترجح أن الأسرة التى نجحت فى توحيد قطرى مصر قد خرجت من هذه القرية.

عصر الدولة القديمة

المقال الرئيسي: الدولة المصرية القديمة.

ويبـــدأ حــــوالى2780 ق.م. وتشــــمل الأســـــر الثالثة والرابعة والخامسة والأسرة السادسةومن أهم ملوكها الملك "زوسر" صاحب أول هرم فى مصر واول استخدام للحجر فى مصر ومن ملوكها أيضا خوفو-خفرع- منكاورع. وشهدت البلاد فى هذا العصر ازدهار فى كافة مجالات الحضارة المعمارية والعقائدية وبدأ ظهور عقيدة الشمس منذ أوائل الأسرة الخامسة.



The Narmer Palette depicts the unification of the Two Lands.

عصر الاضمحلال الأول

ويبـــدأ حــــوالى2281 ق.م . ويشــــمل الأســـــر السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة، فبعد انتهاء أسرة مصرية سادسة انفلت زمام الحكم من يد الملك وساد الانحلال السياسى والتفكك الإجتماعى ورجعت البلاد إلى ما كانت عليه قبل الوحدة من انقسام وتفرق وقامت حرب أهلية وانتشر فيه الفقر والبؤس وتلاشت السلطة المركزية.



Menkaura and his consort Queen Khamerernebty II

عصر الدولة الوسطى

المقال الرئيسي :الدولة المصرية الوسطى

ويبدأ حوالى2134 ق.م . ويشمل الأسرتان الحادية عشر والثانية عشر، بعد نجاح الملك "منتوحتب الثاني" فى توحيد البلاد مرة آخرى وظهر نجم مدينة "طيبة" الأقصر كعاصمة للبلاد حتى أنشأ الملك " أمنمحات الأول" عام 2000 ق.م "ايثت تاوى" اللشت الحالية عاصمة لمصر فى الفيوم. وشهد هذا العصر تقدم فى العمارة والفن والأدب ونهضة شاملة للحضارة المصرية.

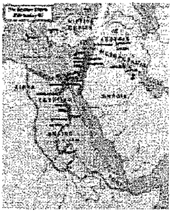


Mentuhotep II, the founder of the Middle Kingdom

عصر الاضمحلال الثاني

ويبدأ حوالى 1778 ق.م .ويشمل الأسر الثالثة عشر والرابعة عشروالخامسة عشر والسادسة عشر، فى نهاية الدولة الوسطى دخلت مصر فى فترة ضعف حيث قوى نفوذ حكام الأقاليم وتقاتلهم وادى هذا إلى أعطاء الفرصة لقبائل صغيرة أطلق عليها المؤرخ مانيتون اسم "الهكسوس" الذين استخدموا ضد

مصر العجلات الحربية واخضعوا شمال البلاد لسيطرتهم لمدة مائة عام وجعلوا "أواريس" صان الحجرعاصمة لهم وسيطر النوبيون على الجزء الجنوبى للبلاد. ولم يبقى من مصر المستقلة سوى جزء صغير يحكمها فيه ملوك "طيبة" الأقصر.



The maximum territorial extent of Ancient Egypt (15th century BC)

عصر الدولة الحديثة

المقال الرئيسي: الدولة المصرية الحديثة

ويبدأ حوالى 1570 ق.م .ويشمل الأسر الثامنة عشر والتاسعة عشروالعشرين. فبعد ظل المصريون يعتقدون لقرون طويله أن العالم هو مصر ومصر هى العالم ، و أن ما دون ذلك هو بخور يأتى من النوبة و أخشاب تاتى من فينيقيا أفاق المصريون على صدمة غزو الهكسوس لشمال البلاد ، قام "أحمس الأول" و هو مؤسس الدولة الحديثة بعد قضائه على الهكسوس والنوبيين وإعادة الوحدة للبلاد بوضع حجر الأساس للامبراطورية المصرية و أصبح المصريون أكثر صرامه و عدوانيه تجاه العالم الخارجى و اهتمت مصر بإنشاء جيش قوى منظم ساعد على أقامة هذه الامبراطورية وإمتدت الحدود المصرية شمالا حتى أعالى الفرات وجنوب الناضول

وجنوبيا إلى وسط افريقيا ومن أهم ملوك هذه العصر "أمنحتب الثالث" نفرتيتي- اخناتون ـ حتشبسوت ـ توت عنخ أمون ـ رمسيس الثاني- رمسيس الثالث. وكان هذا العصر عصر إنفتاح على العالم وشهدت مصر أزهى عصورها فى شتى مجالات الحضارة معماريا وزراعيا وأدبيا وعسكريا وأصبحت مصر تنعم بالرخاء وهذا ما يسجله آثار الدولة الحديثة فى الأقصروأبي سمبل.



Four colossal statues of Ramesses II flank the entrance of his temple Abu Simbel.

العصر المتأخر (عصر النفوذ الأجنبى)

ويبدأ حوالى1085 ق.م . ويشمل الأسرات الحادية والعشرين وحتى الحادية والثلاثين، وفيها انقسمت مصر إلى دويلات استخدمت فيها الأسرة العشرون الجنود الليبيين المرتزقة حتى تمكن أحدهم وهو "شيشنق الأول" اعتلاء عرش مصر وإنشاء الأسرة الثانية والعشرين وانفصلت النوبة عن مصر حتى تمكن ملوك النوبة من الاستيلاء على مصر كلها تحت حكمهم حوالى 720 ق.م . وأسس ملكهم الملك " بعنخي" أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين حتى دخل مصر الملك "أشور بانيبال" الآشورى حتى طردهم الملك

"ابسماتيك الأول" واعلن نفسه ملكا على مصر 663 ق.م وهو ما يعرف بالعصر الصاوي وحاول إعادة أمجاد الفراعنة الأوائل، حتى غزا الملك "قمبيز" مصر سنة 525 ق.م . وضم مصر إلى الامبراطورية الفارسية وحطم العاصمة " طيبة " وقامت ثورات ضد الفرس عدة مرات حتى تمكن المصريون بقيادة اميريتى من طردهم حتى عاد الفرس مرة أخرى عام341 ق.م. حتى دخلها الاسكندر الأكبر عام332 ق.م . وضمها إلى ملكه. وبذلك ينتهى العصر الفرعونى ويبدأ العصر البطلمى.

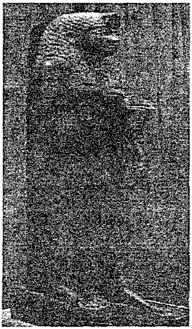
خط زمني

– منذ 250 الف سنة ق.م. في عصور ما قبل التاريخ كانت مصر موئلا للإنسان البدائي الذي كان يصيد الحيوانات حيث كانت المنطقة في أقصي الجنوب عند النوبة غنية بالحشائش.

– منذ 25 ألف سنة ق.م. تعرضت هذه المنطقة للتصحر الذي توقف بهطول الأمطار مما أوجد مجتمعات زراعية بمصر الوسطي والدلتابالشمال. وقامت أول حضارة مصرية في منطقة البداري بالصعيدتقوم علي الفلاحة والصيد وتربية الطيور والمواشي وصناعة الفخاروالتعدين.

– في سنة 4000 ق.م. ظهرت نظم الري وأصبحت مصر ممالك قبلية صغيرة وكان الوجه القبلي يرمزله بالتاج الأبيض و الوجه البحري يرمز له بالتاج الأحمر ووحد الملك مينا من الجنوب القطرين منذ 3100سنة ق.م وجعل العاصمة منف (ممفيس). وهذا التوحيد جعل مصر بلدا آمنا وعاصمتها ممفيس مما جعلها ركيزة وباكورة الحضارة الإنسانية بلا منازع وهذا يتضح من

خلال سجلاتها الكثيرة الذي حافظ عليها مناخها الجاف لتكون رسالة محفوظة عبر الأزمان المتلاحقة وما نقش علي جدران أوابدها العظيمة وماكتب هلي ورق البردي.



Cleopatra VII adopted the ancient traditions and language of Egypt

وهناك تاريخ دقيق مثبت لمسيرة هذه الأمة عبر الأزمان والقرون فنجد ، مثل ذلك الذي كتبه مانيتو في العهد البطلمي:

- تقسيم تاريخ مصر لثلاثين أسرة حتي دخول الإسكندر الأكبر مصر وهذا التاريخ فيه ثغرات أغفلت فيها فترات حكم العديد من حكام مصر. انظر: مانيتو.

- ظل حاكم مصر يضفي عليه الألوهية منذ توحيد مصر عام 3200 سنة ق.م. وحتي دخول الرومان مصر واطلق عليه لقب فرعون.

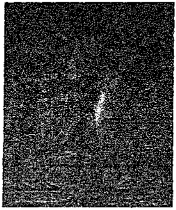
- 2772ق. م. عرف المصريون أن تقويم السنة 365 يوم.

- 2700ق.م. الملك زوسر شيد هرمه المدرج.
- 2560ق.م. بني الملك خوفو الهرم الأكبر الذي ظل أعلى بناية في العالم حتي القرن 19.
- 2050ق.م أصبحت طيبة أثناء الدولة الوسطى عاصمة مصر.
- 2000ق.م. مصر روضت القطط لإصطياد الثعابين والتقدم فيالفلك والتنبؤ بميعاد الفيضان.
- 1786ق.م .الهكسوس الذين قدموا إلى مصر كتجار وأجراء في القرن المضطرب السابق، يحتلون شمال مصر ويستقدمون الحصانوالعجلة وقوي نفوذهم بسبب المشاكل الداخلية بمصر.
- 1600ق.م. ثورة ضد الهكسوس في مصر العليا إنتشرت بكل أنحاء مصر.
- 1560ق.م .أحمس طرد الهكسوس وباقي القبائل الآسيوية، مؤسسا الدولة الحديثة وأصبحت مصر دولة إستعمارية وقد أدخلوا فنون حرب الهكسوس في الجيش وبلغوا أعالي الفرات.
- 1560- 1259ق م خروج موسى و اليهود مع فلول الهكسوس والآسيويين من مصر.
- 1500ق.م. استعمل الشادوف.
- 1375ق.م . دعوة التوحيد إخناتون ونقل العاصمة من طيبة لتل العمارنة ومنع عبادة الشمس.

- 750ق.م . الملك كاشتا ملك النوبة يستولي على مصر ويصبح فرعون بها.
- 671ق.م .الآشوريون يحتلون مصر.
- 661ق.م .المصريون بقيادة ابسماتيك الأول "يطردون الآشوريين.
- 525ق.م .الفرس يغزون مصر.
- 405ق م .المصريون بقيادة اميريتى يطردون الفرس.
- 343ق.م .الفرس يحتلون مصر مرة ثانية حتي 332 ق م.
- 332ق.م .الإسكندر الأكبر يهزم الفرس فى مصر ويعلن نفسه فرعونا ويبنى مدينةالإسكندرية.
- 305ق.م .بداية حكم البطالمة.
- 30ق.م .كليوباترا تنتحر - نهاية حكم البطالمة وبداية حكم الرومان.
- 330م حكم البيزنطيين الروم لمصر.
- 639م دخول الإسلام مصر بعد 20 سنة من ظهوره بمكة.



.The Fayum mummy portraits epitomize the meeting of Egyptian and Roman cultures.



رسومات ست حورس في أبو سمبل

التاريخ

لم تكن حضارة قدماء المصريين فلتة حضارية في عمر الزمن. لأن حضارتهم كانت متفردة بسماتها الحضارية وإنجازاتها الضخمة وأصالتها. وهذا ما أضفي عليها مصداقية الأصالة بين كل الحضارات. مما جعلها أم حضارات الدنيا بلا منازع. وهذه الحضارة أكثر مكوثا وانبهارا وشهرة بين حضارات الأقدمين. فلقد قامت حضارة قدماء المصريين The Ancient Egyptians Civilization بطول نهر النيل بشمال شرق أفريقيا منذ سنة 5000 ق.م. إلي سنة 30 ق. . وهي أطول حضارة استمرارية بالعالم القديم، ويقصد بالحضارة المصرية القديمة من الناحيةالجغرافية تلك الحضارة التي نبعت بالوادي ودلتا النيل حيث كان يعيش المصريون القدماء. ومن الناحية الثقافية تشير كلمة الحضارة للغتهم وعباداتهم وعاداتهم وتنظيمهم لحياتهم وإدارة شئونهم الحياتية والإدارية ومفهومهم للطبيعة من حولهم وتعاملهم مع الشعوب المجاورة.

ويعتبر نهر النيل الذي يدور حوله حضارة قدماء المصريين ينبع من فوق هضاب الحبشة بشرق أفريقيا ومنابع النيل بجنوب السودان متجها منالسودان شمالا لمصر ليأتي الفيضان كل عام ليغذي التربة بالطمي. وهذه الظاهرة الفيضانية الطبيعية جعلت إقتصاد مصر في تنام متجدد معتمدا أساسا علي الزراعة. ومما ساعد عل ظهور الحضارة أيضا خلو السماء من الغيوم وسطوع الشمس المشرقة تقريبا طوال العام لتمد المصريين القدماء يالدفء والضوء. كما أن مصر محمية من الجيران بالصحراء بالغرب والبحر من الشمال والشرق ووجود الشلالات (الجنادل) جنوبا بالنوبة على النيل مما جعلها أرضا شبه مهجورة. وفي هذه الأرض ظهر إثنان من عجائب الدنيا السبع. وهما الأهرامات بالجيزة ومنارة الإسكندرية. وكانت نبتة أقدم موقع أثري بالنوبة. وكان منذ 6000 سنة منطقة رعوية تسقط بها الأمطار الصيفية ترعي بها الماشية حتي منذ 4899 سنة عندما إنحسرت عنها الأمطار. اكتشف بها دوائر حجرية وقد قام بالمنطقة مجتمعات سكانية من بينها قرية كان يمدها 18 بئر بالمياه تحت سطح بلاطات بناء ميجوليثي كبير عبارة عن تمثال يشبه بقرةنحت من صخرة كبيرة. وكانت تتكون القرية من 18 بيتا. وبها مدافن كثيرة للمواشي حيث عثر علي هياكلها في غرف من الطين. وهذا يدل علي أن السكان كانوا يعبدون البقر. ووجد مواقد كانت تستعمل. وعظام غزلان وأرانب برية وشقف فخار وقشر بيض نعام مزخرف. لكن لايوجد مدافن أو مخلفات بشرية في نبتة. وهذا يدل أن البدو كانوا رحلا يأتون لنبتة كل صيف حيث الماء والكلأ. والزواج والتجارة وإقامة الطقوس الدينية.

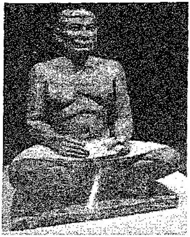


The pharaoh was usually depicted wearing symbols of royalty and power.

في مجال علوم الفلك نجد أن قدماء المصريين قد أقاموا أقدم مرصد في العالم وقبل عصر بناء الأهرامات منذ فترة زمنية حسب الشمس والنجوم حيث أقاموا الشواهد الحجرية ميجاليثات .Megaliths وهي عبارة عن دائرة من الحجر أقيمت منذ 7000 سنة في الصحراء الجنوبية بمصر. قبل إقامة مواقع الميجاليثات بإنجلترا وبريطانيا وأوربا بألف سنة كموقعستونهنج الشهيرة.

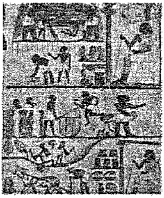
وقد أكتشف موقع نبتة منذ عدة سنوات ويتكون من دائرة حجرية صغيرة. وبه عظام ماشية وخمس خطوط من الحجارة المائلة والبلاطات الحجرية التي كشف عنها مائلة على بعد ميل من الموقع وبعضها بإرتفاع 9 قدم. وكل بلاطة مدفونة بالتربة وهي فوق صخرة

منبسطة. وهذا الموقع يتجه للجهات الأصلية الأربعة ويحدد الإعتدال الشمسي. وبالموقع دائرة حجرية صغيرة بها عظام الماشية وخمسة خطوط من ميجوليثات مائلة. وكان هذا الموقع قد بني علي شاطيء بحيرة يتجمع بها ماء المطر صيفاً وقتها. حيث كانت قطعان المواشي تُقاد إلى نبتة في العصر الحجري الحديث منذ 10 آلاف سنة. وكان البدو الرعاة يفدون إليها في موسم أمطار حتي منذ 4800 سنة حيث إنحسرت الرياح الموسمية باتجاه جنوب غلاب لتصبح المنطقة جرداء. وكانت هذه الدائرة الصغيرة قطرها 12 قدم تضم أربعة مجموعات من البلاطات القائمة حيث يمكن رؤية الأفق. وكانت مجموعتان تتجها ناحية الشمال والجنوب والمجموعتان الأخريتان تتجها ناحية أفق الإعتدال الشمسي الصيفي. وسلالة هؤلاء بعد 2000 سنة قد نزحوا إلى وادي النيل وأقاموا الحضارة المصرية القديمة ولاسيما بعدما أقفرات هذه المنطقة الرعوية وتغير مناخها. واستقروا سنة 4000 ق.م. بمصر العليا ولاسيما في نيخن القديمة ونقادة وأبيدوس (أنظر: بداري) وهذا الإستقرار المكاني جعل قدماء المصريين يبدعون حضارتهم ومدنيتهم فوق أرضهم. فأوجدوا العلوم والآداب والتقاليد والعادات والكتابات والقصص و الأساطير وتركوا من بعدهم تسجيلات جدارية و مخطوطة على البردي لتأصيل هذه الحضارة المبتكرة. فشيدوا البنايات الضخمة كالأهرامات والمعابد والمقابر التي تحدت الزمن. علاوة علي المخطوطات والرسومات والنقوشات والصور الملونة والتي ظلت حتي اليوم.



وكانوا يعالجون نبات البردي ليصنعوا منه اطماره الرقيقة وكتبوا عليها تاريخهم وعلومهم وعاداتهم وتقاليده لتكون رسالة لأحفادهم وللعالم أجمع. فكانوا يكتبون عليها باللغة الهيروغليفية وهي كتابة تصويرية التي فيها الرمز يعبر عن صورة معروفة. وابتدعوا مفاهيم في الحساب والهندسة ودرسوا الطب وطب الأسنان وعملوا لهم التقويم الزمني حسب ملاحظاتهم للشمس والنجوم. ورغم أن قدماء المصريين كانوا يعبدون آلهة عديدة إلا أن دعوة التوحيد الإلهي ظهرت علي يد الملك إخناتون كسمة عقائدية. كما أنهم أول من صوروابتدع عقيدة الحياة الأخروية. وهذه المفاهيم لم تكن موجودة لدي بقية الشعوب. وبنوا المقابر المزينة والمزخرفة وقاموا بتأثيثها ليعيشوا بها عيشة أبدية. وكانت مصر القوة العظمي بالعالم القديم وكان تأثيرها السياسي في أحيان كثيرة يمتد نفوذه لدول الجوار شرقا في آسيا وغربابأفريقيا. وجنوبا بالنوبة وبلاد بونت بالصومال. وكان قدماء المصريين يطلقون علي أرضهم كيمت Kemet أي الأرض السوداء لأن النيل يمدها بالطمي وكان يطلق عليها أيضا ديشرت Deshret أي الأرض الحمراء إشارة للون رمال الصحراء بهاالتي تحترق تحت أشعة الشمس. وكانت وفرة مياه الفيضان قد جعلهم يقيمون شبكة للري والزراعة وصنعوا القوارب

للملاحة والنقل وصيد الأسماك من النهر. وأعطتهم الأرض المعادن والجواهر النفيسة كالذهب والفضة والنحاس. وكانوا يتبادلون السلع مع دول الجوار. وتاريخ مصر نجده يبدأ منذ سنة 8000 ق.م. في منطقة جنوب شرق مصر عند الحدود السودانية الشمالية الشرقية. وقد جاءها قوم رعاة وكانت هذه المنطقة منطقة جذب حيث كان بها سهول حشاشية للرعي ومناخها مضياف وكان بها بحيرات من مياه الأمطار الموسمية. وآثارهم تدل علي أنهم كانوا مستوطنين هناك يرعون الماشية. وخلفوا من بعدهم بنايات ضخمة في سنة 6000 ق.م.

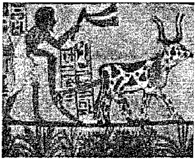


A tomb relief depicts workers plowing the fields, harvesting the crops, and threshing the grain under the direction of an overseer.

وقد بدأت الزراعة في بلدة البداري منذ ستة 5000 ق.م. وكانبالفيوم مستوطنين يزرعون قبل البداري بألف سنة. وكانت مدينة مرميد بالدلتا علي حدودها الغربية منذ سنة 4500 ق.م. وفي مدينة بوتو ظهرت صناعة الفخار المزخرف يختلف عن طراز الفخار في مصر العليا. وكان هناك إختلاف بين المصريين القدماء مابين مصر العليا ومصر السفلي في العقيدة وطريقة دفن الموتي والعمارة . وجاء الملك مينا عام 3100 ق.م. ووحد القطرين

(مصر العليا ومصر السفلي). وكان يضع علي رأسه التاجين الأبيض يرمز للوجه القبلي والأحمر للوجه البحري . وجعل الملك مينا منف Memphis العاصمة الموحدة و كانت تقع غرب النيل عند الجيزة وأبيدوس المقبرة الملكية والتي إنتقلت لسقارة إبان عصر المملكة القديمة. أنظر: أهرام .وكان عدد سكان مصر قبل عصر الأسرات (5000ق.م- 3000ق.م) لايتعدي مئات الالآف وأثناء المملكة القديمة (2575ق.م- 2134 ق.م) بلغ عددهم 2 مليون نسمة وإبان المملكة الوسطي (2040 ق.م- 1640 ق.م) زاد العدد وأثناء المملكة الحديثة (1550 ق.م- 1070 ق.م) بلغ العددمن 3- 4 مليون نسمة. وفي العصر الهيليني (332 ق.م- 30 ق.م) بلغ العدد 7 مليون نسمة. وبعدها دخلت مصر العصر الروماني . وكان المصريون يجاورون النهر. لأنها مجتمع زراعي وكانت منف وطيبة مركزين هامين عندما كانت كل منهما العاصمة. والتعليم والكتابة كان مستقلا في مصر القديمة وكانت الكتابة والقراءة محدودتين بين نسبة صغيرة من الصفوة الحاكمة أو الكتبة في الجهاز الإداري. وكان أبناء الأسرة الملكية والصفوة الحاكمة يتعلمون بالقصر. وبقية أبناء الشعب كانوا يتعلمون في مدارس المعابد أو بالمنزول. وكان تعليم البنات قاصرا علي الكتابة والقراءة بالبيت. وكان المدرسون صارمين وكانوا يستعملون الضرب. وكانت الكتب المدرسية تعلم القراءة والكتابة وكتابة الرسائل والنصوص الأخري. وكانت المخطوطات تحفظ في بيت الحياة وهو دار الحفظ في كل معبد وأشبه بالمكتبة. وكان المتعلمون في مصر القديمة يدرسون الحساب والهندسة والكسور والجمع والطب. ووجدت كتب في الطب الباطني والجراحة والعلاج الصيدلاني والبيطرة وطب

الأسنان. وكانت كل الكتب تنسخ بما فيها كتب الأدب والنصوص الدينية.



Sennedjem plows his fields with a pair of oxen, used as beasts of burden and a source of food.

وكان حجر رشيد قد إكتشف عام 1799 إبان الحملة الفرنسية و قد نقش عام 196ق.م. وعليه ثلاث لغات (الهيروغليفية والديموطقية) القبطية ويقصد بها اللغة الحديثة لقدماء المصريين(والإغريقية). وكان وقت إكتشافه لغزا لغويا لايفسر منذ مئات السنين. لأن اللغتين الأولتين كانتا وقتها من اللغات الميتة. حتي جاء العالم الفرنسي جيان فرانسوا شامبليون وفسر هذه اللغات بعد مضاهاتها بالنص الإغريقي ونصوص هيروغليفية أخري. وهذا يدل علي أن هذه اللغات كانت سائدة إبان حكم البطالمة الإغريق لمصر لأكثر من 150 عاما. وكانت الهيروغليفية لغة دينية متداولة في المعابد واللغة الديموطيقية كانت لغة الكتابة الشعبية والإغريقية لغة الحكام الإغريق. وكان محتوي الكتابة تمجيدا لفرعون مصروإنجازاته الطيبة للكهنة وشعب مصر. و قد كتبه الكهنة ليقرأه العامة والخاصة من كبار المصريين والطبقة الحاكمة. واستطاع شامبليون فك شفرة الهيروغليفية عام 1822 ليفتح أفاق التعرف علي حضارة قدماء المصريين وفك ألغازها وترجمة علومها بعد إحياء لغتهم بعد مواتها عبر القرون.

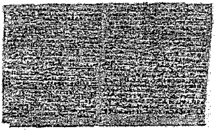
وكانت الهيروغليفية وأبجديتها تدرس لكل من يريد دراسة علوم المصريات. ثم تطورت الهيروغليفية للهيراطقية ثم للديموطقية ثم للقبطية.



The Rosetta stone enabled linguists to begin the process of hieroglyph decipherment.

وكان لقدماء المصريين تقويمهم الزمني منذ مرحلة مبكرة وكان يعتمد علي ملاحظاتهم للشمس والنجوم بالسماء ومواعيد فيضان النيل في كل عام. وكانوا يستعملون تقويمهم في تسجيل الأحداث التاريخية وجدولة أعيادهم وتأريخ القرارات الملكية. وكان أول محاولة لصنع تقويم عام 8000 ق.م. عندما صنع الدوائر الحجرية (أنظر: آفبيري، وستونهنج) في ركن بأقصي جنوب غربي مصر حاليا. وكانت تستخدم لمراقبة النجوم وحركاتها. وقسموا اليوم 24 ساعة (12 نهار و12 ليل) والأسبوع 10 أيام والشهر 3 أسابيع أو 30 يوم. والسنة 12 شهر. وكانت تقسم لثلاثة فصول كل فصل 4 شهور. وكانت السنة تعادل 360 يوم. وكان قدماء المصريين يضيفون بعدها 5 أيام كل يوم من هذه الأيام الخمسة تشير لعيد ميلاد إله. و بهذا تكون السنة الفرعونية كاملة 365 يوم. وهي تقريبا تقارب السنة الشمسية حاليا ماعدا ربع يوم الفرق في كل سنة شمسية ولم يكن يعرفون إضافة يوم كل 4 سنوات.

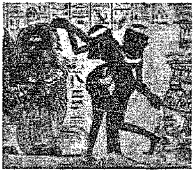
وقــــام قــــدماء المصـــريين بالغديـــد مـــن الأعمـــال الإبداعيــة المبتكــرة والمذهلــة للعــالم ســواء في التحنــيط (مــادة) والموسيقى والنحت والأدب والرسم والعمارة والدراما. وبعد توحيدها أيام مينا أصبحت العقيدة الدينية لها سمات رسمية من التعددية في الآلهة والإلهيات وكانت البيئة لها تأثيرها علي الفكر الديني والعبادات الفرعونية حيث إتخذت الآلهة أشكالا بشرية أو حيوانية أو خليطا منها. وهذه الأشكال جسدفيها قدماء المصريين قوي الطبيعة وعناصرها. وتأليف الأساطير والقصص حول آلهتهم وعالمهم لفهم التداخل المعقد في الكون من حولهم. ولعبت العقيدة الدينية دورا كبيرا في حياتهم وكان لها تأثيرها علي فنونهم وعلي فكرهم عن الحياة الأخروية وفكرة البعث والنشور وعلاقاتهم بحكامهم. وكان الفن التشكيلي كالنحت والرسم بالأبعاد الثنائية علي جدران المعابد والمقابر وأكفان الموتي وتوابيت الموتي وورق البردي. وكان الفنانون المصريون يجسمون الصور الشخصية بملامحها التعبيرية متحطين معدل الزمن والفراغ في هذه الصور اتعبر عن الخلودمن خلال الرسومات الهيروغليفية التي تصاحبها وتكون جزءا من العمل الفني الرائع. وكان يوضع إسم صاحب التمثال علي القاعدة أو بجانبه.



The Edwin Smith surgical papyrus describes anatomy and medical treatments and is written in hieratic.

والأهرامات نجدها تعبر عن عظمةالعمارة لدي قدماء المصريين. وهذه الأوابد الضخمة مقابر لها أربع جدران مثلثة تتلاقي في نقطة بالقمة وهي تمثل التل البدائي أصل الحياة في أساطير الخلق أو تمثل أشعة الشمس القوية. ولقد بنوا حوالي 100 هرم كملاذ وبيت راحة لحكامهم بعد الموت. وكانت المعابد مربعة الشكل باتجاه شرق غرب علي خط شروق وغروب الشمس. وكان قدماء المصريين يعتقدون أن نموذج المعبد الذي يبنيه البشر يمكن أن يكون بيئة طبيعية مناسبة للآلهة. وقد إستفاد الأغريق من قدماء المصريين في النحت والعمارة والفلسفة والإلهيات (أنظر: أمنحتب) . . فلقد كان المصريون القدماء سادة فنون الأعمال الحجرية والمعدنية وصنع الزجاج العادي والملون. وكشف التنقيب عن آثار عصر ماقبل التاريخ بمصر منذ 6000 سنة ق.م. وجود مواقع أثرية علي حدود مصر الجنوبية مع السودان حيث عثر بها علي أماكن دفن وإقامة الأعباد والإحتفالات ومقابر للماشية مما يدل علي تقديسها. وعثر بالمقابر البشرية علي مشغولات يدوية وأسلحة وأوان ترجع لهذه الحقبة مما يدل علي وجود عقيدة ما بعد الموت. وكانت عقيدة قدماء المصريين تقوم علي الشمس ممثلة في عقيدة رع وحورس وآتون وخبري. والقمر ممثلا في عقيدة توت وخونسو والأرض ممثلة في عقيدة جيب. وكانت نوت ربة السماء و شوو تفنوت إلها الريح والرطوبة. وأوزوريس وايزيس حكام العالم السفلي. ومعظم هذه الآلهة دارت حولهم الأساطير. وأصبح رع وآمون بعد إندماجهما يمثلان عقيدة آمون- رع كملك الآلهة.

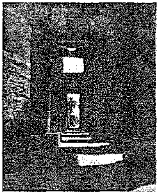
وكان هناك آلهة محلية تعبد خاصة بكل إقليم بمصر.
وكان الملك الكاهن الأكبر يمارس الطقوس في الأعياد والكهنة كانوا يؤدونها في الأيام العادية بالمعابد. وكان عامة الشعب لايدخلونها إلا لخدمتها. وكان المصريون يهتمون بالحياة بعد الموت ويقيمون المقابر ويزينونها ويجهزونا بالصور والأثاث. وكانوا بعد الموت يهتمون بتحنيط (مادة) الميت. وكانوا يضعون في الأكفان التعاويذ والأحجبة حول المومياء. وكانوا يكتبون نصوصا سحرية فوق قماشه أو علي جدران المقبرة وأوراق البردي لتدفن معه. وكانت هذه النصوص للحماية ومرشدا له في العالم السفلي.



The ancient Egyptians maintained a rich cultural heritage complete with feasts and festivals accompanied by music and dance.

وفي مصر القديمة كان الملك هو الحاكم المطلق والقائد الروحي والصلة بين الشعب والآلهة. وكان يعاونه الوزير والجهاز الإداري ويتبعه الكهان. وكان الملك قائد الجيش وقواده وكان الجيش جنوده من المصريين فى عمر الخامسه و العشرين حتى اربعين عاما. وكان الحكم وراثيا بين الأبناء في معظم الوقت باستثناء حورمحب (1319ق.م) الذي كان قائداورمسيس الأول الذي خلفه لم يكن من الدم الملكي. وقلما كانت امرأة تحكم مصر ماعدا حتشبسوت التي حكمت في الأسرة 18 بعد وفاة

زوجهــاتحتمس الثــاني عــام 1479 ق.م. وتقاسمــت الحكــم مع تحتمس الثالث. وكان المصريون يعتقدون أن مركز الملك إلهي والملك إله. وبعد موته تؤدي له الطقوس ليظل إله. وكان يلقب عادة بمالك وملك الأرضين مصر العليا ومصر السفلي (الدلتا بالشمال والوادي بالجنوب). وكان إقتصاد مصر قوم علي الزراعة معتمدة علي النيل الذي كان يمدمصر بالمياه والمحاصيل المتنوعة كالحبوب ولاسيما الشعير والقمح والفاكهة والخضروات. وممعظم الأراضي الزراعية كانت ملكا للملك والمعابد. وكان الشادوف وسيلة الري بعد إنحسار الفيضان. ولقد إكتشفت مومياوات عديدة محفوظة تم العثور عليها في كل أنحاء العالم بكل القارات حيث إتبع التحنيط mummification بكل القارات و أن كلمة مومياء أصلها الكلمة القبطية "مم" التي تعني شمع أو القار والذي كان يستخدم في عمليات التحنيط. وقد إشتُقت منها لاحقا الكلمه Mummy وانتشرت بعد ذلك الى اللغات الهند واوروبيه. وهذه الكلمة مومياء تطبق علي كل البقايا البشرية من أنسجة طرية. والتحنيط قد يكون موجودا في كل قارة لكن الطريقة ترتبط بطريقة قدماء المصريين لهذا ينسب إليهم. وكانت أول دراسة للمومياوات كانت في القرن 19. وليس المومياوات المصرية مجرد لفائف من قماش الكتان تلف بها الأجساد الميتة فقط. ولكنها طريقة لوجود بيوت دائمة للأرواح. وهذه طريقة تحايلية علي الموت.



Karnak temple's hypostyle halls are constructed with rows of thick columns supporting the roof beams.

المصادر التاريخية

تنقسم إجماليا إلى أربع فئات غير متساوية من حيث الكم والكيف:

أعمال المؤرخين المصريين

إن هذه الأعمال لها ثقلها فعلا، بالرغم من أنها تستخدم مضمونا ومفهوما تاريخيا يختلف عن مضمون ومفهوم التاريخ الحديث. إلا أنها تلبي مطلبين أساسيين: أولهما، مطلب عملي وهو رصد أوجه الأنشطة القضائية والإدارية (وبصفة خاصة الضرائب) التي تتطلب بدون شك جدولة للأحداث التاريخية. وبما أن حساب السنوات كان يبدأ دائما من الصفر لكل حكم، ولذا كانت الضرورة تستلزم وضع قوائم عن الفراعنة للحصول على استدلال دقيق عنهم.

وثانيهما، مطلب أيديولوجي: فالمضمون التاريخي هو عبارة عن امتداد وتكرار لعملية الخلق. ولذا كانت الضرورة تستلزم تسجيل الأحداث، أو ما اعتبر أحداث حتى يمكن إرجاعها إلى

السلوك المتكرر الثابت الأساسي، وتحديدها على هذا النمط في صورة قدسية. ولذا كان يوجد ما يمكن أن يسمى "بالوقائع" التي تسرد أوجه نشاط الفرعون عند مباشرته لعمال الهامة كالحروب، إذ يكلف الكتبة بإصدار ما نطلق عليه حاليا الحوليات الخاصة بالمعارك. وأحيانا كانت هذه الوثائق تستخدم كمصادر لإعداد مؤلفات عن الإنتصارات، "مثل حوليات الملك تحتمس الثالث"، وكذلك "معركة قادش" التي قادها الملك "رمسيس الثاني"، والتي سجلت بطريقة مزدوجة: بالنص الأدبي كتابة، وبالنقوش المصورة على جدران العديد من المعابد، ومعها بعض "النشرات" على هيئة القصائد. ولا شك أن هذه الوقائع الخاصة بنظم الحكم كانت تكون سجلا فعليا للأحداث، ولذلك يتضمن نص "حجر بالرمو" سردا للأحداث الهامة لفترات حكم الأسرات الخمس الأولى كالإحتفال بالعياد وبناء المعابد، وإقامة التماثيل، وإرسال الحملات الحربية، أما قائمة توريناالملكية Canon royal de Turin فهي تعطينا سجلا لكل الفراعنة، ومدى بقائهم في الحكم.. وهذه القائمة لها قيمة منهجية أو استدلالية إلى حد ما، ذلك لأن بعض هؤلاء الملوك كانوا ينتسبون إلى العاصمة التي وقع اختيارهم عليها، فنصف مثلا ملوك الأسرة الثانية عشرة بالطيبين نسبة إلى طيبة، وملوك الأسرة الواحدة والعشرين بالتانيسيين نسبة إلى تانيس أو نصفهم بالنسبة لمنبتهم الأصلي. ولا شك أن هذه المحاولة لتحديد فترات الحكم إنما هي توضيح للأفكار التاريخية فقط، ولذا فإن "قائمة تورين الملكية" تحسم الأمر بالنسبة للعديد من البيانات المكدسة بالمعابد، والتي لا تهدف إلا إحياء ذكرى الفراعنة المحليين، الذين أقيمت صروحهم خلال أعمال التوسعات. ثم قام

أخيرا مؤرخ مصري يدعى" مانيتون"Manethon ، بكتابة التاريخ المصري باللغة اليونانية خلال حكم الملكين البطلميين الأولين، معتمدا على الوثائق التاريخية للفترة الفرعونية. وللأسف لم يصلنا هذا التاريخ المكتوب إلا من خلال بعض النصوص التي سردها بعض الملخصين، أو بعض الكتاب الذين كانوا يستعينون بها لأغراض خاصة.

إذن، فمن نتاج أعمال المؤرخين المصريين، لا نملك سوى آثار وبقايا مليئة بالثغرات، ويلاحظ أن النقد الحديث قد اعترف بقدر هذه الأعمال إلى حد ما، بحيث يجب أخذها منالمصادر كما هي على علاتها لما لها من أهمية، على عكس النظرة السابقة لها باعتبارها مجرد أحداث من نسج الخيال والأساطير.

مصادر قديمة غير مصرية

كانت مصر الفرعونية على امتداد حوالي ثلاثة آلاف سنة تعتبر إحدى القوى العظمى في منطقة الشرق الأدنى، كما أنها استطاعت أن تندرج بشكل أو بآخر ضمن اهتمامات ومشاغل الحضارات الكبرى، وبالتالي تردد ذكرها فيما أورثته لنا تلك الحضارات من وثائق ومستندات. فنجد أن سجلات ومحفوظات "الحيثيين"، ثم بعد ذلك الوقائع الخاصة بملوك "الآشوريين"، قد أعطت جميعها مكانا فسيحا لتلك العلاقات والخلافات مع مصر. بل أكثر من ذلك، فقد أولت التوراةاهتماما واضحا عدة مرات نحو هذا البلد حيث ارتبط ارتباطا وثيقا بأقدم حقب تاريخ الشعب العبراني الذي كانت ثقافة مصر مصدر إلهام عظيم له.

لكن المؤلفين الإغريق والرومان هم أكثر من قدم المصادر الأساسية القديمة. فاليونان قد جذبتها وسحرتها مصر الفرعونية، وتوثقت عري الروابط بينهما منذ بداية الفترة المينوية، وازدادت هذه الروابط قوة خلال حكم الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية بفضل حصولهم على امتياز الإستقرار في مرفأ "نقراتيس". وتوطدت عرى هذه الروابط في عهد المملكة البطلمية، ثم من خلال الإندماج مع الإمبراطورية الرومانية .وبالإضافة إلى ذلك فإن حكايات الرحالة الفضوليين، وذكريات التجار والعسكريين، وافداريين الذين وفدوا إلى مصر في مهام عملية، إلى جانب الأقاصيص والأقاويل التي كان يتم تناقلها من ميناء إلى آخر، كل ذلك ساعد على تغذية وتنمية معرفتنا بالتقاليد الكلاسيكية الغرزية الخاصة بمصر والتي تضمنت العديد من الأساطير العريقة. وتراكمات الكتابات المتنافرة تنافرا واضحا من حيث التسلسل التاريخي، وإعادة تفسير الوقائع الحقيقية، بل والمعطيات الأصلية أيضا. وضمن هذه الأعمال الكلاسيكية تبدو واضحة بصفة خاصة أعمال "بلوتارخ 120 46" (ميلادية)، التي كانت تتجه بصفة خاصة نحو الدين. وهناك أيضا "المكتبة" Bibliotheque لديودور الصقلي Diodore de Sicile (القرن الأول الميلادي)، حيث خصص جزءا كبيرا منها لمصر الفرعونية، كما تضمنت العديد من النصوص القديمة (مع بعض الإشارات الشخصية) كذلك الكتاب السابع عشر باسم "جغرافية سترابون"(Geographic de Strabon القرن الأول الميلادي)، والذي ينم عن ذهن متفتح عرف كيف يثري ملاحظاته الخاص برحلاته إلى مصر الرومانسية بالبيانات والإشارات المستمدة من علماء الجغرافيا، وعلماء الدين القدماء. وأخيرا نجد أيضا ما كتبه).

هيرودوت Herodote في كتابه المسمى "بالتاريخ" (خلال القرن الخامس قبل الميلاد). كان هيرودوت يهدف إلى وصف المملكة الفارسية التي قوضها ودمرها الإغريق، ولذلك نجده قد توقف طويلا أمام إحدى ولايات هذه الإمبراطورية، ألا وهي مصر، التي اعتبرها من أعجب البلاد وأكثرها إثارة للدهشة (وخصص لها الكتاب الثاني وجزءا من الكتاب الثالث). لقد كتب "هيرودوت" بحثا تاريخيا حقيقيا في التاريخ الثقافي الذي استقاه من مصادر متعددة ومن كتابات السابقين، ومن القصص وحكايات التراجمة المرشدينdragomans ، الذين قاموا بإرشاده خلال رحلته (ولو أن البعض يتشككون في حقيقة هذه الرحلة)، بل وفي ملاحظاته الشخصية، وعموما لايمكننا القول بأن كل ما كتبه "هيرودوت" عبارة عن هذيان أو حكيات باطلة، فهو يسرد أحداثا تكاد تكون قريبة من القرن الذي عاصره. ولقد قام أحد علماء المصريات المتازين بإعداد رسالة علمية قيمة عن أهمية المعلومات التي قدمها "هيرودوت"، والخاصة بالأسرة السادسة والعشرين.

وعموما فإن المصادر الكلاسيكية تمدنا بمواد غير متساوية أو غير متطابقة عن تاريخ مصر الفرعونية. كما أن بعض التشوهات المنهجية الناجمة عن التفسيرات اليونانية (بل الرومانية) تتطلب جهدا كبيرا في مجال العمل النقدي. لذلك نرى في أغلب الأحيان أن علم المصريات هو الذي يقوم بتوضيح النصوص القديمة عن مصر الفرعونية وليس العكس.

الآثار

من منطلق البحث في مجالات عصور ما قبل التاريخ، أثبت علم الآثار مدى ما يستطيع تقديمه للتاريخ بفضل استخدام

الوسائل الفنية، والسبل التي تنتهجها. وفي الوقت نفسه فمن خلال الآثار، نجد أن الأزمنة الأسطورية التي عاش فيها أبطال مصر الفرعونية تبدو وكأنها عصور الظلمات. لذل نجد المنقبين وقد تملكتهم حمى البحث عن الكتابات والنقوش، أو القطع الجميلة الصنع، لأي عطون لعلم الطبقات الجيولوجية اهتماما كبيرا، بل أخذوا يستقصون بكل همة مالم يصنع من الحجر. وبما أن هؤلاء المنقبين كانوا يجرون أبحاثهم في المواقع الكبرى، فإن قدر المعلومات التي لم يتبينوها لا بد أن يكون هائلا. وهكذا، ففي مقابل ما لوحظ من مظاهر التأخر بخصوص الحضارات المجاورة مثل علم الآثار الآشورية، نجد علم المصريات يزدهر مبكرا في عالم الآثار، ويبدي اهتمامه بنظم وعادات الماضي. ثم انتشرت الدراسات في علم النماذج البشرية من خلال "الخزف". ولم يعد هناك سر في مجال علم الطبقات الجيولوجية، بل واتسع نطاق التقنيات الحديثة: من التقاط صور فوتوغرافية من الجو، واستخدام أجهزة قياس (المغناطيسية بالأويل)Proton (ذرة كهربائية إيجابية)، والإضاءة الحرارية .. إلخ، وتتابعت النتائج الواحدة تلو الأخرى، وكان بعضها مذهلا، مثل أعمال التنقيب النموذجية التي قام بها عالم المصريات "بيتاك" في موقع "أفــاريس"، والتي ساعدت على تحديد المراحل المختلفة للاستعمار الآسيوي، وغيرت في الوقت نفسه الرؤية التقليدية عن الغزو الهكسوسي، كما ساعدت على توضيح معالم الجغرافيا التاريخية الخاصة بمنطقة الدلتا الشرقية، وبينت سبب اختيار الموقع الذي شيدت فوقه مدينة "بي رعمسيس"، ثم سبب هجرته بعد ذلك والتوجه نحو "تانيس". ومن المنتظر أن تفصح عمليات التنقيب الحديثة عن فيض من المعلومات الخاصة بالتاريخ المصري، ولكن علينا ألا

نتوقع أكثر من اللازم. فإذا كان من السهل السخرية بأوائل من قاموا بعمليات التنقيب، فإن الظروف الخاصة التي مر بها علم الآثار يجب أن توضع في الإعتبار، فمثلا تعرضت أغلب المواقع لعمليات نهب وسرقة منذ آلاف السنين بوساطة اللصوص، والباحثين عن الكنوز، واستخراج الطمى اللازم لصناعة قوالب الطوب اللبن، أو السباخ، هذا إذا لم تكن هذه المواقع قد تلاشت ودفنت تحت المدن الحديثة. وحتى إذا كانت عمليات التنقيب قد تمت على الوجه الأكمل، إلا أنه لا يتمخض عنها دائما النتائج النظرية المأمولة، وعلى وجه الخصوص الآثار المختلفة عن الأماكن السكنية والتي تعد من أثر المصادر ثراء بالمعلومات بالنسبة للمؤرخ، والتي أصبحت قاصرة بشكل لايمكن تعويضه نظرا لندرة المواقع السكنية التي قد تحقق الأمل في الحصول على المعلومات، مثل مدينة "بلاط" التي ترجع إلى الدولة القديمة وتقع في الواحة الداخلة.

نلاحظ بالإضافة إلى ذلك أن إعادة تقييم علم الآثار، قد جر في أعقابه تجديد الاهتمام بالأدوات غير المنقوشة، والأدوات الخاصة بالحياة اليومية، بل وبالهندسة المعمارية الخفيفة. كما أن أعمال الإحصاء، والوصف، والتصنيف، تتطلب جميعها عملا دؤوبا، قد يكون غير مثير، ولكنه كفيل في النهاية أن يضيف شيئا ما إلى علم تتابع الأحداث التاريخية، وإلى علم الأخلاق والتقاليد والعادات التاريخية.

ومن البديهي أنه بالرغم من قيمة وأهمية علم الآثار، فإنه بالنسبة لتاريخ مصر الفرعونية لا يعدو أن يكون سوى إضافة ضرورية للمصادر المكتوبة.

المصادر المكتوبة

تعد هذه المصادر المكتوبة للوهلة الأولى مثيرة لبعض البلبلة والحيرة بسبب تنوع مواردها واختلاف فحوى ومضمون هذه المواد. ومع ذلك فمن الملائم أن تقسم إلى مجموعتين كبيرتين تتوافقان مع اللوائح والقوانين التي خصصها لها المصريون القدماء. فمن ناحية، توجد الكتابات الخاصةب المجال الدنيوي البحث: التي تدون غالبا بالأسلوب الموجز السريع فوق الأدوات والمواد القابلة للتلف (مثل أوراق البردى، وألواح الخشب، والشقافات، وشظايا الأحجار أو الفخار ذات السطح الأملس). ومن ناحية أخرى، هناك النقوش المقدسة: والتي غالبا ما تكتب بالهيروغليفية، فوق خامات معمرة (مثل الأحجار، والمعادن، والخشب) نظرا لأنها قد دونت أصلا لكي تدوم إلى الأبد، ولكي تسترعي أنظار العالم الذي جذبته تلك الآثار، التي دونت هذه الكتابات عليها. وقد تصدر وثيقة واحدة (كالمراسيم الملكية) في هيئة نسختين: نسخة دنيوية لوضعها في المحفوظات التي تحفظ النص الكامل مع ما تحفظه من وثائق قديمة، ونسخة مقدسة تنصب في مكان مناسب وتصاحبها مظاهر الفخامة والأبهة الأيديولوجية التي تعمل على ادماجها بأحد الأشكال الخاصة بالوجود (مثل أشكال الآلهة، والكلمات الرنانة)، كما تختصر إلى أقصى مدى، وتبسط إلى مجرد الفكرة الأساسية التي كتبت من أجلها. ولا شك أن التفرغ الثنائي بين المصادر الدنيوية والمصادر المقدسة يجب أن يكون نقطة انطلاق لأي عمل نقدي وثائقي.

المصادر الدنيوية

لو أننا قمنا بإحصاء ما وصل إلينا من الإنتاج الدنيوي الخاص بمصر الفرعونية، فإننا سوف نجد أن القائمة هائلة من

ناحيـة الكـم، مثـل الخطابـات الخاصـة، والمراسـلات الإداريـة، وحسابات المؤسسات، وجداول الأحوال المدنية، وسجلات الضرائب، وعقود بيع وتأجير الأملاك والأشخاص، ونسخ الأحكام الأصلية الخاصة ببعض المحاكمات، ومصنفات العادات والتقاليد...، ولا شك أن القائمة الكاملة سوف تكون طويلة للغاية، إلا أننا قد نصاب بخيبة الأمل عند فحص تلك الوثائق عن كثب. فإن عدد الوثائق الذي قد يعتبر هائلا بالنسبة للعالم الملتزم بتفسيرها هي في الواقع حصيلة متواضعة لتراكمات نحو ألفين وخمسمائة عام. بالإضافة إلى ذلك فإن معظمها يبدو مبهما ومشوها، ولا يزودنا إلا بمعلومات ضئيلة، منفصلة الكيان الذي كان يتضمنها. وماذا عن توزيعها عبر الأجيال؟ صمت تام أحيانا، أو شبه تام على مدى قرون كاملة. فمن الملاحظ أن الألف عام الثالثة لم تقدم لنا سوى محفوظات الجبلين، ومعبدين جنائزيين يرجعان إلى الأسرة الخامسة. أما الدولة الوسطى، فلم تترك لنا سوى محفوظات بعض الأملاك الخاصة والتي كان يديرها شخص يدعى "حقا نخت"، وبعض الملفات الخاصة بموقع بناء بجوار "أبيدوس"، وبقايا بعض الأوراق الخاصة بمدن هرم "اللاهون" وبضع صفحات تتضمن حسابات البلاط الملكي بطيبة في عهد الملك "سوبك حوتب الثاني". في الدولة الحديثة تحسنت الأمور بفضل الوثائق الوفيرة التي وصلت غلينا من دير المدينة، فأصبح من الممكن أخيرا وبشيء من الدقة متابعة سير العلم اثناء إنشاء المقبرة الملكية، ولاحياة اليومية التي عيشيها من يقوم بالبناء، سواء الإدارية أو العمال، كما لوحظ تتابع وتراكم الإشارات الرقمية في شيء من التماسك لدرجة أن عالم المصريات "باروسلاف تشرني" نجح في إجراء بحوث عن تطور الأسعار لا يحلم أحد بإجرائها بالنسبة لأي عصر آخر. ولكن بالنسبة لعصر الانتقال

الثالث، لا تبدو الأمور بمثل هذه الروعة بسبب ندرة المصادر الملازمة فضلا عن صعوبة حل رموزها حلا كاملا. أما في العصر المتأخر، فقد ظهرت مجموعة وفيرة من الوثائق المدونة بالديموطبقية لم يحن بعد موعد تحليلها.

وبخلاف التباين في عملية تصنيف المستندات الخاصة بالأعمال الإدارية والقضائية، نجد أن المؤرخ يتعثر دائما في تأويلها وتفسيرها، فإن ميكانيكية سير العمل، وكذلك لوائح وقوانين المؤسسات والعاملين بها، لا يسهل استدلالها بسهولة، لاسيما في مجال الضرائب الذي يعتبره التاريخ من المجالات الخصبة، والذي يظل مبهما وغامضا للغاية. وبالرغم من التذكار الجميل الذي قدمته لنا الصدفة البحتة، وأعنى به "بردية ولبور". وهي عبارة عن سجل مساحي يزيد طوله على عشرة أمتار يبين أعمال بعثة من مهندسي المساحة الذين زاولوا نشاطهم على مساحة تقدر بـ 150 كيلو مترا بمنطقة مصر الوسطى خلال حكم الملك "رمسيس الخامس" وإذا كانت هذه الوثيقة الكاملة أو شبه كاملة، تثير الكثير من الصعوبات، فلنا أن نتخيل صعوبة استنباط التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمصر الفرعونية.

وهناك نوع آخر من المصادر المدنية التي تعوض هذا النقص مثل الأدب. ولا يعني ذلك إلمامنا التام به ولكن الكثير من الأعمال التي وصلتنا تتضمن قدرا وفيرا من المعلومات التاريخية. وقد يرجع ذلك إلى كونها مترابطة متشابكة. وكان الفراعنة يعرفون تماما كيف يرشون الأدباء لكي يضمنوا كتاباتهم الجذابة الشيقة بعض الرسائل السياسية كنوع من الدعاية لصالحهم، وأبلغ مثال لذلك

"قصة سنوحي" وهي "تعاليم من أجل مري كا رع". توفر العديد من الأعمال الأدبية للمؤرخ مادة يستقي منها معلماته، لن جذورها تمتد في أعماق بعذ التجارب الإجتماعية الواضحة المعالم التي تتعلق بلا شك بالطبقة الحاكمة في معظم الأحيان.

وبعد، فإن الدب لا يكفي بمفرده لتعويض مظاهر النقص والقصور في المصادر الدنيوية الأخرى، لذا يجب استثمار المصادر المقدسة إلى أقصى مدى.

المصادر المقدسة

إذا كانت هذه المصادر وفيرة فيرجع السبب في ذلك إلى أن أولى مظاهر إضفاء القداسة هو كتابتها على مواد وخامات معمرة. وهناك نوعان من المصادر المقدسة: المصادر الخاصة، والمصادر الملكية.

المصادر الخاصة

من المعروف أن كل مصري لديه امكانيات كان يحرص على زيادة فرصته في البعث إلى الحياة الأخرى، ليس فقط عن طريق بنائه لمقبرة مزودة بالعديد من الأثاث المنقوش بالرسومات والكتابات، ولكن أيضا عن طريق تشييد اللوحات، والتماثيل، ويقيم موائد النذور، وموائد القرابين الخاصة به في المقاصير. ولهذا فنحن نملك قدرا هائلا من الوثائق الخاصة التي قد لا تتضمن غالبا سوى عبارات دينية، واسماء وألقاب ووظائف، إلا انها تشكل إضافات تاريخية بكل منطقة، وبكل قطاع من قطاعات أوجه النشاط وبكل أسرة، وكلها تتضمن قدرا وفيرا من المعلومات. وعن

طريق وضع قائمة الأنساب المختلفة، يسهل تتبع عملية انتقال أو فقدان الوظائف والرتب أو تراكمها، وييهسل أيضا تتبع الخطط المخاصة بالزواج وحقوقه المختلفة، ومظاهر رضاء الأمير أو الحاكم، أو عدم رضاه. كما أن قائمة حسابات المنشآت الجنائزية تسمح بدون شك بتقدير ثراء مالكيها. وعلى هذا النهج يستند قدر كبير من معلوماتنا الأساسية الخاصة ببعض الفترات. إذ تسمح لنا، على الأقل، بمشاهدة ملامح ذروة الموجات الهائلة التي هزت وأثارت المجتمع المصري عامة وطبقته الحاكمة خاصة، وذلك مثل: نقل المناصب الكبيرة والمسئوليات خارج نطاق الأسرة الملكية في عهد الأسرة الخامسة، وبروز طبقة متوسطة خلال الجزء الثاني من حكم الدولة الوسطى، وكثرة عدد الوصوليين، ومحدثي النعمة، خلال فترة حكم الدولة الحديثة..إلخ.

وقد تميل معظم هذه الآثار الخاصة إلى الثرثرة إلى حد ما، وحتى وإن اقتصرت على تعداد العبارات المعادة، فإن السير الذاتية تبدو لنا قيمة وثمينة للغاية، لأن هذه العبارات المعادة نفسها تعكس على الأقل، الروح التي كانت تسود عصرا من العصور. وعندما تكون هذه السير الذاتية مسهبة وتفصيلية، فإنها تعد من ضمن المصادر التاريخية الرئيسية. ولا شك أن نصوصها تساعد على التحقق من بعض النصوص الأخرى، كالنصوص الملكية، عن طريق مقارنة المعلومات ببعضها البعض.

النصوص الملكية

إن الملوك الفراعنة قد تركوا بالطبع أسماءهم على العديد من الآثار نظرا لرغبتهم، شأنهم في ذلك شأن بقية البشر، بل وأكثر

منهم، في تأكيد بعثهم بعد الممات. ومن أجل تحقيق هذه الغاية كانوا يكرسون الوسائل والسبل الهائلة التي توفرها لهم منزلتهم السامية. بالإضافة إلى أن ممارسة وظيفة "الملكية" المصرية كانت تستلزم افكثار من النصب والمباني المتضمنة النقوش والرسومات المسجلة. وفي الواقع، فإن الفرعون بصفته خليفة للإله الخالق كان يعمل على امتداد أعماله، بتحويل التاريخ إلى ظاهرة من ظواهر النظام الذي أقيم عند نشأة الكون. ولا شك أن هذا العمل الذي يتضمن معان أيديولوجية رفيعة، كان يستلزم توثيق كل نصب أو صرح أو منشأة باسم الفرعون المسئول، وأن يسجل هذا التوثيق على دعامة معمرة لا تبلى أبدا. وعلى هذا المؤرخ بصفة عامة أن يكتفي بما يجده، أو بمعنى آخر، وفي أغلب الأحيان، ببعض الخراطيش، أو النصوص المقتضبة والمنقوشة فوق جدران المعابد. إذ أن أولى واجبات الفرعون كانت تشييد وإصلاح وترميم المعابد الخاصة بالآلهة. وتنحصر معلوماتنا عن بعض الملوك في مجرد قائمة النصب والأبنية الدينية التي أقاموها ووسعوها، وأعادوا بناءها، أو وضعوا بداخلها بعض التماثيل أو المسلات. وبالطبع تعكس أعمال التشييد والبناء بشكل أو بآخر مدى ما يتمتع به الفرعون من سطوة ونفوذ. وبالتالي، فهي تعد أيضا انعطكاسا للأحوال السياسية والإقتصادية في عصره. ولكن تقيمنا هذا قد يكون مجرد تقييم غير متقن إلى حد ما، بالإضافة إلى عوامل التدمير أو الحفظ التي تضعف من قيمة هذا التقييم.

ولحسن الحظ، كان الملوك الفراعنة يستغلون بنهم شديد "هذه العبارة الخلاقة" التي تتخللهم، ويدونونها للأجيال التالية لهم. ولذلك وجد هذا الحكم الهائل من المراسيم والبيانات المطولة عن القرابين والعطايا المقدمة للآلهة، والنصوص التي تتناول بعض المعارك

الحربيـة، والغـزوات، وقـوائم المنـاطق والشـعوب الخاضـعة لمصـر، وإحيـاء ذكـرى الإحتفـالات الكـبرى، وأعمـال التـدين العائليـة، أو المتعلقـة بالأسـلاف..إلخ. وهكـذا تتشـابك وتفـتح الأبـواب الموارية أمـام نظـرات المؤرخ. وغالبا مـاتكون نظراتـه خاطفـة لأن مـا تتضـمنه هذه الكتابات الأيديولوجية الفائقة من بلاغه رائعة تخفي ما يتصف به مضمونها الإعلامي من ضآلة. ومع ذلك، فمن خلال الكتابات الملكية التي اكتشفت حديثا تنبثق أحيانا بعض الحقائق، فمثلا تبين لنا "لوحة كاموس" الأحوال السياسية التي كانت سائدة في مصر خلال حكم الهكسوس.

الفصل الثانى

المكتبات والحضارة المصرية القديمة وأسرارها

تعتبر الحضارة المصرية القديمة من أقدم وأعرق الحضارات فى العالم فقبل ثلاثمائة سنة قبل الميلاد عرف المصريون القدماء نظام الكتابة وبرعوا فى علوم كثيرة منها الهندسة والطب والزراعة والفنون الجميلة.

موضوع المقالة

ما قصة الحضارة المصرية القديمة؟ وما أسرارها؟

الأهرامات ثمرة من ثمار شجرة تعليمية لها جذورها العميقة، فلا ينبغي الوقوف عند الثمرة ونسيان الشجرة، ولا بد من دراسة الجانب التعليمي لمعرفة أسرار عظمة تلك الحضارة الخالدة، وهو الأمر الذي نهدف إليه في دراسة كل الحضارات المهمة: القديمة، والحديثة؛ لأن المنجزات المادية وغيرها هي نتاج سياسة تعليمية عملية، لا ينبغي أن يغفل عنها المربي إن كان من أولي الألباب، فإن كانت مبانيهم رائعة، فإن حبهم للكتاب والمكتبات أروع، فحصيلة العلم والفكر والتفاني في العمل عزّ وتفوق ومجد.

وقبل حوالي ثلاثمائة سنة قبل الميلاد عرف المصريون القدماء نظام الكتابة، وما زالت آثارهم الباقية تبهر الألباب، وتنتزع الإعجاب خلال تاريخهم الطويل الذي امتد آلاف السنين على صفحات التاريخ.

لقد برع المصريون في علوم كثيرة منها: علوم الهندسة، والطب، والزراعة، والفنون الجميلة كالرسم، والنحت، والموسيقى.

وكان المصريون أصحاب حضارة عملية إلى أبعد الحدود، والأدلة على صدق ما سبق مستفيضة، وأعظمها آثارهم الخالدة ورسوماتهم الساحرة.

فمـن الناحيـة الدينيـة، حظهـم كحـظ الحضـارة الغربيـة حديثًا، حيث الفـارق بين تطـورهم المـادي، ونظـامهم الروحـي يمكـن ملاحظته بوضوح؛ فلقد عبد الفراعنة الشمس وقدّسوا الحيوانات، ولقد قام إخناتون باختيار إله واحد وهو الشمس؛ فعبدوه.

ومـن الناحيـة الاجتماعيـة، لعبت المـرأة دورًا مذكورًا علـى ساحة الأحداث العامة، وكان للمرأة الفرعونية منزلتها العظيمة في المجتمع.

ومع أن مراجع كثيرة يصعب حصرها، تؤكد كلها بأن تأسيس العلوم كان إنجازًا إغريقيًّا، وبأن الإغريق هم الذين أوجدوا الروح العلمية في الثقافة الأوربية؛ إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤلفين يزعمون أن الفكر الإغريقي الباهر لم يتحقق كطفرة غير مسبوقة، وإنما يدعون بأن هذا الفكر الخلاق استمد عناصره من الحضارات المصرية وغيرها من الحضارات الأقدم؛ إلا أن هذا الزعم ينقصه البرهان، ومحاولة إنكار الامتياز الثقافي الأوربي؛ بسبب كره الاستعمار، وبدافع الرغبة في الانتصار للذات، هذا ما يذكره بعض العلماء.

كان النظام التعليمي يركز على حفظ المعلومات وتنمية المهارات، مثلها مثل الحضارة السومرية، وكان على المتعلم أن يبدأ من البسيط إلى المعقّد، وكان التعليم مرتبطًا بأهمية الإنتاج والعمل.

وقد ذكر بعض الباحثين أن التعليم العالي كان مقره غالبًا في المعابد، ومن أشهر المعابد: جامعة "أون" أي: عين شمس، ومعبد الكرنك، وإدفو، وأن الأطفال من سن خمسة إلى أحد عشر عامًا كانوا يتعلمون القراءة وكتابة اللغة الهيروغليفية، وكانوا يدونون نصوصهم الدينية على خشب الأبنوس والعاج، وصفحات ورق البردي.

كان التعليم في مراحله الأولى يحصل عليه عامة الناس، أما التعليم العالي فكان من جملة الحقوق التي لا ينالها، ويتمتع بنورها إلا أبناء الفراعنة النبلاء.

ومن الحكم المصرية المأثورة في ميدان التعليم، قولهم في تمجيد شأن الكتابة: "كُن كاتبًا؛ تبلغ المجد والثروة"، وقولهم: "يا بني، إن أي مهنة من المهن محكومة بسواها إلا الرجل المثقف؛ فإنه يحكم نفسه بنفسه".

إن مثل هذا القول يكشف لنا مدى اهتمام المصريين القدماء بالتربية؛ بل يوضح أن المصريين القدماء ربما يكونون أول البشر إرساءً لمفهوم التربية، في إطاره العلمي المعاصر.

ومن العبارات المنحوتة على جدار مصري فرعوني: "سأجعلك يا بني تحب الكتاب، كما تحب أمك أو أكثر"؛ لأن الكتاب لا مثيل له، فلقد اهتم القدماء في مصر بتعليم القراءة للطفل، كما يعلّمونه المشي والأكل. ولا ريب أن حب العلم والقراءة، وتعظيم مرتبة العلماء، وتشجيع الابتكار من ضمن المفاهيم الحضارية التي استوعبها المصريون القدماء؛ حتى إن كلمة مدرسة أو دور العلم تعرف ببيت الحياة، فسخّروا كل إمكانياتهم ليتسابقوا في ميدان الرقي العلمي، والتفوق المهني؛ فكان تاريخهم يزخر بموجات عارمة من الجد والاجتهاد، والتجديد، وبيوت الحياة، ودور المعرفة....

"هنا علاج الروح"، "هنا بيت علاج النفس"، كلمات كانت تُكتب على جدران المكتبات المصرية القديمة مثل: مكتبة معبد رمسيس، ومكتبة معبد إدفو، ومكتبة معبد دندرة.

ثم ينتقل هذا الشعار إلى الحضارات الأخرى، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الكتاب يمكن أن يستخدم في علاج الروح إذا سقمت، والنفس إذا اعتلّت، وهذه العبقرية المصرية تسمى في العلوم المعاصرة بالعلاج بالقراءة، وهذا العلم من العلوم التي تندرج تحت علم النفس، وتعني: استخدام الكتب في علاج المرض.

ومن الزاوية التربوية، نجد أن الرسومات المصرية القديمة المنقوشة على واجهة الجدران في المعابد، وغيرها- من الفنون الرفيعة، التي تدل دلالة قاطعة على عمق وعظمة بعض وسائل التربية والتعليم في تلك الحضارة الساحرة، فإن تدوين المعلومات، ورسم المناظر الطبيعية، ووضع لمسات الخيال والإبداع، كلها مؤشرات ومؤثرات تشهد وتنطق بالتفوق الفكري والفني.

ولا شك أن القصص ما زالت من أعظم المواد المنهجية في إعداد الفرد، وما زالت قصصهم وأساطيرهم محل دراسة واعتناء من قبل الباحثين.

ركزت التربية المصرية على قضية البعث والنشور، واعتناء الفراعنة ببناء الأهرامات وعلم التحنيط يدل على صحة ذلك الاستنتاج.

ويدل تعدد الآلهة عند المصريين القدماء على تربية دينية قلقة، تتخللها صراعات سياسية لفرض عقائد وثنية على المجتمع، ومهما يكن الأمر فإن مصر القديمة شأنها شأن الدول التي سادت ثم بادت، وعرفت عدداً كبيراً من الفراعنة الطغاة، ولا شك أن هذا كان له انعكاسه المباشر في صياغة الفرد المطيع للأوامر السياسية، فكان من ضمن الآداب الاجتماعية قول بتاح حتب: "احن ظهرك لمن هو أعلى منك".

ومن المعلوم أن مناهج التعليم تتأثر بمن يستأثر بقوة السيطرة والحكم في البلاد، وأن كل الأنظمة لا بد أن تسخر مؤسسات التعليم لحماية مصالحها، ولدوام حكمها.

دخلت مصر تحت حكم الهكسوس قبل الميلاد، والهكسوس كلمة أطلقها المصريون على الملوك والجبابرة الذين حكموا مصر لعشرات السنين، فالهكسوس غير مصريين عند بعض الباحثين.

ومن أشهر القصص النبوية الثابتة عن الجبابرة في مصر: قصة السيدة سارة مع الملك، كما في صحيح البخاري ومسلم.

أثناء ذلك العصر كانت الدولة الكلدانية في العراق، والكنعانية في بلاد الشام، وكانت مصر مركزًا اقتصاديًا مهمًا، يَفِدُ إليها الجميع ليجلبوا منها الطعام والذخيرة والمتاع.

بعض قَسَمات التربية عند المصريين القدماء:

نلخص بعض المظاهر، التي تتناول التربية عند المصريين القدماء فيما يلي:

كون المصريون نظامًا للكتابة، ونجح الخط الهيروغليفي في تعليم المصريين ونقل التراث إلى العصور الأخرى، واستخدم المصريون الأشكال الهندسية والرسومات على أوراق البردي، وعلى الجدران كوسيلة من الوسائل الحسية لتوصيل المعلومات، وعرف المصريون القدامى المكتبات العامة، وكان تخزين الكتب يتم بإشراف متخصصين، يحرصون على حسن تنظيمها والمبالغة في الحفاظ عليها، وبلغ التعليم إلى مرحلة التخصص الدقيق في علوم

متنوعة؛ إذ ظهر التعليم العالي لتغطية حاجة المجتمع، ولم تكن التربية الأساسية والمتوسطة هي نهاية الطريق.

وامتازت الحضارة المصرية بالتميز والإبداع والتفوق، فالبناء الهندسي للأهرامات، والمعابد، والمقابر- مثلًا- من الشواهد الدالة على درجة عالية من الإتقان في الإنتاج، ولا شك أن النظام التربوي كان خلف هذا النجاح.

وأدّى الدين دورًا عظيمًا في جميع الحضارات، وعلى الأخص الحضارة المصرية؛ فالتربية الدينية التي شكلت ثقافة الناس لم تكن سليمة المحتوى، حيث تعرضت المفاهيم الكلية للدين السماوي إلى التشويه والتحريف، وخاصة في ميدان التوحيد.

ورسّخ النظام التربوي في مصر قديمًا الطبقية في المجتمع؛ حيث كان التعليم يعزّز دور الكهنة الذين كانوا يقودون الحركة التعليمية، ويوفرون التربية الراقية لأبناء النبلاء ورجال البلاط؛ في حين أن الطبقة الفقيرة الكادحة إما أن تتحول إلى طبقة المحاربين حيث بعض الامتيازات، أو يظلون في وظائف مهنية تعتمد على المهارة اليدوية.

عرف المصريون مؤسسات خاصة بالدراسات العليا، وبنوا المعابد التي ترعى العلم؛ مثل معبد الكرنك.

والتربية بالعقوبة البدنية كانت وسيلة قاسية، من وسائل التربية في ذلك العصر.

الفصل الثالث

تاريخ المكتبات عند القدماء المصريين

مر القديمة هي حضارة قديمة في الشمال الشرقي لأفريقيا. فقد تركزت حضارة القدماء المصريين على ضفاف نهر النيل في ما يعرف الآن بجمهورية مصر العربية .بدأت الحضارة المصرية في حوالي العام 3150 ق.م، عندما وحد الملك (مينا) مصر العليا والسفلى، وتطورت بعد ذلك على مدى الثلاث ألفيات اللاحقة.ضمت تاريخياً سلسلة من الممالك المستقرة سياسياً، يتخللها فترات عدم استقرار نسبي تسمى الفترات المتوسطة. بلغت مصر القديمة ذروة حضارتها في عصر الدولة الحديثة، وبعد ذلك دخلت البلاد في فترة انحدار بطئ. هوجمت مصر في تلك الفترة من قبل العديد من القوى الأجنبية، وانتهى حكم الفراعنة رسمياً حين غزت الإمبراطورية الرومانية مصر وجعلتها إحدى مقاطعاتها.

استمد نجاح الحضارة المصرية القديمة في القدرة على التكيف مع ظروف وادي نهر النيل. وساعد التنبؤ بالفيضانات والسيطرة على أضرارها في إنتاج محاصيل زراعية وافرة أسهمت في التنمية الاجتماعية والثقافية. وقامت السلطات ومع توافر المواد اللازمة باستغلال المعادن الموجودة في منطقة الوادي والمناطق الصحراوية المحيطة به، وقامت بوضع نظام كتابة مستقل، ونظمت البناء الجماعي والمشاريع الزراعية، بالإضافة للتجارة مع المناطق المحيطة به، وتعزيز القوى العسكرية للدفاع العسكري ضد الأعداء الخارج وتأكيد الهيمنة الفرعونية على البلاد. وقد كان تنظيم تلك الأنشطة وتحفيزها يتم من خلال نخبة من من البيروقراطيين والزعماء الدينيين والإداريين تحت سيطرة الفرعون الذي حرص على التعاون والوحدة للمصريين في سياق نظام محكم للمعتقدات الدينية.

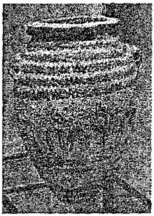
تضمنت إنجازات قدماء المصريين استغلال المحاجر، المسح وتقنيات البناء التي سهلت بناء الأهرامات الضخمة والمعابد والمسلات، بالإضافة لنظام رياضياتعملي وفعال في الطب. وأنظمة للري وتقنيات الإنتاج الزراعي، وأول ما عرف من السفن، والقيشاني المصري وتكنولوجيا الرسم على الزجاج، وأشكال جديدة من الأدب، وأول معاهدة سلام معروفة. تركت مصر القديمة إرث دائم. ونُسخت وقُلدت الحضارة والفن والعمارة المصرية على نطاق واسع في العالم، ونقلت آثارها إلى بقاع بعيدة من العالم. وألهمت الأطلال والبقايا خيال المسافرين والكتاب لعدة قرون، وأدت اكتشافات في مطلع العصر الحديث عن آثار وحفريات مصرية إلى أبحاث علمية للحضارة المصرية تجلت في علم أطلق عليه علم المصريات، ومزيداً من التقدير لتراثها الثقافي في مصر والعالم.

في أواخر العصر الحجري القديم، تحول المناخ في شمال أفريقيا تدريجياً إلى الحرارة والجفاف، مجبراً سكان المنطقة على التركيز على طول وادي النيل، ومنذ أن بدأ الإنسان البدائي العيش في المنطقة في أواخر العصر الجليدي منذ 120 الف سنة، أصبح نهر النيل شريان الحياة في مصر. الخصوبة المصحوبة مع فيضان النيل أعطت السكان الفرصة لتطوير الاقتصاد الزراعي وتدعيم استقرار مجتمع مركزي أصبح كما يرعى البعض حجر الزاوية في تاريخ الحضارة الإنسانية.

فترة قبل الأسر

بيل بداية عصر ما قبل الأسر، كان المناخ المصري القاحل أقل قحلاً مما هو عليه اليوم. وغطت حشائش السافانا مناطق واسعة

من مصر واجتازتها قطعان الرعي من ذوات الحوافر. كانت الثروة الحيوانية والنباتية أكثر غزارة من الآن في جميع المناطق، وساعد منطقة نهر النيل في تكاثر جماعات من الطيور المائية. كان الصيد شائعاً بين المصريين في تلك الفترة، التي أيضاً تم استئناس العديد من الحيوانات بها.



جرة تقليدية استخدمتها شعوب النقادة في عصر ماقبل الأسرات.

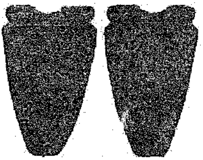
في نحو 5000 ق.م، عاشت قبائل صغيرة في وادي النيل ونمت وطورت سلسلة من الثقافات التي كانت الزراعة وتربية الحيوانات تسيطر عليها، بالإضافة للمقتنيات من الفخار والممتلكات الخاصة التي عثر عليها. كانت أكبر تلك الحضارات هي حضارة البداري في مصر العليا، التي اشتهرت بالسراميك عالي الجودة، والأدوات الحجرية، واستخدامها للنحاس.

في الشمال، تبعت البداري بحضارات أمراتيان وغيرزيان، التي أظهرت عدداً من التطورات التكنولوجية. أثناء فترة حضارة الغيرزيان، أثبتت أدلة مبكرة وجود اتصال مع كنعان وساحل جبيل.

في الجنوب، وازت حضارة النقادة حضارة البداري، وبدأت في التوسع على طول النيل بنحو 4000ق.م في وقت مبكر أثناء حضارة النقادة، استورد المصريين القدماء حجر السج من إثيوبيا، الذي استخدم في نقل الريش بالإضافة لأشياءً أخرى على مدى فترة حوالي 1000 سنة، تطورت حضارة النقادة من مجتمعات زراعية صغيرة إلى حضارة قوية كان لقادتها السيطرة الكاملة على الناس والموارد في وادي النيل .وسعا قادة النقادة على بسط سيطرتهم على مصر شمالاً على طول نهر النيل بتأسيس مراكز قوة في هيراكونبوليس ثم في أبيدوس. وتاجروا مع النوبة في الجنوب، وواحات الصحراء الغربية في الغرب، وثقافات شرق البحر المتوسط في الشرق .

صنعت شعوب النقادة مجموعة متنوعة من السلع الثمينة، في انعكاس لزيادة الطاقة والثروة في طبقة النخبة، والتي شملت طلاء الفخار والمزهريات الحجرية المزخرفة ذات الجودة العالية، واللوحات الفنية والمجوهرات المصنوعة من الذهب والالبيد والعاج. وقاموا أيضاً بتطوير السيراميك الصقيل المعروف بالقيشاني والذي كان يستخدم في العصر الروماني لتزيين الكؤوس والتمائم والتماثيل. وقبيل نهاية عصر ما قبل الأسرات، بدئت شعوب النقادة استخدام رموز كتابية كان من شأنها في نهاية الأمر التطور إلى نظام كامل للغة الهيروغليفية لكتابة اللغة المصريةالقديمة.

بداية عصر الأسر



لوحة نارمر يصور توحيد الأرضين.

قام كاهن مصري في القرن الثالث قبل الميلاد بتصنيف الفراعنة بدايةً من مينا وحتى عصره إلى 30 أسرة حاكمة، وهو نفس التصنيف الذي ما يزال يستعمل حتى اليوم. واختار أن يبدأ تصنيفه الرسمي بالملك ميني (أو مينا باليونانية) الذي يسود الاعتقاد أنه وحد مملكتي مصر العليا والسفلى معاً في حوالي العام 3200 ق.م .وقد حدث الانتقال إلى دولة واحدة موحدة تدريجياً، بشكل أكبر مما كان الكتاب المصريون القدماء يعتقدوا، وليس هناك أي سجلات معاصرة عن مينا. ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين الآن أن مينا الأسطوري هو نفسه الفرعون نارمر، الذي صوّر وهو يرتدي الزي الملكي على لوحة نارمر الاحتفالية في خطوة رمزية للتوحيد.

في عصر الأسر المبكرة حوالي 3150 ق.م، بسط أول فرعون سيطرته على مصر السفلى عن طريق إنشاء عاصمة في ممفيس، التي أمكن من خلالها السيطرة على القوة العاملة والزراعة في منطقة الدلتا الخصبة، بالإضافة إلى السيطرة على حركة التجارة المتجهة إلى الشام. وقد عُكست سلطة ونفوذ الفراعنة في ذلك الوقت على وضع مقابرهم وهياكلها، والتي كانت تستخدم للاحتفال بالفرعون بعد وفاته. طورت الملكية وقوتها

بإضفاء الفراعنة لعامل الشرعية في سيطرة الدولة على الأرض والعمل والموارد التي لا غنى عنها لبقاء ونمو الحضارة المصرية القديمة.

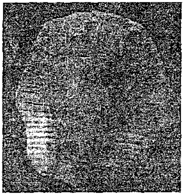
الفترة الانتقالية الأولى

بعد انهيار الحكومة المركزية في مصر في نهاية عصر المملكة القديمة، أصبحت الإدارة غير قادرة على تدعيم اقتصاد واستقرار البلاد. ولم يكن باستطاعة حكام الأقاليم الاعتماد على الملك للمساعدة في وقت الأزمات، وأدت الفترة التي تلاتها نقص الغذاء والنزاعات والخلافات السياسية إلى زيادة حدة المجاعات والحروب الأهلية صغيرة الحجم. وعلى الرغم من تلك المشاكل الصعبة، قام القادة المحليين مستهترين بالفرعون، باستغلال استقلالهم الجديد لتأسيس حضارة مزدهرة في المحافظات. وبالسيطرة على موارد المقاطعات الخاصة، أصبحت الأقاليم والمقاطعات أكثر ثراءً من الناحية الاقتصادية؛ وهي حقيقة شهدها جميع فئات المجتمع .وقد اعتمد وتكيف الحرفيون المحليون على زخاف كانت ممنوعة سابقاً في عصر الدولة القديمة، بالإضافة لأساليب أدبية جديدة اتجه إليها كانت تعرب عن التفاؤل وأصالة هذه الفترة.

بدأ الحكام المحليين التنافس مع بعضهم البعض على السيطرة على الأراضي والسلطة السياسية، مبتعدين عن ولائهم للفرعون. وبحلول 2160 ق، م، سيطر الحكام في هيراكليوبولس على مصر السفلى، بينما سيطرت أسرة إنتيف، إحدى العشائر المنافسة في طيبة، على مصر العليا. ومع نمو سلطة وسيطرت الإنتيف

إلى الشمال، أصبح الصدام بين العشيرتين أمراً حتمياً. وقامت قوات طيبة بقيادة منتوحوتي الثاني بهزيمة حاكم هيراكليوبولس، معيدين توحيد الأرضين وبداية عصر نهضة ثقافية واقتصادية عرفت باسم الدولة الوسطى.

الدولة الوسطى



أمنمحات الثالث، آخر حاكم كبير من عصر الدولة الوسطى

استعاد فراعنة الدولة الوسطى رخاء البلاد واستقرارها، مما أدى لتحفيز الفن والأدب ومشاريع البناء الضخمة حكم منتوحوتب الثاني وخلفائه من الأسرة الحادية عشر البلاد من طيبة كعاصمة للبلاد، ولكن سرعان ما تغير الأمر عند تسليم الوزير أمنمحات الأول الملكية للأسرة الثانية عشر في 1985 ق.م، عندما غيّر العاصمة وجعلها لتجتاوي التي تقع في الفيوم الآن. ووضع فراعنة الأسرة الثانية عشر خطة بعيدة الأمد للاستصلاح الأراضي ونظم الري لزيادة الإنتاج الزراعي في البلاد. وأكثر من ذلك، استعاد الجيش منطقة النوبة الغنية بالمحاجر والذهب، وعمل العمال على بناء هيكل دفاعي في شرق الدلتا أطلق عليه اسم "جدران الحاكم" لصد الهجمات الخارجية.

ازدهـرت الـبلاد في الفـن والـدين في ظـل الأمـن العسـكري والسياسة والأمن الزراعي. وعلى عكس موقف نخبة الدولة القديمة تجاه الآلهة، شهدت الدولة الوسطى زيادة في التعبير عن "التقوى الشخصية" أو ما يمكن أن يسمى "ديموقراطية الحياة الآخرة"، التي تعطي لكل فرد روحاً من الممكن أن تكون مرحباً بها بجوار الآلهة بعد الموت. كما تميز الأدب في المملكة الوسطى بالمؤلفات المتطورة المواضيع والشخصيات المكتوبة في أسلوب بليغ وجرئ، والنحت النافر والتصويري لفترة الاعتقالات الخفية، كانت تفاصيل فردية وصلت إلى مستويات جديدة من الكمال التقني.

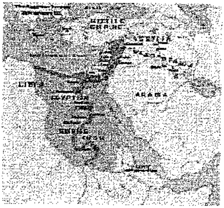
سمح آخر حكام الدولة الوسطى، أمنمحات الثالث، بالمستوطنين الآسيويين بالعيش في منطقة الدلتا، لتوفير قوة عاملة كافية لا سيما في التعدين النشط وبناء المدن. ولاحقاً، أدت أعمال البناء الطموحة تلك، وأنشطة التعدين، بالإضافة إلى عدم كفاية فيضانات النيل لاحقاً في مُلكة، إلى توتر اقتصادي عجل من الاضمحلال إلى الفترة الانتقالية الثانية خلال عصر الأسرتين الثالثة عشر والرابعة عشر .وخلال هذا الاضمحلال، بدئت الطائفة الأجنبية الآسيوية في السيطرة على منطقة الدلتا، مما أدى لاحقاً وفي نهاية المطاف إلى بسط سلطتهم على مصر وعرفوا بالهكسوس .

الفترة الانتقالية الثانية والهكسوس

في حوالي 1650 ق.م، ومع ضعف سلطة فراعنة الدولة الوسطى، سيطر المهاجرين والمستوطنين الآسيويين الذين يعيشون في منطقة شرق الدلتا في بلدة زوان على المنطقة وأجبرت الحكومة المركزية على التراجع إلى طيبة، حيث كان يعامل الفرعون كتابع

ويــدفع الجزيــة. قلــد الـهـكســوس ("الحكــام الأجانــب" أو "الملــوك الرعــاة") نمــاذج الحكــم والحكومــة المصــرية، فنصــبوا أنفســهم فراعنـــة، وبالتـــالي دمجـــت العناصـــر المصـــرية في ثقافـــة العصـــر البرونزي.

وجـد ملـوك طيبــة أنفسـهم بعـد انسـحابهم محاصـرين بـين الـهكسـوس مـن الشـمال وحليفـة الـهكسـوس، مملكـة كـوش مـن الجنوب. وبعد مرور ما يقارب 100 عام على سيطرة الـهكسوس على الحكـم الـذي كـان يتصـف بـالتراخي والخمـول الثقـافي، اسـتطاعت قوات طيبة من جمع ما يكفي من القوة لتحدي الـهكسوس لصـراع استمر لمدة 30 عـام، وذلـك قبل حلـول العـام 1555 ق.م وقد تمكـن الفرعونان سقنن رع الثاني وكـامس من هزيمة النوبيين في الكـوش، لكـن يرجـع فضـل القضـاء علـى الـهكسـوس نهائيـاً في مصـر لخليفة كـامس الفرعـون أحمس الأول في عصـر الدولـة الحديثـة الـتي تلـت ذلك، أصـبحت العسـكرية أولوية رئيسية بالنسبة إلى الفراعنـة الـذين سـعوا إلى توسـيع لحـدود مصـر وتـأمين هيمنـة كـاملـة لـها في الشـرق الأدنى.



أقصى حد الإقليمية لمصر القديمة (القرن 15 قبل الميلاد)

الدولة الجديدة

أنشأ فراعنة المملكة الجديدة فترة ازدهار غير مسبوقة بتأمين حدودها وتعزيز العلاقات الدبلوماسية مع جيرانها. شنت الحملات العسكرية تحت قيادة تحتمس الأول وحفيده تحتمس الثالث مدت نفوذ الفراعنة في سوريا وبلاد النوبة، تدعيماً للولاء وفتح فرص الحصول على الواردات الحساسة مثلاالبرونز والخشب .وبدء ملوك وفراعنة الدولة الحديثة حملة بناء واسعة النطاق لتعزيز الإلهأمون، الذي ازدادت عبادته وكانت مقراً في معبد الكرنك. كما أنهم شيدوا الصروح لتمجيد الإنجازات الخاصة بهم، سواء كان حقيقيةً أو تخيلاً. وقد استخدمت الملكة الأنثى حتشبسوت مثل هذه الدعاية لتضفي شرعية على دعواها إلى العرش .وتميز عصرها الناجح بالبعثات التجارية إلى بنط، ومعبد جنائزي أنيق، بالإضافة إلى زوج من المسلات الضخمة ومعبد في الكرنك. وعلى الرغم من إنجازاتها، سعى ربيب حتشبسوت، تحتمس الثالث لمحو ارثها قبيل نهاية حكمة، الأمر الذي قد يكون بدافع الانتقام لاغتصابها عرشه .



أربعة تماثيل ضخمة لرمسيس الثاني الجناح مدخل معبد أبو سمبل له.

حوالي العام 1350 ق.م، هُددَ استقرار الدولة الجديدة عندما وصل أمنحوتب الرابع إلى العرش، الذي وضع سلسلة من الإصلاحات الفوضوية والجذرية. بتغير اسمه إلى (إخناتون) أي عبد (أتون)، روج أمنحوتب الرابع إله الشمس أتون على أنه الإله الأعلى، وعلى أنه واحدٌ لا شريك له، ووحد عبادة جميع الآلهة في عبادة أتون، حيث قمع ومنع عبادة آلهة أخرى غير أتون، وهاجم سلطة وقوة المؤسسة الكهنوتية في ذلك الوقت. بالإضافة لنقله العاصمة إلى (مدينة أخناتون الجديدة) تل العمارنة حالياً، ولم يكترث للشؤون الخارجية وانكب على استيعاب نفسه في دينة الجديد وأسلوبه الفني. بعد وفاته، تم التخلي سريعاً عن عبادة أتون، وقام كلٌ من توت عنخ أمون وخپر خپرو رع آي، وحورمحب بمسح جميع التفاصيل العائدة لبدعة إخناتون، أو كما تعرف باسم فترة تل العمارنة.

وعند تولي رمسيس الثاني العرش، والمعروف أيضاً برمسيس العظيم، وذلك في حوالي 1279 ق.م، عمل على بناء المزيد من المعابد، وإقامة المزيد من التماثيل والمسلات، بالإضافة لإنجابه أطفال أكثر من أي فرعون في التاريخ .وقاد بجراءة في معركة قادش ضد الحيثيين، والتي أسفرت وبعد قتالٍ عنيف دام لأكثر من 15 عاماً، عن أول وأقدم معاهدة سلام عرفها التاريخ، وكان ذلك في العام 1258 ق.م. وكانت ثروة مصر ونمائها الاقتصادي والاجتماعي سبباً جعل مصر وأرضها أرضاً مغرية للغزو من القوى الأجنبية، خاصةً الليبيين وشعوب البحر. تمكن الجيش في بداية الأمر من صد هذه الغزوات وردعها، ولكن مع زيادة وتكثيف الغزوات فقد مصر السيطرة على أراضي سوريا وفلسطين. وزاد تأثير التهديدات الخارجية مع تفاقم المشاكل الداخلية مثل الفساد وسرقة

المقابر والاضطرابات المدنية. وقام كبار الكهنة في معبد أمون في طيبة بجمع مساحات شاسعة من الأرض والثروة، وأدت قوتهم المتزايدة إلى انشقاق البلاد خلال الفترة الوسطى الثالثة (عصر الاضمحلال الثالث).



حوالي 730 قبل الميلاد الليبيين من الغرب كسر الوحدة السياسية للبلد.

الفترة الانتقالية الثالثة:

بعد وفاة رمسيس الحادي عشر في 1078 ق.م، فرض سمندس السلطة على الجزء الشمالي من مصر، وجعل مدينة تانيس مقر حكمه. أما الجنوب، فقد كان واقع فعلياً تحت سيطرة "كهنة آمون في طيبة"، الذين اعترفوا بحكم سمندس بالاسم فقط. وخلال هذا الوقت، استقر الليبيون ضمن قبائل في منطقة غرب الدلتا، وبدأ شيوخ تلك القبائل في زيادة سلطتهم تدريجياً. وسيطر أمراء ليبيا على الدلتا تحت إمارة شيشنق الأول في 945 ق.م، وأسس ما يسمى أسرة بوباستيس التي حكمت لنحو 200 عاما. كما سيطر شيشنق أيضا على جنوب مصر من خلال وضع أفراد من أسرته في مراكز كهنوتية هامة. ولكن بدأت سيطرة الليبيون في التآكل مع نشأت سلالات منافسة في منطقة دلتا

وتهديد أسرة مملكة الكوش من الجنوب. وبحلول 727 ق.م، غزا الملك الكوشي بعنخي الشمال، وسيطر في نهاية المطاف على طيبة والدلتا.

انهارت هيبة مصر بعيدة المدى انهيرا كبيرا نحو نهاية الفترة الوسطى الثالثة. حيث قل حلفائها الأجانب في إطار نفوذ الإمبراطورية الآشورية وبحلول 700 قبل الميلاد أصبحت الحرب بين البلدين أمرا حتميا. بدء الآشوريين هجومهم وغزوهم على مصر في الفترة بين 671 و 667 ق.م. وقد امتلأت منطقة كل من الملكي الكوشيين طهارقة وخليفته، تنتامانى، بصراع مستمر مع الآشوريين، ضد الحكام النوبيين الذين تمتعوا بالعديد من الانتصارات. في نهاية المطاف، دفع الآشوريين الكوشيون وأجبروهم على العودة إلى النوبة، واحتلوا ممفيس، وعزلوا معابد طيبة .

العصر المتأخر

مع عدم وجود خطط دائمة للغزو، ترك الآشوريون السيطرة على مصر لسلسلة من التوابع التي أصبحت تعرف باسم ملوك سايت من الأسرة السادسة والعشرين. وبحلول 653 ق.م تمكن ملك السايت إبسماتيك الأول من طرد الآشوريين بفضل المرتزقة اليونانية الذين تم تجنيدهم لتشكيل أول بحرية مصرية. ثم امتد تأثير اليونان بشكل كبير حيث أصبحت مدينة نيكراتيس وطن اليونانيين في منطقة دلتا. واستقر ملوك سايت في مقرهم الجديد في العاصمة سايس لفترة وجيزة لكونها شهدت نشاط في الاقتصاد والثقافة، ولكن في 525 ق.م، بدأ الفرس ذو النفوذ بقيادة قمبيز الثاني، غزوهم لمصر، وفي النهاية أسر الفرعون بسماتيك الثالث في

معركة الفرما. ثم تولى قمبيز الثاني لقب فرعون رسميا، لكنه حكم مصر من مسقط رأسه شوشان، وترك مصر تحت حكم أحد الساتراب. وقد شهد القرن الخامس قبل الميلاد نجاح بعض الثورات ضد الفرس، ولكن مصر لم تكن قادرة على الإطاحة الدائمة بالفرس.

وبعد ضم مصر من قبل الفرس، انضمت مصر مع قبرص وفينيقيون في الساتراب السادس من الامبراطورية أخمينيونية الفارسية. انتهت الفترة الأولى من الحكم الفارسي على مصر، والمعروفة أيضاً بالأسرة السابعة والعشرين، في 402 ق.م، وفي الفترة ما بين 380- 343 ق.م، حكمت الأسرة الثلاثون كآخر الأسر الملكية المحلية في مصر، والتي انتهت من مع حكم الملك ناختورب الثاني. حدثت بعد ذلك محاولة متواضعة لاستعادة الحكم الفارسي، تعرف أحياناً باسم الأسرة الحادية والثلاثون، بدئت في 343 ق.م، وانتهت بعدها في 332 ق.م بتسليم الحاكم الفارسي مازاسيس بتسليم مصر إلى الإسكندر الأكبر من دون قتال.

أسرة البطالمة

غزا الإسكندر الأكبر مصر في 332 ق.م، ووجد مقاومة لا تذكر من الفرس، في حين رحب به من قبل المصريون باعتباره المخلص من الحكم الفارسي. استندت الإدارة التي أنشئها البطالمة خلفاء الأسكندر، على النموذج المصري للحكم، واتخذت من مدينة الإسكندرية الجديدة عاصمة لها. وكان الغرض الأساسي لها هو عرض قوة وسيادة الحكم اليوناني، وأصبحت مقرا للتعليم

والثقافة، وتركزت في مكتبة الإسكندرية الشهيرة. وأضاءت منارة الإسكندرية الطريق لكثير من السفن التجارية التي تتدفق عبر المدينة، حيث جعل البطالمة التجارة والمشاريع المدرة للدخل، مثل صناعة ورق البردى، على رأس الأولويات .

ولم تحل الثقافة اليونانية محل الثقافة الوطنية المصرية، حيث أيد البطالمة التقاليد الاجتماعية والدينية المتبعة على مر الزمان في محاولة لضمان ولاء السكان. وقاموا ببناء معابد جديدة على غرار الطراز المصري لدعم المعتقدات الدينية التقليدية، وصوروا أنفسهم كالفراعنة. من جهة أخرى، اندمجت بعض التقاليد المصرية واليونانية معا، حيث ولفت الألهة المصرية مع اليونانية في إطار ديني واحد، مثل سيرابيس، وأعمال الزخرفة اليونانية التي جسدت وتأثرت بالزخارف المصرية التقليدية. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لتهدئة المصريين، اعترض البطالمه تمرد محلي كان من الأسر المحلية المنافسة، وتجمع الإسكندرية ذو النفوذ الذي تشكل بعد وفاة بطليموس الرابع. بالإضافة إلى ذلك، ومع ازدياد اعتماد روما على واردات الحبوب من مصر، أولى الرومان اهتماماً كبيراً للحالة السياسية للبلاد. وأدى تواصل الثورات المصرية، والطموح السياسي لدى البعض والمعارضين السوريين الأقوياء إلى عدم استقرار الأوضاع الداخلية، مما أجبر روما على إرسال قوات لتأمين البلاد باعتبارها مقاطعة من الامبراطورية.



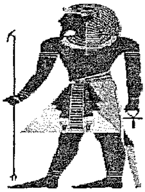
جسدت لوحات مومياوات الفيو متداخل الثقافة الرومانية مع الثقافة المصرية الفرعونية.

أصبحت مصر محافظة من الإمبراطورية الرومانية في العام 30 ق.م، بعد هزيمة ماركوس أنطونيوس والملكة البطلمية كليوباترا السابعة من قبل أغسطس قيصر في معركة أكتيوم. واعتمد الرومان بشكل كبير على شحنات الحبوب القادمة من مصر، وقمعت الفيالق الرومانية التمرد والمتمردين، وساعدت في تحصيل الضرائب الكبيرة، وكافحت ظاهرة قطاع الطرق والتي كانت منتشرة بكثرة في ذلك الوقت. وأصبحت الإسكندرية مركزاً متزايد الأهمية على طريق التجارة مع الشرق، في الوقت الذي زاد فيه الطلب في روما على وسائل الرفاهية والكماليات.

على الرغم من أن الرومان كانوا أكثر عداءً تجاه المصريين من اليونانيين، استمرت بعض التقاليد مثل التحنيط وعبادة الآلهة التقليدية. وازدهر فن تصوير المومياء، وصور بعض من

الأباطرة الرومان أنفسهم كالفراعنة، ولكن ليس بنفس القدر في عصر البطالمة. وأصبحت الإدارة المحلية رومانية في الأسلوب ومغلقة أمام المصريون .

منذ منتصف القرن الأول الميلادي، ترسخت وانتشرت الديانة المسيحية في الإسكندرية لأنها كانت تعد عبادة أخرى يمكن أن تكون "مقبولة". غير أنه دين لا يقبل الوثنية ويسعى إلى الحصول على المهتدين من الوثنية ويهدد التقاليد الدينية الشعبية. وأدى ذلك إلى اضطهاد المتحولين إلى المسيحية، وبلغ هذا الاضطهاد ذروته في عمليات التطهير الكبيرة في عصر ديوكلتيانوس بدءا من عام 303 ميلادي، إلا أنه وفي نهاية المطاف استطاعت المسيحية أن تنتشر بعد اعتناق إمبراطور مصر لها. وفي سنة 391 ميلادي أصدر الإمبراطور المسيحي ثيودوسيوس الأول تشريعاً يحظر الطقوس الوثنية وأغلق المعابد. وبذلك أصبحت الإسكندرية مسرحاً لأعمال شغب مناهضة للوثنية وتدمير للرموز الدينية الخاصة والعامة. ونتيجة لذلك، استمرت ثقافة مصر الوثنية في الانحدار والاندثار. في حين واصل السكان الأصليين التحدث بلغتهم، اختفت ببطء القدرة على قراءة الكتابات الهيروغليفية حيث تضاءل دور كهنة وكاهنات المعابد المصرية. وتم تحويل بعض المعابد إلى كنائس، وتهجير أخرى.



فحجم تمثال الفرعون كان يصور عادة ارتداء الرموز الملكية والسلطة.

كان الفرعون- من الناحية النظرية على الأقل- العاهل المطلق للبلاد ، ويملك السيطرة الكاملة على الأرض ومواردها. وكان الملك القائد الأعلى للجيش ورئيس للحكومة ، والذي اعتمد على مسؤولين بيروقراطيين في إدارة شؤونه. الرجل الثاني في القيادة والمسئول عن الإدارة هو الوزير، الذي يعد نائب الملك وممثله، حيث نسق عمليات مسح الأراضي، والخزانة، وبناء المشاريع، والنظام القانوني والمحفوظات .وعلى الصعيد الإقليمي، كانت البلاد مقسمة إلى ما يصل إلى 42 منطقة إدارية تسمى كل منها قطاعات يحكمها رئيس القطاع، الذي كان مسؤولا أمام الوزير عن نطاق سلطته. وشكلت المعابد العمود الفقري والبنية الأساسية للاقتصاد. حيث لم يقتصر دورها على أنها دور العبادة فقط، ولكن كانت مسؤولة أيضاً عن جمع وتخزين الثروة الوطنية في نظام من مخازن الحبوب والخزانات التي يديرها المشرفين ثم يقوموا بإعادة توزيعها .

كان جزء كبير من الاقتصاد ينظم مركزيا ومحكم برقابة صارمة. على الرغم من أن المصريين القدماء لم

يستخدموا العملات حتى العصر المتأخر، إلا أنهم استخدموا نوع من نظام مقايضة المال، باستخدام أكياس قياسية من الحبوب و"الديبن" ،ذات وزن تقريبي 91 جراماً من النحاس والفضة .حيث تقاضى العمال أجورهم بالحبوب؛ فالعامل البسيط قد يكسب خمسة حصص ونصف (ما يقارب 200 كجم) من الحبوب شهريا ، في حين أن كبير العمال قد يكسب سبعة حصص ونصف (250 كجم). كانت الأسعار ثابتة في جميع أنحاء البلاد ومسجلة في قوائم لتسهيل التجارة، على سبيل المثال كانت تكلفة القمصان خمسة ديبن من النحاس، في حين أن تكلفة البقرة 140 ديبن. كما أمكن تبادل الحبوب مع السلع الأخرى، وفقا لقائمة الأسعار الثابتة خلال القرن الخامس قبل الميلاد ، اخترع المال وقدم إلى مصر من الخارج. في البداية استخدمت العملات كقطع موحدة من المعدن النفيس بدلا من المال الحقيقي، ولكن سرعان ما اعتمد التجار الدوليون على العملات في القرون التالية.

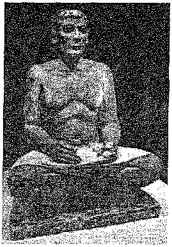
الحالة الاجتماعية

كان المجتمع المصري مجتمع طبقي بدرجة عالية، وكانت الفئة الاجتماعية عنصر مهم في كيان وشخصية المرء. احتل المزارعون النصيب الأكبر من السكان في ذلك الوقت، إلا أن المنتجات والأراضي الزراعية كانت مملوكة من قبل الدولة أو المعبد أو في بعض الأحيان تكون مملوكة من قبل أحد الأسر النبيلة .كما خضع المزارعون لضريبة العمل، وكانوا يعملون في مشاريع البناء أو الري بنظام سخرة|السُخرة. أما الفنانين والحرفيين، فقد كانوا بمركز أعلى وأرقى من فئة المزارعين، إلا أنهم كانوا أيضاً تحت

سيطرة الدولة المباشرة، حيث كانوا يعملون في معابد الدولة، ويتلقون رواتبهم مباشرةً من خزينة الدولة. وشكل الكُتّاب والمسؤولون الطبقة العليا في مصر القديمة، أو ما يسمى "طبقة التنورة البيضاء" في إشارة إلى الملابس البيضاء التي كانت بمثابة علامة على مكانتهم .وصور الأدب والفن بشكل واضح وضع الطبقة العليا من الشعب، حيث حظوا بنصيبٍ وافرٍ من الذكر والإشارة في مجالات الثقافة المختلفة. واحتل الكهنة والأطباء والمهندسين المدربين على اختصاصات معينة المرتبة ما قبل مرتبة النبلاء. وقد عرفت مصر القديمة العبودية في ذلك الوقت، لكن لا تزال المعلومات والدلائل عليها ذات نطاق ضيق .

ساوى قدماء المصريون قانونياً بين جميع الطبقات الاجتماعية، من الرجال والنساء إلا العبيد، حيث كان لأقل الفلاحين التقدم بالالتماس إلى الوزير وحاشيته طلباً للعدل. وجعل لكلّ من الرجال والنساء الحق في امتلاك وبيع الممتلكات، وتنظيم العقود والحق في الزواج والطلاق، بالإضافة للحق في الميراث وإنشاء محاكم للفض بين المنازعات القانونية. وقد أمكن للمتزوجين التملك معاً، وبصورة مشتركة. بالإضافة إلى حماية المرأة عند الطلاق، حيث تنص عقود الزواج على الالتزامات المالية للزوج على زوجته وأولاده حتى بعد الطلاق. وبمقارنة النساء مع نظرائهم في اليونان القديمة، بل وحتى مع حضارات أكثر حداثة، كانت للمرأة المصرية في ذلك الوقت حرية اختيار، وفرص متاحة للتحقيق أكثر من أي امرأة أخرى في تلك الحقبة. فأصبحت نساء مثل حتشبسوت وكليوباترا من الفراعنة، في حين أن البعض الآخر مارس سلطة كبيرة مثل زوجات آمون المقدسة. وعلى الرغم من كل تلك الحريات، لم تشارك المرأة المصرية القديمة في الأدوار الرسمية

الرئيسية، وخدمت كعنصر ثانوي في المعابد، وعموماً، لم تكن المرأة تحصل على نفس القدر من التعليم مقارنةً مع الرجال .



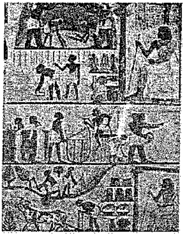
وكانت تماثيل الكتبة النخبة وتعليما جيدا. تقييم والضرائب، والاحتفاظ بالسجلات، وكانت مسؤولة عن الإدارة.

النظام القانوني

رأس الفرعون النظام القانوني رسمياً، وكان مسؤولاً عن سن القوانين وتحقيق العدالة، والحفاظ على القانون والنظام، وهو مفهوم لدى المصريين القدماء ويشار إلى بالآله ماعت. وعلى الرغم من عدم وجود أي قوانين باقية حتى الآن من مصر القديمة، أظهرت وثائق إحدى المحاكم أن القانون المصري كان قائم على وجود نظرة عامة حسية بالصواب والخطأ، حيث كان يشدد على ضرورة التوصل إلى اتفاقات وتسويات سلمية للنزاعات والصراعات. وكان مجلس الشيوخ المحلي، المعروف باسم الكينبيت في الدولة الجديدة، المسؤول عن البت في القضايا والخلافات الصغيرة التي تعرض على المحكمة. أما عن النزاعات والصراعات الأشد خطورة، مثل القتل، واختلاس أراضي الدولة، والسطو على المقابر فكانت تحال إلى ما

يسمى الكينبيت/الكبير الذي يترأسه الوزير أو الفرعون نفسه في بعض الحالات. وكان من المتوقع أن يمثل المدعون والمدعى عليهم بأنفسهم ويُطلب منهم قسم اليمين على قول الحقيقة. في بعض الحالات، أخذت الدولة دور كل من المدعي العام والقاضي، وكان تعذيب المتهم بالضرب للحصول على اعتراف وأسماء أي من المتآمرين أمرٌ لا بأس به. ولا يهم إذا ما كانت التهم تافهة أو خطيرة، حيث يقوم كتبة المحكمة بتوثيق الشكوى، والشهادة، والحكم الصادر في القضية للرجوع إليها في المستقبل عند الحاجة.

ينطوي العقاب في الجرائم البسيطة إما على فرض الغرامات، أو الضرب، أو التشويه في الوجه، أو النفي، وهذا يتوقف على شدة الجريمة. أما الجرائم الخطيرة مثل القتل وسرقة المقابر فكانت عقوبتها الإعدام، والتي تتم بقطع الرأس، أو الإغراق، أو وضع الجاني على عمود ليخترق جسمه. وقد تمتد العقوبة لتشمل عائلة الجاني. وابتداء من المملكة الجديدة، لعب الأوراكل (أشخاص على اتصال بالآله) دوراً رئيسياً في النظام القانوني، وإقامة العدل في القضايا المدنية والجنائية. حيث كانوا يقومون بسؤال الآله سؤال يكون جوابه "نعم" أو "لا" بشأن صحة وحقيقة قضيةً ما. ثم يصدر الإله الحكم، يقوم به عدد من الكهنة، عن طريق اختيار واحدة أو أخرى مباشرةً، أو التحرك إلى الأمام أو الخلف، أو الإشارة إلى واحد من الأجوبة المكتوبة على قصاصة من ورق البردي أو قطعة حجر.



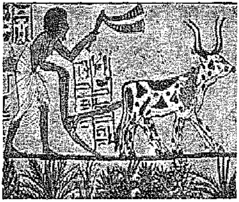
ويصور عمال الإغاثة قبر حراثة الحقول، حصاد المحاصيل، ودرس الحبوب تحت إشراف أحد المشرفين.

ساهمت مجموعة من المعالم الجغرافية المواتية في نجاح الثقافة المصرية القديمة، والتي من أهمها كانت التربة الخصبة الغنية والناجمة عن الفيضان السنوي لنهر النيل. ولذلك كان المصريون القدماء قادرون على إنتاج كمية وافرة من الغذاء، والتي تسمح للسكان بتكريس مزيد من الوقت والموارد للأنشطة الثقافية والتكنولوجية والفنية. كما كانت إدارة الأراضي أمر بالغ الأهمية في مصر القديمة بسبب الضرائب المقررة على أساس مساحة الأراضي المملوكة للشخص.

اعتمدت الزراعة في مصر علىى دورة نهر النيل. عرف المصريون ثلاثة فصول في (السنة؛ أخت) الفيضان (بيريت) الزراعة (شيمو الحصاد). ويستمر موسم الفيضانات من يونيو وحتى سبتمبر، حيث يرسب على ضفاف النهر طبقة من الطمي الغنية بالمعادن المثالية لزراعة المحاصيل. بعد انحسار مياه الفيضان، يبدأ موسم النمو من أكتوبر وحتى فبراير. ثم يزرع

ويحرث المزارعون البذور في الحقول، والتي كانت تُروى من المصارف والقنوات. وكان اعتماد المزارعين على مياه النيل بشكل أساسي لكون نصيب مصر السنوي من الأمطار قليلٌ نسبياً بالمقارنة بحجم الفيضان وفي الفترة من مارس إلى مايو، يستخدم المزارعون المنجل لحصد محاصيلهم، ثم تدخل الحبوب في عملية لفصل القش من الحبوب، بعد ذلك تقشر الحبوب وتخمر لصنع الجعة أو تخزن لاستخدامها لاحقاً.

قام المصريون القدماء بزراعة قمح ايمر والشعير، وعدد آخر من محاصيل الحبوب، والتي تستخدم لصنع مكونان الغذاء الرئيسيان، الخبز وشراب الشعير. واقتلعوا نباتات الكتان قبل ازدهارها، والتي تزرع من أجل ألياف سيقانها. ثم تتقسم هذه الألياف على مدى طولها وتنسج إلى خيوط والتي تستخدم في نسج أقمشة الكتان لصنع الملابس. كما استخدام البردي النامي على ضفاف النيل لصنع الورق. أما الخضروات والفاكهة، فقد كانت تزرع في حدائق مخصصة، بالقرب من منطقة سكنية ومرتفع، وكانت لابد أن تسقى باليد. وشملت الخضراوات الكراث والثوم والبطيخ والقرع والبقول، والخس وغيرها من المحاصيل، بالإضافة إلى العنب الذي صُنع منه الخمر .



Sennedjemالمحاريث حقوله مع زوج من الثيران، كما تستخدم الحيوانات من عبء ومصدرا من مصادر الغذاء.

الحيوانات

اعتقد المصريون أن العلاقة المتوازنة بين الناس والحيوانات عنصرا أساسيا في النظام الكوني، ومن ثم أعتقد أن الإنسان والحيوان والنبات أعضاء من كيان واحد ولذلك كانت الحيوانات، سواء المستأنسة أو البرية، تشكل مصدراً حيوياً للروحانية، والرفقة، ومؤازرة القدماء المصريين. وشكلت الماشية أهم الموارد الحيوانية؛ وكانت الحكومة تجمع الضرائب على الثروة الحيوانية في إحصاءات رسمية منتظمة، وعكس حجم القطيع مكانة وأهمية النبلاء أو المعبد التي تملكها. وربى المصريون القدماء أيضاً الأغنام والماعز والخنازير. أما الطيور المستأنسة مثل البط والإوز والحمام فقد حجزت في شباك وربُيت في مزارع، حيث غُذيت بالإكراه بالعجين لغرض تسمينها. وكان النيل مصدراً وفيراً من الأسماك والثروة السمكية. واستأنس النحل منذ- على الأقل- عصر الدولة القديمة، وزودت المصريين بالعسل والشمع .

وكان استخدام الحمير والثيران إما لغرض الحمل والنقل أو الحرث وتنسيق التربة. ساهمت الثيران- الخَصبة تحديداً- بلحومها وكانت جزءاً أساسياً من طقوس القرابين. وأدخل الهكسوس الخيول في المرحلة الانتقالية الثانية إلى البلاد، ولم تظهر الإبل كحيوانات عاملة إلا في العصر المتأخر رغم اكتشافها منذ الدولة الحديثة. وهناك أيضا أدلة تشير إلى أن الفيلة استخدمت لفترة قصيرة في العصر المتأخر، ولكن تم الاستغناء عنها إلى حد كبير

بسبب نقص المراعي البرية التي تحتاجها. كانت الكلاب والقطط والقرود حيوانات أليفة لدى العامة، في حين أن الحيوانات الأكثر تطرفاً وغرابة على المصريين مثل الأسود، كانت تستورد من وسط أفريقيا وتمتلك من قبل النبلاء والملوك فقط. وقد لاحظهيرودوت أن المصريين هو الشعب الوحيد في ذلك الوقت الذي ربى الحيوانات داخل منازلهم. وخلال الفترتين، فترة ما قبل الأسر والعصر المتأخر، انتشرت بشكل كبير وشعبي للغاية عبادة الآله في شكل وهيئة حيواناتهم، مثل القط باستت، وأبو منجل تحوت، وقد ربيت هذه الحيوانات في المزارع بأعداد كبيرة لغرض طقوس التضحية.

الموارد الطبيعية

مصر هي منطقة غنية بأحجار البناء والديكور مثل خام النحاس والرصاص والذهب، والأحجار شبه الكريمة. أتاحت هذه الموارد الطبيعية لقدماء المصريين بناء النصب التذكارية، ونحت التماثيل، وصناعة الأدوات وأنماط المجوهرات. وفي التحنيط، استخدم المحنطون الملح منواد النطرون لصنع المومياء، والجبس لصنع الجص. وتم العثور على تكوينات صخرية تحمل معادن خام في أماكن، حيث وجدت في صحراء سيناء، والوديان البعيدة في الصحراء الشرقية، مما تطلب بعثات استكشافية كبيرة الحجم تحت سيطرة الدولة لجلب والحصول على الموارد الموجودة هناك. كما كان هناك مناجم ذهب كثيفة في النوبة، وتعد واحدة من أولى الخرائط المعروفة في العالم هي لمنجم ذهب في هذه المنطقة. كما كانت منطقة وادي الحمامات ابرز مصادر الجرانيت والأحجار المرملية والذهب. وكان حجر الصوان أول معدن جمع واستخدم في

صنع الأدوات، وتعتبر الفأس اليدوية المصنوعة من الصوان هي أقرب شواهد السكن في وادي النيل. وقد قشرت العقيدات من المعادن بعناية لجعل الشفرات والنصال معتدلة الصلابة والمتانة حتى بعد استخدام النحاس لهذا الغرض.

واستخرج المصريون الرصاص من منطقة جبل الرصاص، وعمدوا على إدخال صناعته إلى التماثيل الصغيرة وأثقال شبكة الصيد. وكان النحاس هو أكثر المعادن الهامة لصنع الأدوات في مصر القديمة، وكانت تصهر في أفران من المرمر الخام المستخرج من سيناء. وجمع العمال الذهب بغسل كتل الذهب لتصفيته من الشوائب وأخذ الرواسب، أو- في بعض الأحيان- عن طريق تكرير عملية طحن كتل الذهب وغسلها لتفريقها عن الكوارتز. أما رواسب الحديد فتم العثور عليها في مصر العليا، ولم تستخدم إلا في العصر المتأخر. وكانت أحجار البناء عالية الجودة توجد بوفرة في مصر؛ حيث وجد وبحث المصريون القدماء عن الحجر الجيري على طول وادي النيل، والجرانيت من أسوان، والبازلت والحجر الرملي من أودية الصحراء الشرقية. انتشرت رواسب أحجار الزينة مثل الرخام السماقي والأحجار الرملية، والمرمر والكارملين في أنحاء الصحراء الشرقية، وجمعت حتى قبل نشأة الأسرة الأولى. وفي الفترتين البطلمية والرمانية، استخرج عمال المناجم الزمرد في منطقة وادي سيكات، وحجر الجمشت الكريم من وادي الهدي .

التجارة

تعامل المصريون القدماء بالتجارة مع الدول الخارجية المجاورة للحصول على السلع الغريبة النادرة التي لا توجد في مصر.

وبدأت التجارة مع النوبة في عصر ما قبل الأسر، لجلب على الذهب والبخور. أقاموا أيضا نشاطاً تجارياً مع فلسطين، حيث اتضح من نمط أباريق الزيت الفلسطينية التي وجدت في قبور فراعنة الأسرة الأولى .واستمرت مستعمرة مصرية في جنوب كنعان حتى قبل الاسرة الأولى بقليل. وقام الملك نارمر بتصدير الفخار المصري المنتج في كنعان إلى مصر .

و مع بداية حكم الأسرة الثانية، تاجر المصريين جبيل وأصبحت مصدراً حيوياً لنوعية الأخشاب غير الموجودة في مصر. وبعد تولي الأسرة الخامسة الحكم، وفرت بلاد بنط للمصرين الذهب، والراتنجات المعطرة وخشب الأبنوس والعاج، وبعض الحيوانات البرية مثل القردة والرياح .واعتمدت مصر في القصدير على الأناضول، حيث وردت لهم كميات كبيرة من القصدير وامدادات ضرورية من النحاس، اللذان يعتبران ضرورياً لصنع البرونز. وقد اهتم المصريون بحجر اللازورد الأزرق وقدروا قيمته، غير أنه تطلب الحصول عليه جلبه من أفغانستان لبعيدة. وشملت قائمة شركاء المصريين في البحر الأبيض المتوسط اليونان وكريت، اللذان قدما سلع وإمدادات كان أهمها زيت الزيتون. وفي مقابل الواردات الفاخرة والمواد الخام التي استوردتها مصر، صدرت مصر بشكل رئيسي الحبوب، والذهب، والكتان، وورق البردى، إضافة إلى السلع تامة الصنع، متضمنتاً المواد المصنوعة من الحجارة والزجاج .

اللغة

التطور التاريخي

اللغة المصرية في الهيروغليفية ***r n kmt***

INCLUDEPICTURE "http://bits.wikimedia.org/static-1.23wmf1/extensions/wikihiero/img/hiero_D21.png" * MERGEFORMATINET 	INCLUDEPICTURE "http://bits.wikimedia.org/static-1.23wmf1/extensions/wikihiero/img/hiero_N35.png" * MERGEFORMATINET 	INCLUDEPICTURE "http://bits.wikimedia.org/static-1.23wmf1/extensions/wikihiero/img/hiero_I6.png" * MERGEFORMATINET 	INCLUDEPICTURE "http://bits.wikimedia.org/static-1.23wmf1/extensions/wikihiero/img/hiero_G17.png" * MERGEFORMATINET 	INCLUDEPICTURE "http://bits.wikimedia.org/static-1.23wmf1/extensions/wikihiero/img/hiero_X1.png" * MERGEFORMATINET 

تصنف اللغة المصرية كلغة شمال أفرو آسيوية، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالبربرية واللغات السامية. ولها تاريخ أطول من أي لغة على وجهه الأرض، حيث كُتبت من 3200 ق.م إلى العصور الوسطى والمتبقية، وظلت تنطق لفترة أطول بعد توقف كتابتها. وقد تطورت اللغة المصرية ومرت بمراحل عدة، فبدايةً كانت اللغة المصرية القديمة، ثم أصبحت المصرية الوسطى، وبعد ذلك ظهرت اللغة المصرية المتاخرة، ثم الديموطيقية والقبطية .ولا تظهر الكتابات المصرية أي اختلافات قبل القبطية، ولكنها كانت على الأرجح منطوقة في جميع أنحاء ممفيس وطيبة .

وكانت تعتبر المصرية القديمة لغة اصطناعية، إلا أنها تحولت لاحقاً وأصبحت أكثر تحليلية. ثم طور المصريون القدماء المواد السابقة المحددة وغير المحددة التي تحل محل تصريف اللواحق القديمة. وقد حدث بالإضافة لما سبق تغير في ترتيب الجمل فمن "فعل فاعل مفعول به" إلى "فاعل فعل مفعول به". وتحولت واستبدلت في نهاية المطاف الهيروغليفية المصرية والهيراطيقيةوالكتابات المحلية إلى أبجدية أكثر صوتية هي الأبجدية القبطية. ولا يزال يستخدم القبط هذه الأبجدية في قداسات الكنسية القبطية الأرثوذكسية، بل وتركت أثراً في اللهجة العربية المصرية.

الأصوات وقواعد اللغة

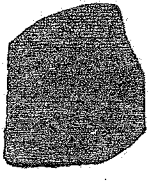
لدى اللغة المصرية القديمة 25 ساكناً مماثلاً لجميع سواكن اللغات الأفرو- آسيوية. وقد شملت الحروف الساكنة المشددة والحلقية، والأوقاف الصوتية والغير صوتيه، بالإضافة للحروف الاحتكاكية بغير صوت والأصوات الساكنة

والغير صوتيه. كما تشمل ثلاث أحرف علة طويلة وثلاث قصيرة، والتي توسعت لاحقاً إلى نحو تسعة. ويتشابه أصل الكلمة الأساسية المصرية بالسامية والبربرية، وهو جذر ثلاثي أو ثنائي الحروف الساكنة وشبه الساكنة وتضاف اللواحق لتُكون الكلمات. واقتران الفعل يتوافق مع شخص. على سبيل المثال، الهيكل الثلاثي الساكن س- م- ع هو الجوهر الدلالي لكلمة "سمع"؛ الاقتران الأساسي هو "يسمع". إذا كان الفاعل هو اسما، لا تضاف اللواحق إلى فعل: "تسمع المرأة".

وقد اشتقت الصفات من الأسماء في عملية أطلق عليها علماء المصريات اسم نيسباشين لتشابها مع النحو العربي. وتكون الكلمة على نظام يكون فيه المُسند- الفاعل في الجمل اللفظية والوصفية، والفاعل- المُسند في الجمل الاسمية والظرفية. ويمكن أن يُنقل الفاعل إلى بداية الجملة إذا كان طويل ويليها الضمير العائد .تبطل الأفعال والأسماء بحرف ن، في حين يستخدم ن- ن في الجمل الظرفية والوصفية. ويقع التشديد أو النبر على المقطع اللفظي الأخير أو قبل الأخير.

الكتابة:

هيراطيقية:



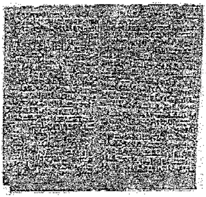
حجر رشيد (كاليفورنيا تمكين 196 قبل الميلاد) اللغويين لبدء عملية فك الرموز من الهيروغليفي.

تعود الكتابة الهيروغليفية إلى سنة 3200 قبل الميلاد، وتتألف من نحو 500 رمز. ويمكن للرمز الهيروغليفي أن يمثل كلمة أو صوت أو شيء محدد صامت، وقد يخدم نفس الرمز أغراضاً ومعاني مختلفة في سياقات مختلفة. وكانت الهيروغليفية كتابة رسمية، مستخدمة على النصب التذكارية الحجرية وفي القبور، وكانت على درجة عالية جداً من الدقة في الوصف. أما في الكتابات اليومية، فقد استخدم الكُتاب شكل الأحرف المطبعية المتصلة في الكتابة، وتدعى الهيراطيقية، وهي أسرع وأسهل. وبينما يمكن قراءة الكتابة الهيروغليفية الرسمية ضمن صفوف أو أعمدة وفي أي من الاتجاهين (على الرغم من جرت العادة بالقراءة من اليمين إلى اليسار)، كانت الهيراطيقية دائما مكتوبة من اليمين إلى اليسار، وعادة في صفوف أفقية ثم ظهر شكل جديد من أشكال الكتابة، وهي الكتابة الديموطيقية أو الشعبية، وأصبح أسلوبها هو أسلوب الكتابة السائد، وهو شكل من أشكال الكتابة- بالإضافة إلى الهيروغليفية الرسمية- التي صاحبت النص اليوناني على حجر رشيد(بحاجة المصدر)

في حوالي القرن الأول الميلادي، بدأت الأبجدية القبطية تستخدم جنباً إلى جنب مع الكتابة الشعبية. القبطية هي أبجدية إغريقية مع إضافة بعض العلامات والرموز الديموطيقية .وعلى الرغم من أن الهيروغليفية كانت مستخدمة في دور شرفي حتى القرن الرابع الميلادي، لم يكن يقرؤها سوى عددٌ قليلٌ من الكهنة. وفي الوقت الذي تم فيه حل المؤسسات الدينية التقليدية، فُقدت تقريبا المعرفة بالكتابة الهيروغليفية. وترجع محاولات فك تلك النصوص إلى التاريخ

البيزنطي والعصر الإسلامي في مصر ولكن كانت القفزة النوعية في سنة 1822 ، بعد اكتشاف حجر رشيد الذي أدى لسنوات من البحث من قبل توماس يونج وجان فرانسوا شامبليون تم حل طلاسم الهيروغليفية كاملة تقريبا.

الأدب



إدوين سميث على ورق البردي الجراحية (حوالي 16 قبل الميلاد القرن) يصف هو مكتوب التشريح والتداوي، وهيري.

ظهرت الكتابة لأول مرة مع الملكية على العلامات والتسميات للمواد التي وجدت في المقابر الملكية. كان هذا في المقام الأول هو مهنة الكُتاب، الذين عملوا من مؤسسة مفتاح الحياة أو دار الحياة. وقد ضم الأخير مكاتب ومكتبات (سميت دار الكتب) ومعامل ومراصد فلكية .وكانت أشهر قطع الأدب المصري القديم مثل نصوص الأهرام ونصوص التوابيت مكتوبة بالكلاسيكية المصرية ، والتي استمرت بكونها لغة وطريقة الكتابة حتى حوالي 1300 ق.م. ثم أتى شكل آخر من اللغه المصرية والذي بدأ في الدولة الحديثة وفيما تلى، وقد تمثل هذا الشكل الحديث في وثائق راميسيد الإدارة، وقصائد الحب والقصص، بل وحتى النصوص

الشعبية والقبطية. وخلال هذه الفترة، تطورت تقاليد الكتابة إلى السيرة الذاتية الشخصية على القبور، مثل تلك التي في حرخوف ووينى. وقد ضع النوع المعروف باسم (سابيت تعاليم) لرصد التعليمات والتوجيهات من أشهر النبلاء؛ وتعد بردية إيبوير قصيدة بُكائية التي عهدت على وصف الكوارث الطبيعية والاضطرابات الاجتماعية مثال شهير على هذا النوع.

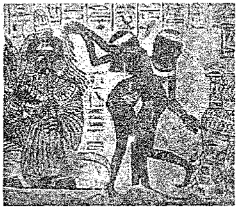
وتعد قصة سنوحى التي كتبت باللغة المصرية الوسطى، من كلاسكيات الأدب المصري القديم. وشهدت هذه الفترة أيضاً كتابة بردية وستكار، وهي عبارة عن مجموعة من القصص تُروى إلى خوفو من أبناؤه بخصوص الكهنة والمعجزات على يدهم في هذا الوقت. كما تعد تعاليم أمينيموبي تحفة من الأدب الشبه شرقي. وقبيل نهاية عهد الدولة الحديثة، استخدمت اللغة المصرية الحديثة التي كانت بمثابة لغة عامية لسابقتها في كتابة نصوص شعبيه شهيرة مثل قصة وينامون وتعاليم آني. وتحكى قصة وينامون عن نبيل سُرق وهو في طريقه لشراء خشب الأرز من لبنان، وعن صراعه من أجل العودة إلى مصر. وابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد تقريباً، أصبح سرد القصص والتعاليم كتعاليم أونكشوشونكي الشهيرة، وكذلك الوثائق الشخصية والتجارية بالطريقة الديموطيقية المصرية. وكانت العديد من القصص المكتوبة بالديموطيقية خلال الحقبة اليونانية- الرومانية، كانت تتحدث عن فترات تاريخية سابقة، عندما كانت مصر دولة مستقلة يحكمها أشهر الفراعنة مثلرمسيس الثاني.

الثقافة

الحياة اليومية



مصريات بآلات موسيقية.



حافظ المصريون القدماء تراثا ثقافيا غنيا الكامل مع الأعياد والمهرجانات المصحوبة بالموسيقى والرقص.

معظم المصريين القدماء كانوا مزارعين مرتبطين بالأرض. وكانوا يسكنون منازل وبيوت شديدة الخصوصية، تقتصر فقط على أفراد الأسرة الواحدة، وبنيت من الطوب اللبن من أجل الإبقاء عليها باردة في حرارة النهار. وكان لكل منزل مطبخ مفتوح السقف، يتضمن غالباً حجر الرُحى لطحن الدقيق وفرن صغير لصنع الخبز. وكانت الجدران تطلى باللون الأبيض وتغطى أغلب الأوقات

بستائر من الكتان. وتغطي الأرضيات بحصير من القصب، في حين يتألف الأثاث من كراسي خشبية وأسرة ترفع من الأرض ومائدة فردية.

اهتم المصريون القدماء بدرجة كبيرة بالنظافة والمظهر. وكان نهر النيل هو حوض الاستحمام الرئيسي لديهم، مستخدمين صابوناً مصنع من الدهن الحيواني والطباشير. واعتاد الرجال حلق كل أجسادهم بغرض النظافة، واستخدموا الزيوت العطرية لتغطية روائح الجسد. وكانت جميع الملابسه مصنوعه من الكتان البسيط، ويلغب عليها اللون الأبيض، وقد لجأ كلاً من رجال ونساء الطبقة الحاكمة إلى ارتداء الشعر المستعار والمجموهرات ومستحضرات التجميل كنوعاً من التجمُل. بينما لم يرتد الأطفال الملابس حتى بلوغ الثانية عشر من العمر، وهو سن البلوغ والنضوج لدى قدماء المصريين، ويتم أيضاً إجراء مراسم الختان والبدء في حلق شعر الرأس لدى الذكور في هذا السن. وكانت الأم هي المسؤولة عن رعاية الأطفال، بينما تقع مسؤولية الأب على تزويد الأسرة بالمال.

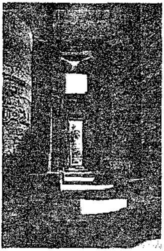
وكانت الموسيقى والرقص ترفيهاً شعبياً ومنتشر لأفراد الطبقة المتوسطه ومافوقها. وشملت الأدوات الموسيقية بدايةً المزامير والعيدان، قبل أن تتطور لاحقاً وتنتشر الأبواق وأنابيب القرع وتصبح أدوات شعبيه ومنتشره. في عصر الدولة الحديثة، استخدم المصريون الجرس والصنج والدف والطبلة والعود في العزف، واستوردوا القيثارة من آسيا. وكانت الآلات الشبه جلجلية مثل الصُلاصل تستخدم بشكل مهم في المراسم والاحتفالات الدينية.

تمتع المصريون القدماء بمجموعة متنوعة من الأنشطة الترفيهية، بما فيها الألعاب والموسيقى. فكانت لعبة سينيت من أوائل الألعاب لدى المصريين القدماء، وظهرت بعدها لعبة أخرى تدعى ميهين، وكلاهم ألعاباً لوحية تلعب على لوح. أما ألعاب الزهر والألعاب الكروية فكانت شائعه عند الأطفال، وتم أيضاً توثيق المصارعة كلعبة كما وجد في قبر بني حسن. بينما استخدم أغنياء المجتمع المصري القديم الصيد وركوب القوارب كنوع من الترفيه.

ساعدت الحفريات والاكتشافات في القرية العمالية دير المدينة بصعيد مصر، على الحصول على معلومات دقيقة عن الوضع الاجتماعي لدى قدماء المصريين في تلك القرية والتي استمر لأكثر من 400 سنة. حيث أسهمت تلك الحفريات ودراستها عن معلومات في الجانب الاجتماعي والتنظيم والعمل وظروف المعيشه لم تكتشف في جميع الحفريات والاكتشافات الأخرى بهذا التفصيل الدقيق.

المطبخ

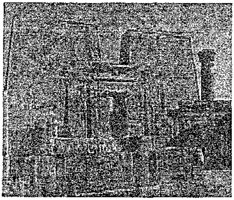
حافظ المطبخ المصري القديم على استقرار نسبي لفترات طويلة على مر الزمن، حتى أنه ما زالت توجد تشابهات بين المطبخين الحديث والقديم. تألف النظام الغذائي الشعبي من الخبز وبيرة الشعير، وتكون الخضروات مثل البصل والثوم، والفاكهة مثل التمر والتين كإضافات. وينتشر النبيذواللحم في الأعياد الدينية فقط عند العامة، بينما اعتادت الطبقة الحاكمة عليهم بشكل أكثر انتظاماً. وأكل السمك واللحم والدجاج بأكثر من طريقة، حيث جففت وطبخت وشويت على شوايات.



قاعات معبد الكرنك مبنية بصفوف من الأعمدة الكبيرة.

العمارة

مقالة مفصلة :عمارة مصرية قديمة



وكذلك الحفاظ على معبد حورس في إدفو هو نموذج للعمارة المصرية.

شملت العمارة المصرية القديمة على بعض المعالم الأكثر شهرةً في العالم، أهمها كانت أهرامات الجيزة ومعبد الكرنك في طيبة. وكانت الدولة هي المسؤول والممول لمشاريع البناء، إما للأغراض الدينية والاحتفالية أو لتعزيز وإظهار سلطة وقوة الفرعون. احترف المصريون القدماء حرفة البناء، واستطاع المعماريون ببناء بنايات حجرية ضخمه ذات تفاصيل دقيقة باستخدام أدوات بسيطة وفعالة في نفس الوقت.

لم تصمد مع ذلك المنازل الشخصية للمصريين القدماء حتى الآن سواء كانوا من الطبقة الحاكمة والنخبة أو العمال وغيرهم، حيث استعملوا مواد سريعة التلف وغير قوية مثل الطين اللبن والخشب للتخفيف من درجة الحرارة. عاش الفلاحون في منازل بسيطه، في حين أن القصور الكبيرة ذات التفاصيل المعمارية الدقيقة كانت للطبقة الحاكمة والنخبة. استطاع عدد قليل من قصور الطبقة الحاكمة في المملكة الجديدة من الصمود جزئياً، مثل تلك القصور الموجودة في مالكاتا وتل العمارنة، ووجد بها تفاصيل دقيقة وغنيه بالزينه والصور لأشخاص وطيور وبرك مياه وآلهة وتصاميم معمارية وهندسية. بينما بنيت المعابد والبنايات الهامة بغرض البقاء إلى الأبد من الحجر بدلاً من الطوب اللبن.

تتكون المعابد المصرية القديمة الباقية الأولى، مثل تلك التي في الجيزة، من قاعات مغلقة فردية مع ألواح سقف مدعمة بالأعمدة. تطورت الهندسة في عصر الدولة الحديثة، وأضاف المعماريون الصرح والساحات المفتوحة والبهو واعتمدوا هذه التصاميم حتى دخول العصر اليوناني- الروماني. اشتهر القبور ذات تصميم المصطبة في الفترات الأولى من مصر القديمة، وهي مبنى مستطيل الشكل ذو سطح مسطح مبني من الطوب اللبن أو الحجر يغطي تحته غرفة الدفن والتي توجد تحت الأرض. هرم زوسر المدرج مثلاً، هو عبارة عن ستة مساطب حجرية فوق بعضها البعض. كانت الأهرامات هي التصاميم الشائعه لمقابر الفراعين في الدولة القديمة والوسطى، قبل أن يتخلى عنها حكام اللاحقين لصالح المقابر الصخرية الأقل ظهوراً.

الفصل الرابع

المكتبات والمجتمع المصري القديم

مصر واحة طويلة صنعها النيل على امتداد آلاف السنين، وقد مارس المصريون الصيد والرعي عندما كانوا قبائل متفرقة تعيش على شواطئ النيل وحوله مستنقعات الدلتا، ولكنهم انتقلوا بسرعة إلى الزراعة بفضل النيل حيث قام النيل بدور رئيسي في تكوين المجتمع المصري الموحد، فقد أدت الزراعة إلى استقرار القبائل وتكوين القرى ونشأة المدن حول انعقاد الأسواق. فقد عرف المصريون القدماء نظام المدينة بوصفه (وحدة سياسية) قبل أن يعرفه اليونان وكانت مدنهم تتمتع باستقلال ذاتي.

وقد توحدت البلاد على يد الملك مينا 3200 ق.م وقضى على الفرقة نهائيًا ومنذ ذلك الوقت تمسك المصريون بهذه الصورة الوحيدة للمجتمع المصري، ولم يقبلوا صورة أخرى برضاهم بل كافحوا كل ألوان التجزئة والفرقة في تاريخهم.

وهذا الإصرار على وحدة المجتمع المصري هو أول صفات هذا المجتمع وهو سر حضارته المبكرة واستمرار شخصيته، رغم موقعه كمعبر بين الشرق والغرب فقد عمل هذا الإصرار على وحدة المجتمع طوال التاريخ المصري بصورة فريدة، وبذلك يسر التجانس العنصري والثقافي وأكد التعاون الاجتماعي ووطد النظم الاجتماعية على مستوى الدولة[1].

وبفضل الزراعة وارتباطها بفيضان النيل اهتدى المصريون إلى التقويم الشمسي حيث جعلوا السنة 365 يومًا، كما اهتدوا إلى العلوم الهندسية الخاصة بإنشاء الترع وتنظيم الري وتخطيط

---

(1) عبد المجيد عبد الرحيم، تطور الفكر الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، بدون تاريخ، ص17،16.

الأحواض وبناء المدن وتشييد المعابد والهياكل والمقابر والأهرامات وابتكروا الآلات الزراعية ومخازن الحبوب، كما اتقنوا منذ وقت مبكر بعض الصناعات كالفخار والجلود وغيرها وعرفوا الكتابة وصناعة الورق، وقد بلغ فن النحت المصري والعمارة كما لهما في الدولة القديمة لارتباطهما بالدين[1].

- النظام الأسري: حظيت النساء في مصر القديمة بالمساواة الكاملة تقريبًا مع الرجال. وتمتعن باحترام كبير، حيث الوضع الاجتماعي يحدده مستوى الشخص في السلم الاجتماعي وليس نوع الجنس وتمتعت نساء مصر بقدر أكبر من الحرية والحقوق والامتيازات مقارنة بما عرفته نساء الإغريق. وحظي عدد وافر من الربات بالتقديس عبر تاريخ مصر. وكان إظهار عدم الاحترام لامرأة، وفقًا لقانون (ماعت) يعني معارضة أسس المعتقدات المصرية والوجود المطلق.

وأجاز المصريون للمرأة أن تصبح وريثة للعرش، إلا أن الرجل الذي تختاره زوجًا لها هو الذي يصبح حاكمًا أو فرعونًا. وتتمثل مهمتها في الحفاظ على الدم الملكي واستمراره.

وتمتعت النساء بالعديد من الحقوق القانونية، مثل المشاركة في التعاملات التجارية، وامتلاك الأراضي والعقارات الخاصة، وإدارتها وبيعها. وكان للناس حق ترتيب عمليات التبني، وتحرير العبيد، وصياغة التسويات القانونية، وإبرام التعاقدات.

---

(1) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مكتبة الانجلو المصرية، 1979، ص23،12.

وكن يشهدن في المحاكم، ويقمن الدعاوي ضد أطراف آخرين، ويمثلن أنفسهن في المنازعات القانونية من دون حضور قريب أو ممثل لها من الرجال.

وفتح باب العديد من الوظائف المهنية أمام النساء مثل النساجة والحياكة والقابلة ومستشارة الفرعون، واستطعن أيضًا تولى مناصب عليا في المعبد، مثل الراقصات أو كبيرة الكاهنات وهو منصب بالغ الاحترام.

ولم يكن مستغربًا أو محظورًا أن ترتقي امرأة عصامية من ناحية الوضع الاجتماعي أو المنصب فمن بين النساء الشهيرات من خارج الأسرة الملكية امرأة تدعى (بنت) بكسر النون والباء. كانت متزوجة من حاكم أحد الأقاليم خلال عهد الأسرة السادسة، وقد حملت (بنت) أعلى الألقاب مكانة، لقب الحاكم، والقاضي ووزير الفرعون.

واتيح للنساء العمل كاتبات وطبيبات وأن كن بأعداد أقل من نظرائهم الرجال. وترجع السجلات التي ورد فيها أسماء طبيبات إلى الدولة القديمة. ومن هؤلاء الطبيبات السيدة (بيشيشت) التي عاشت إبان عهد الأسرة الخامسة، وحملت لقب (رئيسة الأطباء) وفقًا للنقش الموجود على شاهد قبرها.[1]

---

(1) انارويز، روح مصر القديمة، ترجمة إكرام يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، 2006، ص31.

مزيد من التفاصيل:

- Simpson. W. K. The Litrature of Ancient Egypt, London, 1971.

- الحياة العائلية: حظيت علاقة الزواج بأقصى قدر من الاحترام. ويتم الزواج عادة بين نفس الطبقة الاجتماعية، غير أن قواعد خاصة تطبق على أفراد الطبقة العليا، وبوجه خاص داخل الأسرة الملكية، حيث يجوز للرجل اتخاذ أكثر من زوجة واحدة، كما يحدث الزواج غالبًا بين أبناء العمومة وغيرهم من ذوي القربى القريبين (أو البعيدين). وكانت حالات الاقتران بين الأخوة تحدث داخل الأسرة الملكية فقط. فتتزوج الابنة الكبرى للفرعون غالبًا من شقيقها أو أخيها غير الشقيق. بهدف الحفاظ على السلالة الملكية.

وفي مصر القديمة، كان الزوجان يشيران في حب على بعضهما البعض بلفظ (أخ) أو (أخت) وأثناء الدولة الحديثة، كانت لفظة (أختي) مرادفًا للفظة (عزيزتي) أو (زوجتي).

- زوجة واحدة ثم زوجات: كان للفرعون أن يتخذ زوجة رئيسية، وعدة زوجات أقل مرتبة يتخذهن من بناته أو أخواته، فضلاً عن العديد من الخليلات. وكان لدى (رمسيس الثاني) سبع زوجات أساسيات، وعدة زوجات ثانويات، وجناح للنساء يزخر بالخليلات الشرعيات ويعتقد أن وجود أجنحة للنساء يرجع إلى عصر الأسرات الأولى. فكانت الأميرات الأجنبيات يصبحن غالبًا حريم الفرعون، كزوجات سياسات أرسلهن آباؤهن لتعزيز التحالف الدبلوماسي بين الحاكمين.

وشملت المرشحات للحريم الملكي الراقصات، وغيرهم من الجميلات اللاتي يلفتن نظر الفرعون ويجوز أن يحسب أبناؤهن ضمن الأسرة الملكية، أو لا بناء على اختيار الفرعون.

وكانت الفتيات يتزوجن في سن مبكرة تتراوح بين الثالثة عشر والخامسة عشرة، وغالبًا ما تتزوج بنات الفلاحين في الثانية عشرة، وبوصولهن إلى سن الثلاثين يكن قد أصبحن جدات. وكان المتوقع أن يتخذ الشاب زوجة له بمجرد أن يمتلك السبل المادية لإعالة حياتهما معًا وبناء أسرة.(1)

وبينما اعتبر اختيار الشريك اختيارًا حرًا للزوجين عادة، فإن معظم الارتباطات يرتبها زوج المستقبل مع والد العروس الصغيرة، ومع ذلك يتعين موافقة كل من المرأة والرجل على الزواج الذي يتم بموجب عقد يجوز إلغاؤه أو إنهاؤه فيما بعد بالطلاق. وخلال الحقبة المتأخرة أصبحت لعقود الزواج صياغة متعارف عليها.

وليس هناك دليل يثبت وجود حفلات للزواج في مصر القديمة. إنما يقام حفل كبير بعد الزفاف يتلقى فيه المتزوجان حديثًا الهدايا ويشاركان مع الأسرة والأصدقاء في الاحتفال بالزواج. وتنتقل العروس إلى بيت الزوج، الذي يضم غالبًا عائلته أيضًا. وتتولى العروس الجديدة دورها باعتبارها (سيدة البيت) أو (بينت بر) ولا يسع المرء سوى أن يتعجب من قاموس الحياة في تلك الأسر الجديدة، حيث ينهي اعتبار الحماة كسيدة لبيتها.

- الطلاق: ولم يكن الطلاق شائعًا بين المصريين القدماء، ولكن في حالة حدوثه يحق للزوجة السابقة الاحتفاظ بما كانت تملكه عند زواجها بالإضافة إلى ثلث العقارات والممتلكات المشتركة التي كسبها الزوجان أثناء فترة الزواج. وتؤول حضانة الأبناء للأم (مات). وكان الطلاق في حد ذاته شأنًا بسيطًا

(1) أناروزي، روح مصر القديمة، مرجع سابق، ص34، 35.

وخاصًا، يتمثل في إعلان بإنهاء العقد والارتباط أمام شهود وبمجرد إنهاء هذا الإجراء يصبح كل من الشريكين حرًا في الزواج مرة أخرى.

وإذا كانت الزوجة غير مخلصة لا تستحق المساندة، بل إنها غالبًا ما تخضع لعقوبة جدع الأنف المؤلمة والمشوهة. ولأن الخيانة من جانب المرأة من شأنها إثارة شكوك حول أبوة الطفل، فإن النساء تتعرض لعقوبة أشد من عقوبة الرجال بسبب الخيانة.

وفي حالة وفاة الزوج، تستحق الزوجة ثلثي أملاكهما المشتركة، ويقسم الثلث الباقي بين الأبناء ويليهم أخوة الزوج. وقبل وفاة الرجل، يجوز له أن يتبنى زوجته كابنة له (سيت) حتى ترث نصيبًا أكبر، وليس فقط كقرينة له، بل كوريثة أيضًا.[1]

واعتبر المصريون إنجاب وريث ذكر مهمة رئيسية للزوجة ويشكل الفشل في أدائها سبباً للطلاق. وكان الزوجان يشجعان على الإنجاب بمجرد زواجهما. فالأبناء يعتبرون أعظم النعم، وكانوا يقولون أن الآلهة تبتسم لأجل أولئك الذين يعولون أسراً كبيرة العدد. ويمكن لبعض الأسر أن تفاخر بأن لديها 10 أو 15 طفلاً بينما كانت الآلهة تتجهم في وجه البيت الذي يخلو من أصوات ضحك الأطفال وكان من المفترض أن يلجأ الزوجان العقيمان إلى التبني إذا لزم الأمر لتعويض النقص فأي إعجاب واحترام ناله رمسيس الثاني، وهو الذي يردد أنه كان أبا لمائة ابن على الأقل وخمسين ابنه.

وإذا وجد زوجان صعوبة في الإنجاب، فبإمكانهما اللجوء للسحر. وتشمل طقوسه جلوس المرأة الراغبة في الحمل في وضع

---

(1) أناروين، مرجع سابق، ص35.

القرفصاء فوق بخار مزيج من الزيت والبخور فإذا تقيأت من الروائح الناجمة عن هذا الخليط تعتبر قادرة على الحمل، أما إذا لم تتقيأ، فيعتقد أن رائحة المزيج حبست داخل جسد المرأة بما يمنعها من الحمل. ويتضرع الزوجان المحرومان من الإنجاب للإلهات طلباً للعون الإلهي. وتكتب الرسائل وتوضع فوق مقابر الأقارب الراحلين. وإذا فشلت كل هذه السبل، يصبح التبني البديل الأخير.

وكان للأبناء أهمية قصوى، فهم يعينون الوالدين عندما يتقدمان في السن. وفي حال عجز الزوجين عن إنجاب ذكر يرعاهما عندما يتقدم بهما العمر، يجوز للزوج بموافقة الزوجة إنجاب ابن من زوجة ثانوية أو ذات منزله أدنى، وربما تكون خادمة أو جارية فإذا جاء الطفل ذكر يتبناه الأب وزوجته العاقر. وإذا لم يكن للفرعون أبناء ذكور تنتقل وراثة العرش إلى الرجل الذي تزوج منه كبرى بناته، أو إلى ابن ينجبه الفرعون من زوجة ثانوية.

- الأطفال هم المستقبل: تعتمد تسمية الطفل على أسماء المعبودات، التي يعتقد أنها تحمى الأطفال الذين يحملون أسماءها، وعلى سبيل المثال ميريت أتون (محبوبة أتون) وسيت آمون (ابنة أمون) ورع حتب (رع راض). وكثيراً ما تختار الأسماء لتضفي على الأبناء صفات معينة يرغب فيها الوالدين، فعلي سبيل المثال. نفرحتب (جميلة وراضية)، وسينب (وافر الصحة). كما شاع إطلاق أسماء تدليل الحيوانات الأليفة على الأبناء مثل (ميوشيرى) (القطيطه الصغيرة).

وفي طبقات المجتمع الدنيا تتولي الأم تربية الأطفال، بينما في الطبقات العليا توفر الخادمات الرعاية اليومية للطفل. ويتولي الأبناء

مسئولياتهم في الحياة عند سن مبكرة، ويسلك البنين والبنات مسالك مختلفة. فالبنون يتعلمون تجارة أو حرفه من الأب (ات) أو من عضو أخر من أعضاء الأسرة أو من حرفي أو فنان أو نجار أو صانع فخار. ويتوقع من الصبى أن يسير على خطى والده، ويتولي المهمة المقدسة المتمثلة في أن يمنح الحياة لاسم والده بعد انتقال الأب للعالم الآخر.

أما الفتيات فيتلقين تدريبهن في البيت، بينما يساعدن في أعمال المنزل وعند الحاجة يسهمن أيضاً في العمل بالحقل. وتتعلم الفتيات من أمهاتهن أعمال البيت من طهى وحياكة ونسيج وتنظيف. كما يتعلمن فنون العلاج والرقص والموسيقى والغناء، فضلاً عن تعلم أساليب التعامل في الحياة والتجميل، وتربية الماشية إلى جانب كيفية أن تصبح الفتاة زوجه وأما مثالية.

وعند وفاة الأبوين، يرث الأبن الأرض بينما ترث الابنة المجوهرات والأثاث وأدوات المنزل، وإذا لم يكن هناك أبناء في الأسرة تصبح الابنة مالكة كل شئ(1).

وكانت أسر الطبقة العليا وحدها هي القادرة على إرسال أبنائها للمدرسة. ويتلقى أبناء الفرعون تعليمهم وتدريباتهم في فصول دراسية بالقصر الملكي، أما الأولاد الآخرون من أبناء الطبقة العليا، فلهم من الحظ ما يتيح إرسالهم إلى مدارس المعابد، منذ سن الثامنة تقريباً وكان الصبية، سواء من يتلقون التعليم في القصر أو على أيدي

(1) أناروير، مرجع سابق، ص39.

مزيد من التفاصيل انظر روز إليندم وجاك .ح يانسن، الطفل المصري القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

كهنة مدارس المعبد، يتعلمون الفضائل مثل آداب السلوك والأمانة والقراءة والكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا والدين[1].

وكرس بتاح حتب نفسه لتعليم الأطفال لاعتقاده أنه وريث الحكمة على الأرض، وكان يؤمن بأن العقاب البدني يحث على الفضيلة فيجب الالتزام بقانون السماء والأرض الذي يخبرنا أن نتعلم عن طريق التألم والمعاناة يقول (إن كل طفل في بدء تطوره ليس إلا حيواناً تقريباً، والنتيجة المترتبة على ذلك أنه إذا أهملت العصا فسد الطفل، فيجب أن يتعلم الصغير كيف يطيع بالسوط تماماً كالحصان الجموح، لكن بالإضافة إلى العقاب فالطفل في حاجة إلى النصح، فعليه أن يتعلم النظرة الفلسفية إلى الحياة، فالنظرة الفلسفية هي أحسن ميراث أستطيع أن أتركه لابني[2].

- الملكات: شغلت المرأة في مصر القديمة بصفة عامة مكانة لم تصل إليها المرأة في أى مجتمع معاصر لها وإن اختلفت هذه المكانة من عصر إلى آخر.

وقد استخدم المصرى القديم ألقاب مثل (زوجة الملك) (سيدة كل السيدات) (سيدة السيدات) (سيدة زوجات الملك) (الأخت الملكية والزوجة الملكة) (الزوجة الملكية الأولي).

وفى عصر العمارنة كان يطلق على الملكة أيضاً (كبيرة حريم الملك) (كبيرة حريم الآلة) وألقاب أخرى في نهاية الدولة الوسطى

---

(1) أنارويز، مرجع سابق، ص39.

(2) جورج بونز وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

(الأميرة الوراثية) (عظيمة المديح) (عظيمة الحسن) (أميرة كل النساء) (أميرة البلاد كلها).[1]

♦ حتشبسوت: 1490- 1468ق. م.، استطاعت أن تحكم مصر طيلة عشرون عاماً وفقاً للأسطورة، أعلن (آمون – رع) أمام مجمع الآلهة أن مصر يجب أن تحكمها ملكة عظيمة وتقدم (تحوت) وحدد المرأة التي ستنجب هذه الملكة بأنها زوجة (تحتمس الأول) السيدة الجميلة التى تدعى (أحمس) والتي يعنى أسمها (المولودة للقمر) واستدعى (أمون – رع) (خنمو) ليصنع على دولاب فخاره جسد والتي ستولد من الملكة (أحمس) والتي ستصبح ملكة عظيمة على مصر.

وفى عام 1504 ق. م.، أصبحت الملكة حتشبسوت في سن الثالثة والثلاثين أول امرأة ترتدى التاج المزدوج أو (بشنت) تاج الأرضيين. ويعنى أسمها (في مقدمه النساء النبيلات).

وكثيراً ما صورت حتشبسوت نفسها في هيئة رجل، بل ذهبت أبعد من ذلك إلى حد ارتداء الثوب الفرعونى التقليدى للرجال فضلاً عن اللحية المزيفة[2].

---

(1) محمد على سعدالله، الدور السياسى للمكلات في مصر القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، 1988، ص 4.

مزيد من التفاصيل انظر:

Abraham, J. H. Orgins and growth Sociology, pengivm Books, London, 1973.

(2) أنارويز، مرجع سابق، ص219.

وكانت حتشبسوت امرأة قوية الإرادة لم تترك أحداً يتدخل في خططها أو يعوق طموحاتها. وشهدت مصر ازدهاراً تحت قيادتها، ونالت احترام شعبها الشديد وإعجابه، وانتعش الاقتصاد ولم تقع أي حرب خلال عهدها. وأثبتت سيادتها بإعداد وتمويل مشروعات عامة ضخمة لترميم المعابد والآثار التي ضربها أو دمرها الهكسوس ودشنت أيضاً عدة مشروعات للبناء. وفي 1493 ق. م، وخلال العام السادس أو السابع من حكمها، امرت بإعداد أسطول من خمس سفن وشاركت في بعثة تجارية إلى بلادبونت وجلبت البعثة معها شحنات ضخمة من العطور والذهب والابنوس والعاج[1].

♦ نفرتيتي: اسم نفرتيتي يعني حرفياً الجميلة قادمة، وقد لقبت نفرتيتي بعده ألقاب (الزوجة الملكية العظمى) (سيدة مصر العليا والسفلى) (سيدة الأرضيين) (الأميرة الوراثية).

وتعد الملكة نفرتيتي من أهم الشخصيات في عصر العمارنة واقترن اسمها عالياً باسم زوجها اخناتون على النقوش. ومثلت بوجهها معه في أغلب المناظر سواء الأسرية أو الرسمية.

وكان لنفرتيتي دورها في الحياة العامة والسياسية وهناك الكثير من الأمثلة التي تدل على ذلك حيث تظهر الملكة تقوم بأعمال كانت مخصصة فيه للملك مثل ضرب الأعداء وقيادة العربة الملكية شأنها شأن الملك وتوزيع الذهب على كبار الموظفين.

♦ أحمس – نفرتيري: الملكة أحمس نفرتيري ابنه (سقنرع تاو الثاني) والملكة (أحوتب) من الأسرة السابعة عشرة. وعندما مات (سقنرع

(1) أناروبز، ص 219.

تاو الثانى) ميتة عنيفة في قتال الهكسوس، نسب إلى (أحوتب) تشجعيها للقوات المصرية على مواصلة القتال. وعاصرت الملكة أحمس نفرتيري الكفاح ضد الهكسوس مثل الملكة (حوتب) وكان لشخصيتها النشطة دور هام في عملية إعادة البناء الكبير في تلك الفترة التى أعقبت النصر على الهكسوس[1].

♦ كليو باترا السابعة الأسرة البطلمية 69- 30 ق.م.:

كليو باترا السابعة المقدونية، المولودة في الإسكندرية، آخر فراعنة مصر. وكانت كليو باترا السابعة التى يعنى أسمها (مجد والدها) امرأة ذكية، ذات شخصية كارزمية كرست نفسها لمصر، ورثت كليو باترا السابعة الحكم في سن الثامنة عشرة بعد وفاة والدها بطليموس الثانى عشر ولما كانت التقاليد أن تتولى الحكم بمفردها، عين شقيقها بطليموس الثالث عشر ذو الاثنى عشر عاماً شريكاً لها فى الحكم، لكن طموحات كليوباترا السياسية دفعها إلى الإزاحة بشقيقها.

وبعد موت قيصر أخذت تباشر حكم البلاد. ونظمت الضرائب واهتمت بالزراعة والرى وقوت جسور القنوات المهملة وحققت قدر من الرخاء والطمائنينة واكتسبت محبة الناس وولائهم لها.

وكانت امرأة ممتازة لصفاتها الشخصية وقوه أعمالها. ولم ينجز أحد من الملوك من أسلافها مثل تلك الأعمال العظيمة التى أنجزتها، فقد زادت من تجميل الإسكندرية وشجعت العلماء والمشتغلين

(1) محمد على سعد الله، الدور السياسى للملكات، ص 122، 123، 59.

بالعلوم الكيميائية والرياضيات والفلاسفة، وبرعت فنون التصوير والنسيج، كما شجعت أيضاً الصناعات المحلية[1].

♦ المرأة في حكم وأمثال الفراعنة:

- الزوجة الصالحة هبه من الإله لمن يستحقها.
- يا ولدى إذا كنت عاقلاً فأسس لنفسك بيتاً وأحب زوجتك من قلبك، أملأ بطنها واكس ظهرها واشرح صدرها. إياك أن تقسو عليها فإن القسوة خراب للبيت الذى أسسته فهو بيت حياتك. لقد اخترتها أمام الله فأنت مسئول عنها أمام الإله).
- إذا أردت رضا الله فأحب شريكه حياتك اعتن بها تعتن ببيتك وترعاه. قربها من قلبك فقد جعلها الإله توأماً لروحك.
- إذا أسعدتها أسعدت بيتك وإذا أسعدت بيتك أسعدت نفسك زودها بكسوتها ووسائل زينتها وزهورها المفضلة وعطرها الخاص فكل ذلك سينعكس على بيتك ويعطر حياتك ويضفى عليها الضوء أسعدها مادمت حياً فهي هبه الإله الذي استجاب لدعائك بها عليك فتقديس النعمة إرضاء للألهة. ومنعاً لزوالها. (الحكيم سنب حوتب لابنه).
- ولتكن شريكة حياتك التي تختارها امرأة قنوعة ومتواضعة في أحلامها ومطالبها وسعة تفكيرها. كبيرة القلب. امرأة يجعل

---

(1) أناروبز، مرجع سابق، ص219.

مزيد من التفاصيل انظر ونفرد هولمز،كانت ملكة على مصر، ترجمة سعد أحمد حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص171، 172.

منكما الرباط المقدس روحاً واحدة وقلباً واحداً وأمالاً واحدة تربطها الثقة المتبادلة.

- علموا المرأة يتعلم الرجل.. ويتعلم الشعب (كاجمنى).

- إذا أحببت فتاه وبادلتها حب بحب فإياك أن تخونها. إن الحفاظ على الرباط العائلى المقدس حياة للمجتمع. إذا اقترفت هذا الجرم خنت المروءة وأغضبت الإله وجلبت على نفسك العار والضرر والاحتقار. (بتاح حوتب)[1].

- يا بنى.. الزواج هو رحلة العمر في بحر الحياة إن تلك الرحلة تحتاج إلى زاد حتى تنتقل بأمان إلى شاطئ نهر الحياة. تحتاج إلى زاد من الثقة والصبر والتسامح تحتاج إلى زاد من قوة السواعد المشتركة التي تمسك المجدافين حتى يضربا صفحة الماء معاً فتحتفظ السفينة بتوازنها وتحنى لها العاصفة رأسها فتشرق الشمس بعدها فيساعد النسيم على أمان سير السفينة وهو يداعب شراعها ليكن ساعدك قوياً فلا تيأ س ولا تترك المجداف حتى لا تسير السفينة على غير هدى إنها رحلة العمر فليباركها الإله يا ولدى. (برديات العمارنة)

- الأم هبه الإله. ضاعف لها العطاء فقد أعطتك كل حنانها، ضاعف لها الغذاء فقد غذتك من عصارة جسدها. أحملها فى شيخوختها فقد حملتك في طفولتك أذكرها دائماً فى صلاتك وفى دعائك للإله الأعظم فكلما تذكرتها تذكرتك وبذلك ترضى الإله. فرضاؤه يأتي من رضائها عنك.

---

(1) سيد كريم، الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص160

- الأم هبه الإله للأرض. فقد أودع فيها الإله سر الوجود فوجودها استمرار لوجود البشر.

- لا تنس أمك وما عملته من أجلك ضاعف لها غذاءها. أحملها كما حملتك فإذا نسيتها نسيك الإله. لقد حملتك تسعة أشهر وحينما ولدت حملتك ثانية حول رقبتها وأعطتك ثديها سنوات لم تشمئز من قذارتك ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف بجوار معلمك ومعها الخبز والحبة جاءت بها من البيت. (بردية الحكيم آني)

- إذا مات الأب هتفت الملائكة مات من كان يكرمك الناس من أجله. وإذا ماتت الأم هتفت الملائكة ماتت من كان الآلة يكرمك من أجلها[1]. (بردية الحكيم آني)

النظام الأخلاقي:

إن المطالع لكتاب (أدب الحكمة) عند الفراعنة يعثر على كثير من المفاهيم الأخلاقية المرتبطة بعقيدة البعث أو بيوم الحساب بعد الموت. فالسلوك المستقيم هو إقرار للنظام الأخلاقي الذي وضعته الآلهة (ماعت) Maat في بداية الخلق وهي ربة الحقيقة والعدالة والوفاق. وهناك نصوص تمتدح فضائل كالتواضع وضبط النفس والحكمة والصبر.

وقد عرف المصريون الضمير منذ أقدم العصور ووصفوه (إن قلب الإنسان هو إلهه الخاص، وإن قلبي قد رضي عن كل ما عملته وكل من رضي قلبه عما عمله التحق بمرتبة الآلهة).

(1) سيد كريم، الحكم والأمثال في الأدب الفرعوني، مرجع سابق، ص160

ويلاحظ أن معرفة المصريين ما للقلب أو الضمير من دور بارز وحاكم في عملية تبرئة الميت أمام الإله الأكبر أو عدم تبرئته كان له شأن عظيم في إذاعة الاعتقاد بالمسئولية الخلقية وأوجدت شيوعاً عاماً عن القيمة البالغة للفضائل الخلقية التي تتمثل في الاستقامة والحق والعدل والتي بفضلها يصبح الفرد مقرباً لدى الإله أوزيريس أو رع.

وكان المصريون القدماء يرون أن القتل والسرقة وأكل مال القاصر واليتيم والكذب والخداع والزنا وهتك العرض وشهادة الزور وانتهاك حرمات الموتى ونبش القبور من كبائر الإثم.

وتمثلت الأخلاق المصرية في البداية بالمحافظة على العادات والأواصر الأسرية والبر بالوالدين واحترامهما. وكان البر بالوالدين من أهم الفضائل الخلقية التي يحرص عليها المصري القديم، لذا فإن مواعظ (آني) لابنه خنس حوتب تركز على الرابطة الأسرية وتكريم الأب والأم وتذكر بفضل الأم عليه.

ومن تعاليم المفكر آني إلى ابنه خنس حوتب يوصيه بمساعدة المسنين والفقراء والمحتاجين لأن النعمة لا تدوم ولأن الموت هو نهاية المطاف، وصاحب القلب القاسي لن ينال عطف الإله في الآخرة[1].

وكان بتاح يحث على تعلم وتعليم الفضيلة (فضيلة ضبط النفس)، ويقول: إذا كنت ذا سلطان فاسع لأن تنال الشرف عن

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص60.

مزيد من التفاصيل انظر أحمد فخري، مصر الفرعونية، الأنجلو المصرية، 1960.

طريق العلم ورقة الطباع، احذر أن تقاطع الناس وأن تجيب على الأقوال بحرارة، ابعد ذلك عنك وسيطر على نفسك). ويقول أيضاً: (ولتكن أعمالك في مناسباتها وكلماتك في موضوعها، اكبح جماح نفسك والجم لسانك).

وهناك مختارات من الأدب الفرعوني القديم عن فكرة الحساب في الآخرة (عقيدة الثواب والعقاب كما جاء في كتاب الموتى في دخول قاعة الصدق (الحق) ودفاع عن النفس يوم الحساب.

-إني لم أرتكب ضد الناس أي خطيئة.	-إني لم أسرق
-إني لم أرتكب القتل	-إني لم أسبب تعساً لأي إنسان.
-إني لم أرتكب الزنا	-إني لم أترك أحداً يتضور جوعاً.
-إني لم أفعل ما يمقته الإله	-لم أغتصب طعاماً
-إني لم أنطق كذباً	-إني لم أنقص مكيال الحبوب.
-لم أكن طماعاً	-إني لم أسب
-لم يكن صوتي عالياً فوق ما يجب	-لم أكن متكبراً.
- فمي لم يثرثر	-لم أعب في الذات الملكية [1]

النظام الديني:

لقد كان أثر المفكرين القدامى من الكهنة المصريين في مجال النظم الدينية والأدبية كبيراً ففي مجال علم الاجتماع الديني يظهر إسهام الحضارة والفكر الاجتماعي المصري، حيث ترجع

(1) حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص256.

فكرة وحدة الله، فالثورة التي قام بها إخناتون الكاهن المصري، الذي أصبح فيما بعد امنحتب الرابع كانت تستهدف إحلال فكرة الوحدانية، مكان فكرة الآلهة المتعددة. وأصبح الآن معظم المشتغلين بالدراسات المصرية القديمة يذهبون إلى أن الديانة الموسوية إذ نادت بالوحدة، إنما كانت متأثرة في ذلك بهذه الثورة ومما كان سائداً في مصر منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد من حركة تدعو إلى تمجيد إله أعظم يعتبر إله الآلهة ورب الأرباب ومعظمهم لا يتردد في القول بأن موسى عندما خرج من مصر إنما كان حاملاً معه هذا التراث المقدس وما نادت به الثورة الدينية المقدسة من وحدة الله التي حدثت قبل ظهوره بقليل، والتي كان العقل المصري مشبعاً بها وبمقدساتها في ذلك الوقت، حتى إن هؤلاء المؤلفين ليعقدوا موازنات بين بعض الأناشيد الدينية المصرية وبعض الأناشيد والفصول التي أتت في العهد القديم ومزامير داود وهي موازنات تبين أن ثمة نصوصاً بأكملها من الكتب السماوية اليهودية تكاد تكون قد نقلت في معناها وفي مبناها من الأناشيد والأفكار المصرية [1].

ومن هذه الأناشيد مثلاً التي قيلت في مدح الإله- الشمس أو آمون رع، ثم أنشودة اخناتون في مدح الإله- الشمس والأنشودة ترجع إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولا زالت موجودة للآن على ورق البردي في متحف القاهرة، ففي أنشودة رع نجد أن المصريين يخاطبونه بأنه (أعظم شخص في السموات وأقدم شخص على الأرض وسيد كل المخلوقات) وأنه (وحيد بين الآلهة) وهو أيضاً (سيد

(1) حسن شحاته سعفان، تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، دار النهضة العربية، 1965، ص18، 19.

الحقيقة) (ووالد الأرباب وهو الذي شكل الآدميين وخلق الحيوانات) وهو إلى جانب ذلك خالق كل شيء (قاهر السموات) (فاضل).

وهذه النصوص وغيرها قد عرفت عند الإسرائيليين منذ زمن طويل قبل ظهور المزامير نجد أن نفس الأوصاف التي يطلقها المصريون على الإله آمون رع هي نفسها التي أطلقها الإسرائيليون على الإله يا هوه أو الرب: من في السموات يمكن أن يقارن بالرب؟ من ذا الذي يشبه الرب بين أبناء الآلهة؟ (المزمار 99- 6) ولا شبيه لك بين الآلهة أيها السيد (86- 8) وفي المزمار (31- 5) قيل: (أيها الرب أنت إله الحقيقة).

ولعل الفكر الديني المصري يمثل التطور المعروف في الاجتماع الديني من الاتجاه عن عبادة الماديات إلى عبادة الروحانيات ثم من التعدد للوحدة، فالمصريون القدامى قد بدأوا بعبادة مظاهر الطبيعة المادية لذاتها مثل النيل والشمس وبعض الحيوانات ثم انتقلوا من ذلك إلى تقديس هذه الآلهة بوصفها رمزاً لآلهة روحية وأخيراً أحلوا الوحدة محل التعدد على أثر ثورة إخناتون وما سبقها من مقدمات[1].

وكان اختراع الكتابة جزءاً هاماً من التقدم الذي تم مع بداية العصر التاريخي (3000 ق.م) وتمثل ألواح (مينا أو نارمر) مرحلة أولية في الكتابة الهيروغليفية. فقد نظر المصريون إلى الإله تحوت Thoth كاتب الآلهة على أنه مخترع الكتابة، لكنهم ربطوا بين وظيفته ووظيفة زميلته الإله سيشات Seshat الكاتبة وسيده دور

---

(1) حسن شحاتة سعفان، مرجع سابق، ص18، 19.

مزيد من التفاصيل انظر سليم حسن، مصر القديمة، السيادة العالمية والتوحيد، ج5، مكتبة الأسرة، 2001.

الكتب أي المكتبات، وكان يعهد إليها بأرشيف الحوليات الملكية. ولاشك أن الكتابة كانت دائماً هامة في الطقوس الدينية.

والكهنة كانوا يقرأوا التعاويذ من نصوص مكتوبة على أوراق البردي، كما احتفظت النقوش المنحوتة على الحجر بأسماء الأشخاص الذين دفنوا في المقبرة ثم أضيفت بعض التعاويذ التي تضمن استمرار تقديم القرابين، مثلما تضمن الهناء أو السعادة الأبدية للمتوفى.

كما كانت تكتب هذه النصوص والمتون على مجموعة من أوراق البردي ثم تودع القبر مع المتوفى، وقد أطلق عليها (متون التوابيت).

أساطير الخلق: إن الصدارة في أي مجمع للآلهة تكون هي المسئولة عن الخلق، وكانت أسطورة (هليوبوليس) أوسعها انتشاراً، وتقول هذه الأسطورة إن الإله الخالق هو أتوم Atum الذي اتحد في هوية واحدة مع إله الشمس رع.

وتقول الأسطورة أن (أتوم) خرج من عماء المياه الذي يسمى Nun ثم ظهر فوق تل وأنجب بغير زواج الإله شو Shu الهواء. والإله (تف نون) أو تفنت Tefenet (الرطوبة) وكان إله الهواء (شو) هو الذي زج بنفسه بين آلهة السماء نوت Nut وزوجها إله الأرض جب Geb، وبذلك فصل السماء عن الأرض وهكذا كانت بداية خلق الكون من انبثاق الأرض من الماء عظة لأن المصريين كانوا يستهلون أفكارهم من جزر الطين التي تظهر في النيل. وعندما تأمل المصريون خصوبة أرضهم أدركوا أن النيل والشمس مسئولان عن هذه

الخصوبة، وارتبط فيضان النيل باسم الإله (حابي)[1].

أما بالنسبة للشمس، فالإله (رع) إله هليوبوليس هو الذي يمثل أساساً قوتها في مجمع الآلهة. وقد استخدم المصريون لفظ (رع) كاسم عام يعني (الشمس) ثم توحد (رع) مع آتون في صيغة واحدة هي (رع- آتون) وقد أصبح فرعون يسمى (ابن الإله رع)، كما ارتبطت فكرة العدالة ونظام العالم باسم (رع) ونظر المصريون إلى الآلهة ماعت Maat ربة العدالة والحقيقة على أنها ابنته[2].

الطقوس الجنائزية:

دأب المصريون على الاهتمام الشديد بالاحتفال بدفن الموتى، إذ اعتقدوا أن سعادة الشخص الميت في المستقبل تتوقف على هذا الاحتفال، وعلى المعتقدات المرتبطة بالطقوس، كان الميت يدفن دائماً ولا تحرق جثته. وتشمل هذه الطقوس على ممارسات التطهر والقربان.

واعتقد المصريون أن من المهم الاحتفاظ بالجسد نفسه وقد ساعدهم على ذلك جفاف التربة في الأماكن الصحراوية لدفن الموتى، وقد كان الأسلوب المتقن في عملية التحنيط يستلزم إزالة المخ والأمعاء، كما يستلزم أحياناً في حالة الذكور إزالة الأعضاء الجنسية ثم يوضع

---

(1) ديمتري ميكس وكرلسقين فاقارميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.

(2) بارندر، ص46، 49.

مزيد من التفاصيل انظر جيمس هنري برستد، تطور الفكر والدين في مصر الفرعونية، ترجمة زكي موسى، دار الكرنك، القاهرة، 1961.

علـى الجسـم مـن الخـارج النطـرون (أو الصـوديوم الطبيعـي) ثـم يحشـى مـزيج مـن النطـرون والتوابـل والزيـت في التجـاويف الـتي أحـدثها تفريـغ الأمعـاء، وتمـلأ الفراغـات بعـد ذلـك بحشـو مـن الكتـان وتوضـع التوابل الحـارة والزيـوت علـى الجسـم مـن الخـارج أيضـاً ثـم يلـف بأربطـة مـن الكتان قبل وضعه في التـابوت ويحتفظ كـذلك بالأعضـاء الـتي أزيلـت مـن الجثـة، فيحتفظ بالأحشـاء في أربعـة قـدور صـغيرة قيـل أن أربعـة مـن أبنـاء حـورس يقومـون علـى حمايتهـا. ويبـدو أن عمليـة تحنـيط الجسـد كلـه، ومـن الناحيـة العقائديـة هـي محاكـاة مضـنية لمـا حـدث في الأسطورة لأوزوريس على يد أنـوبيس في أبيـدوس ممـا يعـني أن الشـخص المتوفى قد اتحد مع أوزوريس [1].

تقديس الحيوانات:

لاشك أن تقديس الحيوانات أو عبادتها يعد جزءاً رئيسياً من الديانـة الفرعونيـة، وكانـت علـة التقديس إمـا الخـوف أو الرهبـة مـن ضـرر هـذا الحيـوان وشـره كالأسـد والتمسـاح مثلاً، وإمـا الرغبـة في نفعـه وخـيره أمثلـة ذلـك العجـول والكبـاش والقـط والأوز والدجاجـة وغيرهـا.

وتجدرالإشارة هنا إلى أن عبادة العجل أبيس Apis في منف من أقدم عبـادات الحيـوان في مصـر إذ ترجـع إلى الأسـرة الأولى. ولقـد بدأت مستقلة قائمـة بذاتها أول الأمـر ثـم سـرعان مـا ارتـبط عقائـدها بعـد ذلـك بكبـار الآلهـة مثـل (رع) و(أوزيـريس) (والإلـه بتـاح) ملك منف.

---

(1) بارندر، مرجع سابق، ص55.

وفي العصر البطلمي انتشرت عبادة أوزيريس- أبيس عن وعي لإقامة عبادة جديدة هي عبادة سيرابيس Sarapis.

هذا ولقد تطورت قداسة الحيوانات فأصبح المصريون يقدسون الحيوانات لأنها حلت فيها أرواح الآلهة التي لابد لها من التجسد Incarnation إذ أرادات النزول إلى الأرض، فالنسر مثلاً لم يعد هو (حورس) نفسه، وإنما هو مأوى أسرار حورس[1].

البناء الطبقي:

يمكن القول بصفة عامة أن الحياة الاجتماعية في مصر الفرعونية كان مصطبغاً بالصبغة الدينية ، فقد عثر كثير من العلماء على ما يفيد أن نظام الملكية كان يرتكز على حقوق الآلهة، بمعنى أنه لم يكن يفصل بين ملكية الدولة العامة لمرافق الإنتاج وبين الملكية المقدسة باعتبارها وحدة قائمة بذاتها من الأموال لا يجوز ملكيتها ملكية فردية. فهناك مراسيم تشير إلى ممتلكات المعابد ومن أمثلتها المراسيم الصادرة من الملك (بي الثاني) بشأن تحديد ممتلكات معبد (مين) من حقول وقد جاء بمرسوم (نفركارع) من وصف الحقل بأنه (حقل الآلهة الذي يقوم على خدمة الكهنة. ومعنى ذلك أن الكهنة لم يكونوا ملاكاً لتلك الملكيات وإنما كان لهم واجب مباشرة استغلالها لصالح الهيئة الدينية القائمة على الشعائر التي تمارس في معابد الآلهة.

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، مرجع سابق، ص32.

ويمكن أن نحدد أهم ملامح البناء الطبقي في مصر الفرعونية فيما يلي:

أولاً: الطبقة المؤلهة: التي ظهرت نتيجة تأليه فرعون ودعم سيادته ونشر سلطانه وجمعه بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وممارسته لكافة الحقوق الاجتماعية التي كان بمقتضاها يمنح الأمراء والكهنة الملكيات والامتيازات المادية والمعنوية.

ثانياً: طبقة الأشراف: وتتألف من الأمراء والأعيان والكهنة والسدنة وفي الغالب كانت هذه الطبقة تقطع الضياع والملكيات في مقابل تعهدها بأداء خدمات من طبيعة دينية للطبقة المؤلهة وخاصة تقديم القرابين بعد الوفاة، وكانت المزايا المادية والاجتماعية التي يتمتع بها أفراد هذه الطبقة تنتقل وراثياً لهم ولأتباعهم الذين يلتزمون حيال الطبقة المؤلهة، وقد أدى ذلك إلى جعل البناء الاجتماعي متألفاً من حلقات متسلسلة من المستويات الاجتماعية يخضع بمقتضاها أفراد المستوى الأدنى إلى أفراد المستوى الأعلى حتى في قمة الهرم الطبقي.

ثالثاً: طبقة أنصاف الأحرار: كانت تشمل كل من يدخل في عداد طبقة الأشراف من المواطنين، وخاصة من المستخدمين وأصحاب الحرف من المهنيين، والفلاحين والعمال الزراعيين والجنود والعسكريين، وأفراد هذه الطبقة، وإن لم يكونوا أرقاء تابعين، إلا أنهم لم يكونوا يتمتعون بحريتهم كاملة، حتى إن الكثير من العلماء يذهب إلى القول بأنه أتباع الأرض Cerf كانوا في وقت يؤلفون طبقة اجتماعية في مصر القديمة، مستدلين على ذلك من وثائق تشير إلى انتقال ملكية (الأنفار) إلى الورثة. الأمر الذي يوحي

بوجود طبقة أتباع الأرض، وكان بعضهم من الأجانب الذين كانت تأسرهم الجيوش المصرية في غزواتها وفتوحاتها.[1]

والمجتمع المصري لم يكن مبنيا على الرق، فقدماء المصريين لم يروا (ماعت) النظام المستقر فحسب، بل (والخبز والبيرة) أيضاً كحق لكل فرد (عظيماً وصغيراً) ورجالاً ونساءً على حد سواء، كما لم يكن عصراً ذهبياً، كما يقول البعض فمن بهرتهم الحياة الممتعة المصورة في المقابر، كما لو أنهم لم يشعروا قط بالظلم القاسي هناك. وإنه لمن الجلي وجود الطبقات النزاعات الاجتماعية في العصور الفرعونية.

كان الفرعون تجسيداً للسرمدية الإلهية وقائما بالشعائر التي تكفل استمرارها. وهو القوة الكلية للدولة، ولكنه لم يستطع، هو نفسه أن يكون البيروقراطية ولا الكهنة. وعلى ذلك تألفت هيئة حاكمة من حكام الأقاليم ورؤساء إدارة الجيش ومن الكهنة. ولما كان هؤلاء الرجال نشيطين وماهرين ومخلصين في تأدية واجباتهم كوفئوا بمرتبات سخية، وبضياع وهدايا ملكية. وفي عصور لاحقة منحوا (أسهماً) من دخل المعابد والمقابر (بأمر من الملك)، ومحاكاة لهذه الرتب السامية كان كل شخص مدرباً مهما كانت رتبته، سواء كان موظفاً أو كاتباً أو من الكهنة أو من العمال الماهرين أو الفنانين. كانت أجور هذه الطبقة المتوسطة، نوعية، ومكافأتهم هبات، وهم دعامة الطبقة العليا وكانوا يحظون بقدر نسبي من يسر المعيشة ولين الحياة.

---

(1) أحمد الخشاب، علم الاجتماع الديني، مكتبة القاهرة الحديثة، ط3، 1970، ص328.

ويبدو أن الفلاحين المصريين كانوا أقل حظاً من هؤلاء بكثير فكانوا عمالاً في الأراضي يشتغلون جماعات أو عبيداً أو أسرى حرب، وكانوا في جميع الأوقات عرضة للخدمة بالسخرة[1].

الحكم والإدارة في مصر الفرعونية:

أصبحت مصر أول أمة أو دولة، موحدة في العالم، مع ضم إقليمي الوجه القبلي والبحري كقطر واحد تحت حكم الفرعون حوالي 3100 ق. م في أوائل عصر الأسرات. واحتاج هذا الكيان القومي الكبير لعمل منسق ومنظم على نطاق واسع مع نظم إدارية جديدة وحكومة لإدارتها.

وكان الفرعون أكثر الأشخاص نفوذاً في مصر، حيث يعتقد أنه نصف بشر ونصف إله أي أنه تجسيد للمعبود. وكملك وحاكم، اعتبر الفرعون حائزاً لأسرار السماء والأرض. ومنحت هذه القوة الكلية المقصورة سلطات كاملة للفرعون، ووضعت على عاتقه مسئوليات عديدة تجاه شعبه وتجاه الآلهة. فكانت أهم واجباته خدمة الآلهة من خلال الحفاظ على السلام والانسجام في ظل قوانين (ماعت) فسيطر الفرعون على الحكومة والجيش والاقتصاد بأكمله. ووضع القوانين المنظمة، وأدار البعثات التجارية والتعدينية، وأشرف على أعمال الري، وتولى إدارة السلطة القضائية، فكان الكاهن الأكبر، والقائد الأعلى للجيش، والمسئول عن تطبيق القانون.

---

(1) جورج بوزر وآخرون، معجم الحضارة المصرية القديمة، مرجع سابق، ص230،299.

ولما كانت هذه الالتزامات، أكثر من أن يستطيع شخص واحد القيام بها مباشرة، فقد كلف الفرعون مسئولين وكهنة لتنفيذ المهمات الحكومية، والقيام بالوظائف الدينية.

واعتبر الوزير الذي يعينه الملك من بين الأسر الملكية. أعلى المسئولين مكانة، ولم يكن الوزير يساءل إلا بواسطة الفرعون، الذي يتولى تنفيذ أوامره وقراراته ومن ثم فهو على اتصال يومي مع الفرعون، وأيضاً مع كبار الكهنة، وقادة الجيش. ويهتم بتطبيق القوانين والإشراف على أمور العدل والزراعة والري والضرائب، وبالتالي يمكن للمرء أن يتخيل أن يحصل الوزير في المقابل على ثروة وامتيازات ضخمة.

وكانت مصر دولة ثيوقراطية، حيث سيطر رجال الدين عليها جزئياً. وعمل العديد من الكهنة كمستشارين ووزراء للفرعون، وقد استثنى الفرعون الكهنة من دفع الضرائب [1].

الفكر السياسي والقانوني

قدم المصري القديم نظريات سياسية مثل نظرية تقديس الملوك وكيف أن الملك ابن الله أو يمثله على الأرض أو من نسل الألهة، وهي النظرية التي انتقلت فيما بعد إلى الفكر اليوناني والروماني ثم أخذتها الأديان المختلفة لتشكيلها تشكلاً جديداً يتفق مع مبادئها العامة في التوحيد، ويرجع المؤرخون أن هذا التأثير قد انتقل من الثقافة الغربية عن طريق الإسكندر الذي زار معبد آمون بعد استيلائه على مصر واستقبله الكهنة فيه وقاموا له بطقوس

(1) أناروبز، ص102 .

دينية، إذ انتقلت الفكرة بعد ذلك إلى سكان رودس الذين عندما أرادوا تأليه بطليموس الأول استشاروا كهنة آمون وأخيراً انتشرت في الدولة الرومانية وأدت إلى وجود نظرية حق الملوك المقدس. ومن هذه النظرية نشأت نظرية أخرى انتشرت كسابقتها وهي أن الملك أو الحاكم هو المالك للأرض وأن الأفراد ليس لهم إلا حق استغلالها نظير فوائد معينة تعود عليهم.

وبالنسبة للنظام القانوني فقد مثلت (ماعت) القانون الأساسي لجميع الطبقات الاجتماعية، ولم يكن هناك من هو فوق القانون على الإطلاق، وكان المواطنون في مصر القديمة طائعين للقانون، حيث خشوا العقاب في الحياة الدنيا والآخرة، وكانت الدعاوى القضائية تنظر في المحاكم المحلية باستثناء الجرائم التي تنطوي على عقوبة الإعدام، التي ينظرها الفرعون باعتباره القاضي الأعلى.

وفي الدول الحديثة (1573- 712 ق.م) عرف المصريون نظام المحاكم الخاصة بمناسبة المؤامرات التي دبرت ضد رمسيس الثالث وكان المصريون أول من عرفوا المعاهدات الدولية، ومن هذه المعاهدات ما عقده رمسيس الثاني مع ملك الحيثيين[1].

وامتاز المصريون القدامى كذلك في الناحية التشريعية فقد كان المنطوق الإلهي (تعاليم الملك) هي التشريع الأمثل، وكان هذا المنطوق يصدر في صور مراسيم واجبة الطاعة والنفاذ، ويضرب المؤرخون مثلاً بمرسوم حور محب الذي أصدره لإعادة الأمن إلى البلاد، وإعادة تنظيم الجهاز الإداري والقضاء على الرشوة والفساد،

---

(1) حسن شحاته سعفان، ص20،21.

واستغلال النفوذ (إن الرجل الفقير هو الهدف المقصود الحماية من الظلم، والرخاء الاجتماعي هو الغاية التي ننشدها) ونص المرسوم على العقوبات التي تنتظر كل من يعيث في الأرض فساداً.

فالمجرم أو المذنب يقطع أنفه أو يقذف به خارج الحدود، واعتبر الحنث باليمين والرشوة والسرقة وتخريب أو نهب المقابر وحيازة سلع مسروقة ومقاومة مسئولي الدولة تهماً جنائية، بينما اعتبرت سرقة المقابر أسوأها. كما اعتبرت جريمة عدم الوفاء بالدين خطيرة للغاية، وغالباً ما يحكم على مرتكبيها برد المبلغ المستحق مع نسبة فائدة مرتفعة. ومن الممكن أن تأخذ الأحكام صورة دفع التعويض الإجباري أو السجن أو العمل الإجباري أو النفي إلى النوبة أو مصادرة الممتلكات والعقوبة الأشد هي الإعدام. ويعاقب المجرمون العاديين بالضرب أو الجلد وتشويه الملامح أو البتر (1).

بلاد ما بين الرافدين

لاشك أن اختراع الزراعة وانتشارها كان على حد تعبير ألزويرت هانتجتن Huntington أعمق ما استطاع أن يؤثر في الإنسان بعدما توصل إلى اكتشافه واختراعه، فالحضارة القائمة على الزراعة كنشاط إنساني تتطلب نوعاً من القدرات والمهارات التي تختلف كثيراً عن تلك التي تتصف بها نشاطات أخرى كالرعي والصيد، وخاصة أن الزراعة تحتاج إلى مزيد من العمل والجهد والمثابرة والقدرة على الترتيب والانتظار ارتباطاً بالزمان والمكان، وكذلك تتطلب الزراعة نوعاً من الثبات والنظام والتنظيم والترتيب وهذه الخصائص لا تتوافر بالنسبة للصيد والرعي. ولابد أن تكون الجماعات الأولى المبكرة التي ظهرت

---

(1) أناروبز، ص104.

لديها بوادر التفكير الاجتماعي من تلك الجماعات التي استقرت في الأرض وحصلت على درجة من المعرفة بطرق الري وتنظيمه وكيفية الاستفادة من الموارد الطبيعية المتاحة وبخاصة الموارد المائية بالإضافة إلى القوة البشرية وسائر العوامل البيئية والأيكولوجية.

وكانت بلاد ما بين الرافدين من أخصب البقاع التي شهدت الزراعة نظراً لخصوبة هذه الأراضي، فمنذ حوالي سبعة آلاف عام كان نهر دجلة ونهر الفرات يخترقان منفصلين الخليج الفارسي ويحصران فيما بينهما تلك الأراضي المنخفضة التي أقام فيها السومريون Sumerians حضارتهم.

وقد تمكن السومريون من إقامة حضارة زاهرة حوالي عام 4000 ق. م وكانت لهم لغة راقية ذات آداب وأسلوب خاص بها في الرسم هو الذي اشتهر عند العرب باسم الخط المسماري ونجحوا في فلاحة الأرض واستزراعها اعتماداً على مياه الأنهار وأقاموا السدود والخزانات لمواجهة الفيضانات وتنظيم عمليات ري الأراضي واستخدموا في زراعاتهم الفئوس والمناجل التي كانت تصنع من الصوان والطين المحروق حرقاً جيداً، كما استخدموا الدواب وأدوات الجر وعرفوا صناعة الفخار. وتقدمت فنون العمارة، كما عكستها لنا معابد الآلهة والرسومات والأشكال الفنية والمصنوعات الخشبية (1).

ومن خلال صراعهم المسلح تمكن سارجون الأول Sargon في عام 2350 من إنشاء أول إمبراطورية موحدة مكونة من دول المدن تمتد من الخليج الفارسي إلى البحر المتوسط، وجبال طوروس وتضم

---

(1) محمود أبو زيد، المختصر في تاريخ الفكر الاجتماعي، دار غريب، 1998، ص11.

كلاً من أكاد Akkad وسومر وأخضعها إلى حكم عسكري ذي حكومة مركزية منظمة وهي الإمبراطورية التي يعتبرها الكثيرون أول إمبراطورية حقيقية عرفها التاريخ.

قوانين حمورابي:

ظهر حمورابي Hammurabi ملك بابل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر قبل الميلاد 1792- 1750 ق.م، والذي مثل سادس الملوك في أسرة بابل الأولى، وقد تأكد سيطرة هذه الأسرة على حكم بابل، ومن ثم كانت بداية انطفاء شعلة عظمة السومريين، وقد بدأ حمورابي سلسلة من الغزوات حققت له إمبراطورية واسعة تمتد من ماري Mary التي تقع أعالي الفرات ونينوي Nieneveh إلى الخليج الفارسي، وقد قدم حمورابي مجموعة من القوانين تعتبر أقدم ما عرفته البشرية من قوانين وتبلغ موادها حوالي 200 مادة وتضمنت كلاً من القوانين المدنية والجنائية والتجارية وذلك في تصنيف يجمع ما بين الموضوعات المتشابهة وإن لم يتحدد فصلها بشكل دقيق.

ويعتبر عصر حمورابي آخر عصور الازدهار التي شهدتها بابل، حيث نمت في عهده العديد من المشروعات الإنشائية والاستحكامات والمعابد الدينية.

واستمر حكم حمورابي 43 عاماً لتبدأ إمبراطوريته تعاني من ملامح التدهور بعد موته حتى تمكن الحيثيون والكاشيون من القضاء عليها تماماً حوالي 1595 ق.م [1].

---

(1) محمود أبو زيد، 118.

فلسفة التشريع عند حمورابي (1792- 1750):

احتلت الدولة في حياة العراقي القديم منذ الألف الثاني ق. م موقعاً متقدماً، وكذلك (القانون)، ولا نغالي إذا قلنا أن فلسفة القانون والقاعدة الحقوقية والالتزام الخلقي من المبادئ الأساسية في المجتمع العراقي منذ ذلك الحين[1].

فقد تميز الإنسان الرافدي بوعي اجتماعي متطور وبخاصة في باب الحقوق والواجبات، حتى أنهم اعتادوا على ممارسة حقوقهم وحرياتهم في حدود (القانون) باعتباره الأداة التي تحقق العدالة.

وقد وضع حمو رابي مدونة قوانين نظمت في دقة أحكام القانون المدني في بابل ويشمل الملكية والعقود والزراعة والتجارة وأعمال الصرافة والزواج والتبني والإرث وكذلك سير المرافعات القضائية.

وقد حرم حمو رابي الانتقام بسفك الدماء وقصر تطبيق شرعه المثل بالمثل على إجراءات المحاكم المقررة، فالناس من كل الطبقات الغريب والمولود في البلاد، على السواء تنظمهم حماية القانون، ومن الطرافة بمكان بالغ أن نقرأ كيف أن أمثال هذه المسائل الحديثة كالإعفاء من الخدمة العسكرية وثبات الملكية والتعويض عن ديون الزوجة والحقوق الشرعية للنساء والأطفال، نظمها هذا الحاكم البابلي في ختام السنوات الألف الثالثة ق. م.

---

(1) جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الهداية، 1997، ط3 ص106.

ونجد قوانين الأحول الشخصية في شريعة حمو رابي مثلتها المواد (127- 194) التي عالجت مسألة الأولاد ورضاعتهم، وعدم شرعية الزواج بدون عقد شرعي، بالإضافة إلى نصيب المرأة بالتجارة وتمتعها بالحرية في ممارسة هذه التجارة وحرية الفتاة الغنية في التزوج من عبد، وبروح المشرع المسؤول، تجاوز حمو رابي في المادة (133) مسألة زواج المرأة التي تفقد في حرب أو ما شابه، في الزواج بآخر، إلى الانتظار في حالة وجود ما يكفيها من الطعام، أما إذا ثبت عدم محافظتها على عفتها، مع تيسر سبل العيش لها، فتلقى في الماء (المادة 133ب) أما إذا لم يترك ذلك الرجل الطعام الكافي لها(المادة 134) فلا جناح عليها، لأن ها دخلت بيت رجل ثان (تتزوج) وبذلك قرن المشرع سلوك الفرد بظروفه المعاشية والاجتماعية، أما إذا دخلت تلك الزوجة- التي لم تكن تمتلك الطعام الكافي- بيت رجل، قبل عودة زوجها، وأنجبت منه أولاداً فتعود إلى زوجها عند عودته (تطلق) مع بقاء الأولاد مع أبيهم، وأكدت المادة (136) على عدم رجوع الزوجة التي دخلت بيت رجل ثان (تزوجها) بعد هروب زوجها من الحرب، إلى الزوج عند عودته في نهاية الحرب[1].

ولكي لا يخدش حمو رابي كبرياء الرجل ومكانته الاجتماعية ساوى في المادة (170) بين أبناء الزوجة وأبناء (الأمة) وأبناؤها، ولا يحق لزوجته أو أولادها التحكم بهم مطلقاً (المادة171) معنى ذلك أن حمو رابي أقر عدم ديمومة العبودية على

---

(1) جمال المرزوقي، المرجع السابق، ص206، 207.

مزيد من التفاصيل جورج بوييه شمار، المسئولية الجنائية في الآداب الأشورية والبابلية، ترجمه سليم الصويص، بغداد، 1981، ومحمد كاظم العطار، حمو رابي العظيم، بغداد، 1983.

الأرقاء (من النساء والأولاد) ويتحررون حال وفاة الأب، على خلاف ما لوحظ في بيئات أخرى.

ولم تميز شريعة حمو رابي في، قسمة الإرث بين الأولاد والبنات، مهما كانت درجاتهم، كما خصصت للزوجة حصة مساوية لأبنائها في الميراث، فإذا أساء الأبناء معاملتها، وأرادوا إخراجها من البيت، فعلى القضاء معاقبة الأبناء، وإبقاؤها في بيت زوجها.

كما ضمت المادة (180) حق الفتاة المتزهدة في المعبد من الإرث، عند وفاة أبيها، حيث منحتها حصة مساوية لبقية الورثة، ويعود ميراثها بعد وفاتها إلى إخوتها، أما (التبني) منظمته المواد (185- 193) حيث نصت الأولى على ما يلي إذا تبنى رجل طفلاً (سمى) باسمه ورباه، فلا يطالب بذلك الطفل المتبنى، ولهذا الابن حقوق الآخرين.

أما حقوق الأبوة فضمتها المادة (195) بنصها على ما يلي:

(إذا ضرب الابن أباه فعلى القضاء أن يقطعوا يده).

ويزيد حمو رابي على ما سبق، تأكيده على أنه ليس بالضرورة أن يدفع الرجل مهراً لزوجته إذا اكتفت بهديته لأن قيمة الإنسان فوق كل شيء، وأن الوفاء الزوجي بين الطرفين عنوان العلاقة الزوجية الطاهرة، وأيضاً لا يحق للزوج أن يطلق زوجته إلا إذا كانت عقيماً أو زانية أو غير منسجمة معه أو سيئة التدبير للمنزل، وأن للمرأة حق ترك الزوج (مفارقته) إذا كان قاسياً معها (دون الطلاق) إذا كان مخلصاً لها.

وكذلك كانت نظرة المجتمع البابلي إلى المرأة منطوية على كثير من التقدير، فالمرأة عندهم تتمتع بقدر وافر من الاحترام، وبصفة خاصة بالنسبة إلى المرأة البابلية المتزوجة والتي تنتمي إلى الأسر العريقة والطبقات الأعلى، فمثل هذه المرأة كانت لها ملكيتها الخاصة التي تستطيع التصرف فيها وفق ما تراه أو حتى تهبها إلى ما ارتأت ذلك.

وعدم مساس الرجل بالملكية الخاصة للمرأة لا يعني أن المرأة لا تمارس واجبها كزوجة وأم وراعية للزوج والأطفال[1].

وطورت كل من بابل وآشور ديانة تقوم على مجموعة من العقائد والطقوس المتماسكة التي تتعلق بالمقدسات والمحرمات ورمزوا لها بإله بابل الأكبر ميردوك Mardack الذي كان يطلق عليه (بعل) واعتبر الحارس الأوحد لوحداتها القومية مع أشور. ومن هنا فقد مثل لديهم على أنه إله الخير والحب والتضحية والرجاء.

وقد انعكس هذا على نظام العبودية الذي كان سائداً في بابل والذي يرى الكثيرون أنه يختلف عما عرفته روماً بعد ذلك، فالعبيد في بابل كان ينظر إليهم على أنهم عائلة واحدة، بل وكان بمقدور العبد أن يصير حراً وأن يصبح عضواً في المجتمع له كل حقوق الأعضاء الأحرار وواجباتهم والتزاماتهم، فالعبودية لم تكن بمثابة حاجز يحول بين الإنسان وبين صعوده، كما لم تكن وصمة تخزي الإنسان طوال حياته.

ومنذ عصور ما قبل التاريخ كانت بلاد ما بين النهرين على وعي بالقوى الروحية التي تعتمد عليها وجودهم، وتشهد على ذلك

(1) محمود أبو زيد، ص120.

بقايا المعابد والهياكل وأماكن التضحية وتقديم القرابين، والتماثيل الرمزية الصغيرة، وتماثيل الآلهة وعادات الدفن، ومع ظهور الكتابة التي وجدت أولاً في أورك Uruk على الفرات بالقرب من مدينة أور حوالي 3000 ق. م ظهر مصدر جديد من الشواهد التي زودتنا بما يقرب من نصف مليون وثيقة مكتوبة على الطين، وكذلك بألواح الكتابة التي استخدمت العلامات المسمارية مما جعل من الممكن تتبع تطورهم الفكري.

لقد طور السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد تصورات حول الكون كان لها تأثير على خلفائهم من البابليين والآشوريين والحيثيين.

وكان تصورهم الرئيسي أن الكون يتسم بالنظام وأن كل ما يمكن أن يدركه الإنسان فهو إنعكاس لتجلي العقل الإلهي لنشاط خارق للطبيعة.

والعناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عند السومريين هي السماء أن an والأرض كي Ki وتبدو الآلهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوي ليل Lil أو الروح وهم يعتقدون أن البحر الذي كان في البدء هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب والنجوم وكل يتحرك في طريقه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث على الأرض، ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية.

أما الكائنات التي تعلو على الإنسان والموجودات غير المنظورة التي تتحكم في الكون الكبير وتتجسد فيه فكانت بالضرورة توصف بصفات بشرية من ذلك أنها كالرجال والنساء لها

انفعالاتها الطاغية وجوانب ضعفها كما أنها تأكل وتشرب وتتزوج وتنجب، لكنها على خلاف البشر خالدة بالآلهة عندما خلقت البشر احتفظت لهم بالموت وأبقت الحياة في يدها.

ولقد اعتقد السومريون أن هناك قوى إلهيه تسمى (مه Me) بواسطتها تتحكم الآلهة في أمور العالم وهذه القوى الإلهية تشمل السيادة، الألوهية، التاج، الكهانة، القضاء، العدوان، الأمانة، المعاشرة الجنسية، الصراع....، وقد وضع السومريون مئات الأسماء المقدسة وصنعوا كل منها على أنه إله، ولكل إله خاصية مميزة ومناطق مسئولية محددة [1].

كان (آن – و an – u) إله السماء في الأصل هو الحاكم الأسمى والإله الرئيسي في مجمع الآلهة السومري، وكان في البداية مهتماً بشئون الحكم، ويرمز له بغطاء للرأس ذي قرون علامة على ألوهيته، وكان معبده الرئيسي في أورك Uruk ولكن عندما هزمت مدينة Nippur المجاورة لمدينة أوروك أصبح إلهها إنليل Enlil الليل Elil (سيد الغلاف الجوي والرياح) وأصبح معبده الرئيسي في أكورEkur موضوع توقير عال. وانليل هو المحسن، والجد الأول الذي يعزي إليه خلق الشمس والقمر والنباتات والأدوات الضرورية التي يسيطر الإنسان بواسطتها على الأرض.

وثالث قادة مجتمع الآلهة بعد (أنو) و(إنليل) هو الإله نكي Enki (إله العالم السفلي) المعروف أيضاً باسم (أيا Ea إله الأعماق، فقد حكم المياه في بدايتها وتعزي إليه الحكمة كلها، وفي مقابل

---

(1) بارندر، ص12، 13.

استعلاء (أنو) و(إنليل) وغطرستهما نجد أن (أيا Ea) كان محبوباً من البشر ومن رفاقه الآلهة في أن معا. ولما كان يعلم جميع الأسرار فقد أصبح راعي السحرة والحرفيين.

وكان ابنه مردوخ Marduk هو الذي عهد إليه برئاسة مجمع الآلهة كله عندما كانت مدينة بابل هي مركز الدولة القوية التي سيطرت على معظم بلاد ما بين النهرين، وفي ذلك الوقت كان الإله نابوا Nabu ابن مردوخ هو راعي العالم لاسيما الفلك، وفنون الكتابة وقد استولت الآلهة العظيمة عشتار بالتدريج على وظائف كثيرة من الآلهات الإناث السابقات وأصبح اسمها مرادفاً للفظ (الالهة) في حين أنها كانت هي نفسها راعية الحرب والحب في آن معاً.

أما آشور فقد كانت آلهة أخرى موضع تقدير وتبجيل عندها فإله الجو (حدد) يركب العاصفة وهو يرعد كالثور، ممسكاً في يده بشوكة البرق، وعلى الرغم من أنه يجلب الخراب والدمار عن طريق ما يسوقه من فيضانات فإنه كان أيضاً شخصية محبوبة تجلب الرخاء عن طريق المطر.

ولقد احتاجت آشور باستمرار لتأكيد وضعها السياسي والاقتصادي أن تقوم بحملات عسكرية مستمرة، ولهذا نرى آلهتها تتسم بسمات عسكرية مثل نينورتا Ninurta إله الحرب والصيد وربما هو نفسه نمرود Nimrod الذي يذكره الكتاب المقدس[1].

---

(1) بارندر، ص17.

وظهرت أساطير حول أصل العالم وكيفية خلق السموات والأرض، فالبطل (مردوخ) حارب تعامة أوتيمات Tiamat (تنين البحر) ومعناها الحرفي أليم أفعى الظلام، وقتلها ثم شقها إلى نصفين، فانفتحت كالصدفة فصنع السماء من نصفها الأول والأرض من نصفها الثاني.

وتصور ملحمتا أتراجيس وجلجاميش الطوفان على أنه عقاب أنزلته الآلهة بالجنس البشري. ولقد ظفر البطل في كل ملحمة منهما بالخلود وبقى بفضل ما قدمه له الإله إنكي من تحذيرات (أو الإله أيا Ea) وكذلك عن طريق بناء سفينة تهرب عليها عائلات البشر والحيوانات.

الملك مثل الآلهة على الأرض أو أنه ينوب عنها، فقد منحته الآلهة السلطة لكي يتصرف نيابة عنها، وهي تتوقع منه أن يعامل الناس بالعدل وبلا محاباة، بحيث يدافع عن الضعيف أمام القوي، وأن يكون نصيراً لليتامى والأرامل، وقد كان يوجه الاعتبارات الأخلاقية لما تجلبه من رضا الآلهة وبركاتها وما يمنع لعناتها، وقد كانوا يعتقدون أن سلامة الملك تقوم عليها سلامة الجماعة، ولهذا فإنها تتخذ إجراءات عامة لضمان ذلك.

وما يقوم به الملك طوال حياته من أعمال يحكمه طقوس دينية واحتفالات تضمن طهارته وتحرس شخصه والملك يعهد إلى كهنة مختصين ببعض الواجبات الخاصة وتقديم القرابين والمسح بالزيت وتلاوة التعاويذ والرقى عن طريق الغناء والإنشاد الديني[1].

(1) بارندر، ص33.

الخطيئة والعذاب:

هناك أخطاء تستوجب القصاص الإلهي في صورة المرض أو الاضطراب، بل وحتى الموت. أما نتائج الأفعال الحسنة فكانت تسجل أيضاً. وهنا نصوص من التعاويذ تصف الإثم بأنه ذلك الذي يأكل ما حرمه على آلهة أو يحتقر آلهته أو يسخر منها، أو ينطق بالباطل ولا يحكم بالحق، وهو الذي يظلم الضعيف ويباعد بين الابن وأبيه وبين الصديق وصديقه ولا يعتق الأسير، ويمكن أن تغفر هذه الخطايا بتلاوة تراتيل التوبة والصلاة أو النواح، كذلك يمكن التحرر فيها بتقديم قربان التكفير[1].

الطاعة جوهر الحياة الفاضلة عند العراقي القديم:

آمن إنسان وادي الرافدين بأن كل ما في الكون يسير حسب (خطط) إلهية تستند على قواعد ونواميس مقررة وما على الإنسان إلا ينقاد لها طائعاً مختاراً لأن الآلهة استهدفت من ورائها خير الإنسان وعدالته، كما استهدفت تسيير الكون دونما اضطراب أو خلل فوضعت له نظاماً دقيقاً عادلاً من أجل الحفاظ على التوازن والانسجام الكلي فيه، ما على الفاضل إلا طاعته.

واحتلت فضيلة (الطاعة) الواعية موقعاً مهماً في الأخلاق الرافدية تعضدها مفاهيم خلقية ظهرت في مجرى التطور اللاحق لمدارك ووعي الإنسان الرافدي، أهمها (فضيلة الانسجام والتوافق) والحياة الفاضلة هي الحياة "المطيعة" والعصر الذهبي هو عصر الطاعة حيث تتدرج فيه هذه الفضيلة من دائرة الأسرة، فالمجتمع،

---

(1) بارندر، ص34.

فالدولة والنظام وفق سلطة موجهة، إذ يستحيل في عرف العراقيين القدماء وجود عالم منظم دون سلطة تكون دائماً على (حق) لأنها تطبق (القانون العام) و(النظام الإلهي)، وعلامة التنظيم في حياة الفرد هي الطاعة والتخطيط للمستقبل من أجل حياة أفضل، ومركب الطاعة والتخطيط هو الصحة والعمر الطويل والمركز المرموق والأبناء الكثر، والمال.

وهنا نشيد يصف عصر الطاعة:

يوم يحج المرء عن السفاهة إزاء غيره، ويكرم الأبن أباه
يوم تبين الاحترام جليا فى البلاد، يتحمل صغيراً لقدر الكبير
يوم يحترم الأخ الصغير....... أخاه الكبير
ويرشد الولد الأكبر الولد الأصغر، ويتمسك الأخير بقراراته

ويوصي العراقي القديم دائماً بأن (اسمع كلام أمك كما تسمع كلمة إلهك)، (واحترم أخاك الأكبر)، (واسمع كلمة أخيك الأكبر كما تسمع كلمة أبيك)، (ولا تغضب قلب أختك الكبرى).

وما طاعة المرء للإفراد الذين يكبرونه سنا في العائلة إلا البداية، فوراء العائلة دوائر أخرى الدولة والمجتمع والملك[1].

والعراقي القديم ينظر إلى الجمهور الذي لا قائد له نظرة الاستياء والشفقة، ونظرة الخوف أيضاً. والجنود بلا ملك غنم بغير راعيها.

---

(1) جمال المرزوقي، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الهداية، ط3، 1997، ص197.

ولذا يستحيل وجود عالم منظم إذا لم تفرض عليه سلطة عليا إرادتها والفرد هنا يشعر بأن السلطة دائماً على حق (أوامر القصر) كأوامر الإله لا تتبدل، كلمة الملك حق، ونطقه كنطق الإله لا يغيره شيء[1].

الفكر الفارسي : الزراد شتيه

الزرادشتيه من أقدم الديانات الفارسية، ومؤسسها زراد شت أو زور استر Zoroaster وهو الاسم الذي ذاع استخدامه عند اليونان.

وعاش زرادشت في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، وتوفي عام 583 ق. م، وكان يقيم بازريمان وقد انتشر الدين الذي بشر به من بلخ إلى فارس وذلك على أثر إيمان الملك الفارسي به.

وظهر زرادشت بين أسلافه الميديين والفرس وجد بني وطنه يعبدون الحيوانات كما يعبد أسلافهم، ويعبدون الأرض (أنا هيتا) آلهة الخصب والأرض ويعبدون (ميثرا) إله الشمس و(هوما) الثور المقدس، ولقد ضاق زرادشت ذرعاً بتلك الآلهة البدائية وراح يثور على الكهنة ويعلن أنه ليس في العالم إلا إله واحد هو (أهورمزدا) إله النور والسماء وأن ما عداه ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاته.

وقد جمع أصحاب زرادشت أقواله وأفعاله وأدعيته في الكتاب المقدس المسمى (زندافستا) Zend Avesta أو (الابستاق). والفكرة السائدة في الكتاب المقدس هي ثنائية العالم الذي يقوم على مسرحه صراع بين الإله أهورامزدا والشيطان أهريمان، وأن أفضل الفضائل هما الطهر والأمانة ويؤديان إلى الحياة الخالدة.

---

(1) جمال المرزوقي، المرجع السابق، ص198.

وأهورمزدا إله الكون كله الذي ليس له شريك وله خصم هو دون في الرفعة وهو أهريمان إله الشر الذي سينهزم على مر الزمان، وأهورامزدا هو دائرة السموات كلها نفسها، يكتسي بقية السموات الصلبة يتخذها لباساً له، وجسمه هو الضوء والمجد الأعلى، وعيناه هما الشمس والقمر ولقد جعل زرادشت من النار الصادرة من الإله أهورامزدا عنصراً مشتركاً بين جميع الموجودات كل شيء يخرج منها، وكل شيء يعود إليها، فهي جوهر وماهية هذا الشيء، إذ أن أهورامزدا قد احتوى على الوجود كله. إنه يعيش في وحدته المترفعة محتوياً على أفكار الخلق الروحي والمادي في عقله، فعقل أهورامزدا بمثابة العالم المعقول الذي يحتوي على أصل الأشياء والأفكار، وأنه عندما تفيض من نوره الأشكال المتعددة تكون بمثابة مرآه لذاته.

إن إله زرادشت يسمو على كل شيء وقد عبر عن هذه الفكرة بعبارات لا تقل جلالاً عما جاد في سفر أيوب يقول: (هذا ما أسألك عنه فاصدقني الخير يا أهورمزدا منذ الذي رسم مسار الشموس والنجوم، منذ الذي يجعل القمر يتزايد ويتضاءل؟ ومنذ الذي رفع الأرض والسماء تحتها وأمسك السماء وارتفع؟ منذ الذي حفظ المياه والنباتات؟ ومنذ الذي سخر الرياح والسحب سرعتها؟ ومنذ الذي أخرج العقل الخير يا أهورامزدا([1]).

إن الأساس الذي قامت عليه الزرادشتيه هو مبدأ تعميم الخير وإبادة الشر، وأنه من الوسائل الضرورية لتحقيق هذه الغاية هو

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، مرجع سابق، ص88.

مزيد من التفاصيل انظر ترانيم زرادشت، ترجمة وتقديم فيليب عطية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993 .

تقوية النوع الإنساني ونشر الخصوبة والعمران على الأرض وكذلك وحد زرادشت بين الإله (مازدا) وبين (الخير) وجعلهما اسمين لمسمى واحد، ونتيجة لذلك أصبح الخير قلب الديانة الزرادشتيه وسيعم الكون كله عندما تسود الفضيلة وينهزم (أهريمان إله الشر).

ويعلي زرادشت من شأن إله الخير على إله الشر من ناحية الأخلاق والأبدية، بيد أن هذا الإله مع علوه وسموه وجلاله لم يسلب القوة والإرادة من البشر حتى الأشرار منهم، بل تَرك لهم قدراً من الإرادة يكاد يساوي إرادته حتى يكونوا كاملي الحرية في الاختيار.

ورأى زرادشت أنه لكي نفهم الله ونعرفه حق المعرفة يجب أن نتعلم كيف نفهم إخواننا في الإنسانية وفي طريقنا إلى هذا الفهم لابد أن نمر بعدد من علامات الطريق (العدالة- التعاون- الإيمان- السعي وراء الكمال).

وعن المصير الأخروي للروح فنجد صورة للثواب والعقاب، فيذكر زرادشت أنه عندما تنتهي مهمتنا في الحياة فيستدعي كل إنسان ليقدم حسابه عن عمله، وكان لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن يجتاز قنطرة ممتدة فوق الجحيم، تجتازها الأرواح الخيرة الطيبة حيث يستقبلهم (أهورامزدا) إله النور وهناك يعيشون حياة كلها سعادة وغبطة في كنف الإله مازدا إلى أبد الدهر.

أي أن الروح الطيبة تلقاها وترحب بها فتاة عذراء ذات قوة وبهاء وهناك تعيش مع أهورامزدا سعيدة منعمة إلى أبد الدهر.

أما الأشرار فإنهم يسقطون في هوة من الظلمة في خارجها يطعمون سماً زعافاً، أما من استوت حسناتهم وسيئاتهم فإنهم يضعون

في مكان فسيح بين السماء والأرض يقاسون فيه ألم الحر والبرد ويحسون بجميع التغيرات الجوية ويظلون ينظرون في أمل ورهبة الحكم الأخير على مصيرهم وكان من الطقوس والممارسات الشعائر المتعلقة بالزرادشتيه أنهم كانوا يتخذون النار إلهاً يعبدونه ويسمونه (أنار) وينشئون المذابح المقدسة ويوقدون فيها النيران تكريماً (لأهورامزدا) فضلاً عن أن كل أسرة كانت تجتمع حول موقدها في سبيل أن تظل نار بيتها موقدة لا تنطفئ أبداً[1].

ومن أهم التعاليم الأخلاقية الزرادشتيه ما يلي:

- الحفاظ على ما يسمى بحسن السمعة حتى يمكن أن تفوز بالاحترام.
- أن تتجنب كل الظروف التي تجعلك تتردى في الخطايا.
- أن تعترف علانية بالخطايا التي ارتكبتها، إذ بتخلصك مما هو شر يبقى على عقلك صافياً.
- يجب على الفرد أن يكون ورعاً تقياً مطيعاً لكل من معلمه وكاهنه وأن يكون قدوة للجميع.
- واجب الإنسان عندهم أن يفعل الفضيلة ويقول الصدق والحق.
- عدم الخروج على القوانين التي وضعها إله الخير (أهورامزدا) ليجنب نفسه ومجتمعه سخط إله الشر ومن ثم فهو يعمل على انتصار الخير على الشر.
- إن على الإنسان واجبات ثلاث أن يجعل العدو صديقاً وأن يجعل الخبيث طيباً وأن يجعل الجاهل عالماً.

(1) حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص98.

- الالتزام بالفضائل ولذلك فإن واجب الإنسان أن يتجه إلى عبادة الله بالطهر والتضحية والصلاة [1].

وقد مارس زرداشت أو زوراستر Zoroaster نشاطه في شمال شرق إيران، ووصلتنا تعاليم زاردشت في سبع عشرة ترنيمة من ترانيم المسماة جاثا Gathas وعلى الرغم من أنه يصعب ترجمتها فإن حماسه وحبه لله وحكمته كانت أموراً مذهلة. إن الله عند زاردشت هو السيد المهين الحكيم، أهورمزدا، خالق السموات والأرض، وهو الأول و الآخر، ومع ذلك فهو أيضاً الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن أن تكون لله علاقة بالشر، فروحه المقدسة هي التي تقيم الحياة وتخلق الرجال والنساء. وتعارضه الروح الشريرة أو القوة المدمرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب، وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين أو بين التوأم من الآلهة، فإن سلكوا طريق الشر فسوف تمتلئ حياتهم بالأفكار الشريرة والكلمات الشريرة والأعمال الشريرة وإن سلكوا طريق الحق فسوف يشاركون في العقل الخير، ويبلغون الكمال والخلود والورع.

والله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخير، والله لا يمكن أن يكون مسئولاً عن الشر، لأن الشر جوهر مثله مثل الخير، وكل منهما يرجع في النهاية إلى سبب أول هو الله، والشيطان أهرمان Ahriman الموجود بصفة مستمرة والمسئول عن كل شرور العالم، وعن الأمراض والموت

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، ص98.

والغضب. وبما أنهما جوهران متعارضان تعارضاً أساسياً فهما لا محالة يشتبكان في صراع. وهناك صراع بين الله والشيطان، وسوف ينهزم الشيطان في النهاية.

وزاردشت لم يقابل بين الروح والجسد كما فعل القديس بولس، لأن النفس والبدن وحدة واحدة، وإذا ما انسحب المرء من العالم كما يفعل الناسك، فإنه بذلك ينبذ عالم الله. ومن هنا كان الزهد خطيئة كبرى مثله مثل الانغماس في الشهوات[1].

وعلى الرجال واجب ديني يفرض عليهم أن تكون لهم زوجة وأطفال وبذلك يزيدون من أتباع ديانة الخير ومن المؤمنين بالأفعال المقدسة. كذلك حرث الأرض وفلاحها ورعي الماشية، ولما كانت الصحة هبة من الله، فإن على جميع البشر أن يسعوا إليها لكي تصح أجسامهم (فالعقل السليم في الجسم السليم، وهذا بدوره يمكن الإنسان من القيام بالأعمال الصالحة).

وللزرادشتيه أخلاق اجتماعية قوية، وفي مقابل الهندوسية، نجد أخلاقياتها في أساسها إيجابية فعالة، فالعمل هو ملح الحياة. لكن خلق الشخصية لا يعبر عنه فقط فيما يفعل المرء ويقوله، بل بأفكارهما. ولابد للناس أن يقهروا بعقولهم الشكوك والرغبات السيئة، وأن يقهروا الجشع بالرضا، والغضب بالصفاء والسكينة، والحسد بالإحسان والصدقات، والحاجة باليقظة، والنزاع بالسلام والكذب بالصدق[2].

---

(1) بارندر، ص120.

(2) بارندر، ص121.

إن تاريخ الإسرائيليين القديم يستحيل إثباته من أي مصدر غير (العهد القديم) ومحال علينا أن نعلم عند أي نقطة يبدأ ذلك التاريخ في ألا يكون مجرد أساطير من نسج الخيال، فربما جاز لنا أن نقبل (داود) و(سليمان) على أنهما ملكان لهما وجود فعلي، لكن أول مرحلة نصل إليها بحيث نجد أنفسنا إزاء شيء لا شك في حقيقته التاريخية، نرى عندها أن ثمة مملكتين قد قامتا بالفعل، وهما مملكة إسرائيل، ومملكة يهوذا، فأول شخص مذكور في العهد القديم ممن تؤيد وجودهم وثائق غير العهد القديم نفسه هو أهاب Ahab ملك إسرائيل الذي ذكر في خطاب أشوري عام 853 ق. م فقد انتهى الأمر بالآشوريين إلى غزو المملكة (الشمالية) سنة 722 ق. م، وبعدئذ أصبحت مملكة يهوذا وحدها هي التي تصون الديانة والتقاليد الإسرائيليتين، ذلك أن مملكة يهوذا قد أفلتت من اعتداء الآشوريين بعد أن كادت تقع في نطاقهم، إذ بلغ سلطان الآشوريين ختامه باستيلاء البابليين والميديين على نينوي سنة 606 ق. م. غير أن (بنوخذ نصر) قد استولى سنة 586 ق. م على أورشليم، ودمر المعبد وأبعد جانباً كبيراً من سكانها إلى بابل، ثم سقطت مملكة بابل سنة 538 ق.م حين اغتصب كورش ملك الميديين والفرس بمدينة بابل، وأصدر كورش سنة 537 ق. م مرسوماً يبيح لليهود العودة إلى فلسطين، فعاد الكثيرون منهم تحت قيادة (نخمتا) و(عزرا) وأيد بناء (المعبد) وأخذت العقيدة اليهودية الأصلية تتبلور في نصوص محدودة.

ولقد طرأ على الديانة اليهودية تطور غاية في الأهمية، إبان فترة الأسر، وقبلها إلى حين وبعدها إلى حين فمن الوجهة الدينية،

يظهر أنه لم يكن أول الأمر اختلاف كبير بين الإسرائيليين وبين القبائل المحيطة بهم فلم يكن (يهوا) بادئ ذي بدء سوى إله قبلي يقرب إليه أبناء إسرائيل، لكن أحداً لم ينكر أن قد كان ثمة آلهة أخرى، وأن عبادة الناس لهذه الآلهة كانت قائمة، فإذا ما جاءت (الوصية) الأولى تقول (لا ينبغي لك أن تعبد آلهة من دوني) فإنما كانت بذلك تعبر عن حقيقة جديدة بالنسبة للعصر الذي سبق الأسر مباشرة، فإنك لتجد في أقوال الأنبياء السابقين نصوصاً كثيرة تؤيد هذه الحقيقة، فالأنبياء في هذا العصر هم أول من راح يعلم الناس بأن عبادة الآلهة الوثنية خطيئة وأذاعوا في الناس بأن النصر في حروب ذلك الزمان التي لم تنقطع، مرهون برضا (يهوا) ولا يتردد (يهوا) في منح رضاه عن الناس إذا هم كرموا آلهة أخرى سواه، والظاهر أن (إرميا) و(حزقيال) هما اللذان ابتكرا الفكرة القائلة بأن كل العقائد الدينية باطلة إلا واحدة وأن (الله) يعاقب على الوثنية[1].

تروي الأسفار السبعة الأولى في العهد القديم أن العبرانيين انحدروا من إبراهيم زعيم آرامي من عشيرة كان موطنها الأول في أقصى الجنوب من أرض الجزيرة بإقليم (أور).

وينسب العبرانيون إلى تاريخ أبي إبراهيم زعامة القبيلة أثناء هجرتها نحو الشمال وبعد وفاة تارح قاد ابنه إبراهيم جزءاً من هذه القبيلة متنقلاً به في صحراء الشام بين الجنوب والغرب ملتمساً مواطن الكلأ لماشيته حتى وصلوا تخوم مصر، وسمح لهم المصريون بالإقامة، فأقاموا زهاء سنة ثم تابعوا تجوالهم، كعادةالرعاة،

---

(1) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، جـ2، ص16.

مزيد من التفاصيل انظر أحمد مرسي، الفولكلور والإسرائيليات، الهيئة العامة للكتاب، 2001.

فأخذوا يزرعون صحراء الأردن شرقاً وغرباً، وكانت هذه المنطقة تموج بعديد من القبائل السامية مثل الآمونيين والعموريين والأدوميين والخبيرو والأرامين والمؤابين والعماليق، وكانت هذه القبائل في صراع دائم، وقد لجأت قبائل يوسف العبرية إلى مصر وسكنت شرق الدلتا.

وكان يسكن المنطقة الداخلية من فلسطين القبائل الكنعانية، وكانت فلسطين نفسها تسمى (أرض كنعان) أما الساحل فكانت تسكنه قبائل الفلسطين الكريتية التي هاجرت من الجزر الايجية وخاصة كريت نتيجة غزو موجات من الآرين الذين زحفوا جنوباً على هذه الجزر ونهبوا كنوس عاصمة كريت 1400 ق. م ودفعوا أهلها إلى الهجرة بأعداد وفيرة إلى سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية حيث فلسطين ومصر وأسسوا مدن غزة وجات وأسدود وعسقلان وعترون.

وتحالفت القبائل العبرية التي كان يقودها إبراهيم مع قبائل الحابيرو الذين استعانوا بالخيانة والغدر لاحتلال فلسطين التي كانت تابعة لمصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

وتزعم موسى ثورة من قبائل يوسف في مصر في عهد مرنبتاح بن رمسيس الثاني هرباً مما لاقوه من انتقام رمسيس الثاني نتيجة غدرهم بالمصريين.

وكان موسي قبل ذلك قد وثق صلاته بقبائل البدو بزواجه من ابنة زعيم قبيلة مدين واستطاع بعد هروبة من مصر أن يجمع بعض القبائل البدوية في شعب واحد بعد تجوال طويل في شبه جزيرة سيناء واتخذوا لهذا الشعب إلهاً خاصاً هو (يهوه) استعاره من قبيلة كانت تسكن حول جبل في سيناء. إذ رأى موسى تشابهاً بين

معتقداتها والمعتقدات السامية الشائعة، ونشأت اليهودية من الجمع بين اعتبار (يهوه) إلهاً واحداً وبين طقوس العبادة في المعابد التي اقترحها حزقيال [1].

وقاد موسى جموع شعبه إلى واحة قادش وعبرت قبائل يوسف نهر الأردن بزعامة يشوع، ولكنها لم تصادف نجاحاً تاماً. فاضطرت إلى الدخول في معارك ضارية مع القبائل الأخرى. واتخذت بعض القبائل الكنعانية (يهوه) إلهاً لها وتولى قادتها (القضاة) شئون الحكم فيها، وانضمت إلى القبائل العبرية في حروبها.

وطال الصراع بين العبرانيين وحلفائهم الكنعانيين والفلسطينيين وأدى هذا الصراع إلى أن تستقر بعض القبائل في الشمال مكونة دولة يهوذا، وأن تستقر بعض القبائل في الجنوب مكونة دولة إسرائيل، وتفصل بين المجموعتين قبائل كنعان المستقلة في الداخل والقبائل الفلسطينية على الساحل.

ودخل الإسرائيليون في حروب كثيرة ضد الكنعانيين والفلستين وانهزم الإسرائيليون هزائم منكرة فاختاروا شاوول ملكاً عليهم، ولكنه قتل عندما انتصر عليه الفلستين في جلبوع وقدموا دروعه إلى معبد مينوس الفلستيني قرباناً.

وغزا داوود ملك يهوذا أورشليم التي كانت مركزاً لإحدى القبائل وجعلها عاصمة له، ثم حارب المؤابين والأمونيتين والأدوميين وانتصر عليهم ولكن العداء بين يهوذا وإسرائيل كان قوياً. وتبع داود ابنه سليمان (973- 933) ق. م الذي تحالف مع فرعون مصر، ومع حيرام ملك صور، وأثرى كثيراً من التجارة ومع ذلك أدخل نظام

---

(1) عبد المجيد عبد الرحيم، ص43، 44.

الضرائب والسخرة، وكان مغرماً بالبناء فأقام المعبد الملكي وسوراً حول أورشليم، وقد بالغ الكتاب الإسرائيليون (في العهد القديم) بالإشادة بعظمة حكمة وثراء الدولة في عهده، ولكن ذلك لا يقاس بعظمة أي ملك مصري أو بابلي.

ولم يتمسك اليهود بإلههم دائماً بل عبدوا (بعل) إله مدينة صور، كما عبدوا (آمون) إله المصريين وحالفوا كل دولة تقوى ضد كل دولة يظنون ضعفها، فكانوا كالمقامرين يكسبون حيناً، ويخسرون في أغلب الأحيان، لذلك تعرضوا لكثير من النكبات، فتآمرت إسرائيل ضد سارجون فاستولى على عاصمتها ساريا ونفى أكثر من سبع وعشرين ألفاً من أهلها. وبذلك قضى على دولة إسرائيل وتحالفت يهوذا مع آشور ضد مصر فاجتاحتها جيوش الفرعون نخاو الثاني في موقعة مجدو (609) ق. م. وانضمت إلى مصر ضد بابل فاجتاحتها جيوش بختنصر الذي أنتصر علىنخاو في موقعة قمريش (605) ق. م وضرب بختنصر أورشليم 586 ق. م وساق غالبية الشعب العبري أسرى إلى بابل [1].

وهكذا انتهت القرون الأربعة التي عاشتها المملكة العبرانية، وكانت من بدايتها إلى نهايتها مجرد حدث صغير على هامش أحداث تاريخ مصر وسورياً وآشور وفينيقيا، ذلك التاريخ الأكثر سعة وعظماً.

وفي بابل كتب العبرانيون تاريخهم وأدبهم وبكوا طويلاً على ماضيهم وبالغوا في تصوير أمجادهم، ومن ذلك التسجيل نشأت كتب العهد القديم إلا قليلاً مما أثر على موسى في الأسفار الخمسة الأولى.

---

(1) عبد المجيد عبد الرحيم، ص46.

ولما انتصر قورش الفارسي على بابل 539 ق. م سمح لليهود الذين أزروه بالعودة إلى أورشليم وأعطاهم ما بقي من خزائن بابل من أنيتهم الثمينة التي كان قد نهبها بختنصر عندما دمر أورشليم عن آخرها، وسمح قورش أيضاً بإعادة بناء الهيكل وممارسة عبادتهم.

ولكن اليهود الذين عادوا إلى أورشليم بأمر قورش كانوا شعباً يختلف في الدم والحضارة عن أولئك الأسرى الذين استاقهم بختنصر إلى بابل فإن هؤلاء الأسرى اختلطوا بالشعب البابلي وأخذوا عنهم ثقافتهم وحضارتهم كما دخل كثير من البابليين في الديانة اليهودية، ولذلك لا نعجب كثيراً إذا رأينا كثيراً من الأفكار التي احتواها العهد القديم مقتبسة من الثقافة البابلية مثل قصة الخلق وقصة الطوفان، وآدم وحواء، وقصة حياة موسى.

ولعل ثقافة بني إسرائيل في القرن الثامن كانت في أغلبها بابلية، فإننا نجد لشرائعها أو سننها وعاداتها الاجتماعية نظائر في أرض الجزيرة، وليس من المعقول أن بني إسرائيل استعاروا هذه الشرائع والسنن والعادات مباشرة، وإنما الأقرب إلى المنطق في تفسير هذه الحقائق هو أن الكنعانيين هم الذين انتقلت هذه الأشياء بواسطتهم إلى العبريين، إلا أنه يظهر أن الخزف والعمارة وصياغة المعادن عند بني إسرائيل قد تأثرت في فلسطين ومصر.

والثابت تاريخياً أن اليهود قد اقتبسوا كثيراً من ثقافة المصريين حينما نزلوا لديهم مثلما اقتبسوا من ثقافة البابليين. ويقارن المؤرخون بين أقوال أمينوي الحكيم المصري القديم (القرن العاشر قبل الميلاد) وبين آيات سفر الأمثال وسفر الملوك في العهد القديم فيجدون تماثلاً يكاد يكون تاماً كما يجدون تشابهاً بين صلوات

إخناتون للإله آتون وبين أقوال أنبياء العهد القديم [1].

وفيما عدا ذلك نجد العهد القديم ما كتب فيه بعد الأسر حافلاً بكثير مما يعكس نفسية الشعب المضطهد المريض بكراهية الناس وحب نفسه والناقم على كل الشعوب لأنه أحق منها بكل ما لها من خير، لأنه شعب الله المختار، فلعن كاتبوا العهد القديم كل الشعوب التي حاربت العبرانيين وشوهوا تاريخها.

وفي بعض الفقرات نثبتها هنا، لتوضح لنا تعاليمهم، كما نوضح انتشار الشعائر الوثنية التي كانوا يناهضونها: ألست ترى ما يصنعون في مدن يهوذا وفي طرقات أورشليم؟ إن الأطفال يجمعون الحطب، والآباء يشعلون النار، والنساء يعجن العجين ليخبزن الكعك لملكة السماء (عشتروت) ويصببن الشراب لسائر الآلهة ويحرقون أبنائهم وبناتهم في النار وذلك ما نهيتهم عن فعله، فالله يغضب لمثل هذا.

وفي (أرميا) فقرة غاية في الأهمية، يهاجم يهود مصر لوثنيتهم، فترى النبي ينبئ اليهود اللائذين بمصر أن (يهوا) سيفنيهم جميعاً، لأن زوجاتهم قد حرقن البخور لآلهة أخرى. وعندما لاحظ يهوذا هذه الأفعال الوثنية قال: لقد أقسمت باسمي العظيم أن اسمي لن يجري بعد الآن على لسان رجل من يهوذا، في أرجاء مصر كلها، سأرقب أهل يهوذا لتلحق بهم الشر، لا ليصيبهم الخير، وسيكتب

(1) عبد المجيد عبد الرحيم، ص48.

مزيد من التفاصيل انظر ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، جذورها في التاريخ الغربي، عالم المعرفة، ديسمبر، 1985.

علـى أهـل يهـوذا جميعـاً، الـذي يسـكنون أرضـي مصـر، أن يفنـوا بالسيف وبالمجاعة حتى يزولوا فرداً فرداً.

ولـو كـان (يهوا) قادراً علـى كـل شـيء، وإذا كـان اليهـود (شعبه المختار) لما وجدنا تعليلاً لما كـان يعانيه اليهود من عـذاب إلا سوء أفعالهم، والموقف النفسي هنا موقف الوالد يرى أبناءه، فاليهود ينالون العقاب لكي يطهروا من آرائهم، وقد فعلت بهم هـذه العقيدة فعلها وهـم في المنفـى، بحيـث طـوروا في أنفسـهم تعصـباً أشـد عنفـاً وأسرف تطرفاً في الروح القومية التي لا تقبل في الشعب دخيلاً.

وكـان اليهـود يتميـزون عـن سـائر أمـم العـالم القـديم باعتدادهم القومي الذي ذهبوا فيه إلى حد العناد، فكل مـن عـداهم كانوا إذا أصابهم الغزو، يستسلمون باطناً وظاهراً، أما اليهـود فهـو الشعب الوحيد الـذي احتفظ لنفسه بعقيدته في امتيازه علـى سـواه، وبإيمانه بأن ما أصابهم من الكوارث، إنما جاء نتيجة لغضب الله، لأنهـم قصـروا في صيانة مـا لعقيـدتهم الدينيـة ولطقوسـهم مـن صـفاء. وأخـذت تنمـو بـين اليهـود كـل العوامـل الـتي تعمـل علـى تميزهم.

(أنا الله مولاكم الذي فصل بينكم وبين سائر الناس)

(إنكم ستكونون شعباً مقدساً، لأني - أنا مولاكم- مقدس)[1].

---

(1) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج2، ص18، 19.==

مزيد من التفاصيل انظر جيمس فريزر، الفولكلور في العهد القديم، (التوارات)، جزئين، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف، 1982.

وأخذوا يعنون بالختان ليكون علامة تميز اليهودي عن غيره، ويزيدون من عنايتهم بيوم السبت ومبادئهم الخلقية نراها مبسوطة في سفر الجامعة الذي ربما كتب حوالي سنة 200 ق. م وهنا نجد الأخلاق مصطبغة بصبغة دنيوية إلى حد بعيد.

(حسن الأحدوثة بين الجيران له قيمة كبرى)

(الصدق خير سياسة) (التصدق مشكور)

(لا ينبغي أن نبالغ في الرأفة مع العبيد، فالعلف والعصار والأثقال للحمار، وكذلك الخبز والتأديب والعمل للخادم، أشغله في عمل، فذلك ما يصلح له، فإذا لم يكن مطيعاً زده أغلالاً على أغلال. واذكر في الوقت نفس أنك قد دفعت ثمنه وأنه إذا فر هارباً فقد ضاع عليك مالك. وفي هذا الحد للشدة النافعة.

(البنات مصدر قلق نفسي عظيم) و(من المرأة يأتي الخبث).

من الخطأ أن تكون مرحاً مع أبنائك والتصرف الصحيح معهم هو أن تحني رقابهم منذ الصغر.

والتعاليم الخلقية اليهودية قريبة الشبه جداً بتعاليم الأناجيل.

(ليحب كل منكم زميله من قلبه، وإذا أخطأ أحد في حقك فتحدث إليه في رفق، ولا تحمل في نفسك ضغينة، وإذا ندم الخاطئ واعترف بخطئه، فسامحه، أما إذا أنكر وقوع الخطأ منه فلا يأخذنك الغضب منه، حتى لا تنتقل عدوى العاطفة منك إليه فيأخذ في السباب وعندئذ يصبح خطؤه ضعفين. وإذا لم يكن ذا حياء، ومضى في اقترافه الخطأ فسامحه من قلبك، واترك الانتقام لله.

أحب ربك وجارك.

أحبوا ربكم طوال حياتكم، وأحبوا بعضكم بعضاً من قلوبكم.

أحب ربي كما أحب كل إنسان بكل قلبي.

الغضب أعمى، ولا يسمح لإنسان أن يرى وجه إنسان آخر رؤية الحق.

الكراهية إذن شر، لأنها دائماً تقترن بالكذب[1].

الفكر الاجتماعي في الصين

تقف الصين وحدها وسط حضارات العالم العظيمة فقد تطورت في عزلة تامة، تقريباً، عن بقية الحضارات، ولهذا كانت إنجازاتها فريدة. وهذه الخاصية الفريدة جعلتها في آن معاً ممتعة لمن يشاهدها، محيرة لمن يحاول فهمها، أجل فقد تطورت الصين بنفسها وساعدتها على ذلك عزلتها الجغرافية عند النهاية الشرقية القصوى (في الطرف الشرقي الأقصى) من العالم الأوروبي الأسيوي القديم، تحيط بها جبال وصحراء ولا تمر بها أية طرق للتجارة.

كان الشعب الصيني في تراثه التقليدي يعتبر نفسه مركزاً للكون. وكلمه شنج – كيو Chun-Kuo وهي الاسم الصيني للصين. تعني حرفياً (مملكة الوسط) فقد عد الصينيون أنفسهم، على نحو ما فعل الإغريق، جزيرة من الثقافة وسط بحر من التوحش والهمجية.

---

(1) برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ص3.

ويبدأ التاريخ المسجل للصين بأسره شانج Shang التي استمر حكمها من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وكانت سجلاتها تتألف من مجموعة من العظام نقشت عليها نبؤات، وتم اكتشافها قرب نهاية القرن التاسع عشر، حيث أصبحت منذ ذلك الحين المصدر الرئيسي لتاريخ أسرة (شانج) كانت هذه العظام إجابات عن أسئلة قدمت إلى العرافين، وكانت الأسئلة تحفر على عظام الحيوانات والقواقع والأصداف، وتوجه إلى الأرواح طلباً للهداية والإرشاد. وبعد أن يحفر السؤال يقوم العراف بتسليط النار على ثقوب يحدثها في العظم ثم يؤول ما ينتج عن الحرارة من تصدعات بأن الأرواح تجيب ببشائر خيراً ونذير شؤم[1].

ونحن نحصل من طبيعة الأسئلة المطروحة على صورة لمجتمع ينظمه، في كل جانب تقريباً، من جوانب الحياة اليومية – التنبؤ بالغيب، وتحكمه اعتبارات الحظ الحسن أو الفأل السيء، أما (القوى) التي يستشيرونها في عملية التنبؤ بالغيب فهي أرواح الموتى من الملوك أو تي Ti وكذلك أرواح الأسلاف. ونحن نعرف أن هناك عنصراً جنسياً في هذه العبادة، وذلك من الآثار الباقية من أشكال الخطوط التي لا يزال من الممكن تمييزها. ولكننا نعرف أيضاً من الأسئلة التي تطرح حول آداب تقديم القرابين وتأدية الطقوس، أن آلهة التلال والأنهار وغيرها من آلهة الطبيعة والأرواح الحارسة كانت تعبد إلى جانب أرواح الموتى، ولم يكن الموتى وحدهم هم الذين يسألون

---

(1) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص270.

مزيد من التفاصيل عن الحضارة الصينية انظر:

Rudd. H; Chinese Social Origins, Chicago: University of Chicago press, 1948.

عن الهداية والإرشاد في مسائل السلوك، بل كان يتوسل إلى قوتهم الداخلية (مانا) Mana حتى تكفل خصوبة الرجال والنساء والمحاصيل والحيوانات.

ولم تكن الأرواحية أو الأنيمزم Animism (عبادة آلهة الطبيعة) وطقوس الخصوبة وعبادتها – ولاسيما عبادة الأسلاف – مجرد مظاهر لأقدم الممارسات الدينية الصينية التي حفظها التاريخ فحسب، وإنما هي تتكرر في صور منوعة ومختلفة في (الديانة الشعبية) للعصور التالية [1].

الملك ابن السماء: كان ملوك الصين ملوكاً وكهنة في آن واحد، وتعتمد سيادة الملك على أن السماء هي التي قلدته منصبه، وعندما ثار (ون Wen) على أسرة شانج تولى ابنه الملك (وو Wu) 1027 – 1025 ق. م العرش وأسس أسرة تشو. وحكمت هذه الأسرة على نحو ما تؤكد وثائق عهدها، معتقدة أن رسالتها قد قضت بها السماء، فالسماء هي التي أزاحت أسرة شانج وأنهت تفويضهم بالحكم، وهي التي كلفت أسرة تشو الملكية بتولي هذا المنصب الذي هو (تفويض من السماء).

وتعتقد أسرة (تشو) أن الإله الأعلى هو السلف الأعظم (شانج – تي Chang – Ti) وهو لفظ مرادف لـ تين Tien (أي السماء) وتمسك السماء – أو هكذا كان الاعتقاد السائد – بيدها

---

(1) جفري بارندر، ص271.

مزيد من التفاصيل انظر كريل هـ. ح، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماو تسي تونج، ترجمة عبد الحليم سليم، مراجعة علي أدهم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971.

الكون بأسره، وتقضي بتعاقب الفصول في مواقيتها وتأمر بدورة الموت والتجدد، وتكفل خصوبة الرجال والنساء والحيوانات والمحاصيل. غير أن السماء تمنح مسئولية تنظيم الكون لوصيتها على الأرض وهو (ابن السماء تين تزو Tien - Tzu ولقد وقع الاختيار على أسرة تشو للقيام بهذا الدور كما تزعم. (وتنظيم الكون) مسألة لابد أن تكون مقبولة عند السماء (بي Pei) عن طريق الطقوس والشعائر ومن خلال تأدية هذه الطقوس التي تستحدث وقائع النظام الطبيعي وتسلسله في الكون ووسط الجنس البشري.

وكانت الوظائف الكهونية للملوك تعتمد على تقديم القرابين للملوك الأموات وإلى شانج – تي Shang Ti الأكثر بعدا، ومن ثم الأكثر قوة من بينهم. كما تعتمد على تقديم تقرير لله عن مسار الأحداث الدنيوية، والانخراط في طقوس إيمانية مثل حرث الأرض، وبذر البذور.

ولقد كانت عبارة (مقبول من السماء) عن طريق الشعائر (باي Pei) هي رخصة الملك إلى السيادة وهي التي تزوده بالنفوذ السياسي القوي الذي يلزم رعاياه بالولاء له، ويساعد الملك في التأدية الصحيحة لواجبات الكهنة.

ويشهد على طبيعة الملك شبه الإلهية اختيار السماء له على أنه ابنها، مما يعطي للملك سلطة سياسية على رعاياه الذين يكلفون بدورهم (بالمناصب) عن طريقه. وكما أن الملك يحكم بفضل (تفويض) السماء له فكذلك بفعل أمراء الإقطاع في مملكته، إذ تكون لهم سيادة محلية تحت إشراف الملك[1].

(1) جفري بارندر، ص273.

الخصائص الأساسية للفكر الصيني:

تقوم الحضارة والثقافة الصينيتان على أساس فلسفي تشكله في المقام الأول مبادئ الكونفوشسية والتاوية والكونفوشسية الجديدة. وقد قامت هذه الفلسفات الثلاث بتشكيل حياة الشعب ومؤسساته، وكانت مصدر إلهام لها عبر ما يزيد على خمسة وعشرين قرناً من الزمان، وكانت الفلسفة الصينية التي أكدت على أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها مرتبطة أوثق الارتباط بالسياسة والأخلاق، واضطلعت بمعظم وظائف الدين.

ولم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة الصينية هو في المقام الأول فهم العالم وإنما جعل الناس عظماء وعلى الرغم من أن الفلسفات الصينية المختلفة يشكل هذا الهدف قاسماً مشتركاً بينها، فإنها تختلف إلى حد كبير نتيجة الاستبصارات المختلفة عن مصدر العظمة الإنسانية. ففي التاوية ينصب التأكيد على اكتساب العظمة بالتوحد مع المنهج الداخلي للكون، ومن ناحية أخرى انصب التركيز في الكونفوشسية على تطوير الإنسانية من خلال النزوع الإنساني للقلب والفضائل الاجتماعية، وتجمع الكونفوشسية الجديدة التي استمدت إلهامها إلى حد ما من البوذية الصينية بين هذين الاتجاهين.

ولكون المرء عظيماً وجهان، في الفكر الصيني، فهو في المقام الأول يتضمن (عظمة داخلية) هي شموخ الروح منعكساً في سلام الفرد ورضائه بكماله. وهو يتضمن ثانيا (عظمة خارجية) تظهر في القدرة على العيش بصورة جيدة على الصعيد العملي، مع الشعور بالعزة

في السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه المرء في حياته اليومية المألوفة. وهذا المثل الأعلى يسمى (بالحكمة في الداخل والنبل في الخارج) وتعد هذه العظمة المزدوجة شيئاً أساسياً بالنسبة لكل من الكونفوشسية والتاويه.

وقد كانت العظمة الداخلية وإظهار هذه العظمة خارجياً إلى جعل الفلسفة الصينية شاملة لكل جوانب النشاط الإنساني، فالفلسفة ليست منفصلة عن الحياة، والممارسة لا يمكن أن تنفصل عن النظرية والاهتمام بالناس يأتي أولاً، فالعالم الإنساني له الصدارة، أما عالم الأشياء فيحتل مرتبة ثانوية.

وقد أدى ذلك إلى التأكيد على الأخلاق والحياة الروحية، فالروح وليس الجسد، هي الجانب الأهم في الوجود البشري وهذه الروح لابد من تغذيتها ورعايتها، لكي تتطور بحسب قدراتها، والهدف هو الوصول إلى مستوى اسمي للوجود الإنساني.

وقد أدى وضع العظمة الإنسانية موضع الممارسة إلى التأكيد على الفضائل العائلية وخاصة على مفهوم حب الأبناء للآباء، الذي يشكل حجر الزاوية في الأخلاق الصينية، فالبيئة المباشرة المحيطة بالصغار في المجتمع المتحضر هي بناء اجتماعي تشكله العائلة، وهنا يجري تشكيل وصياغة شخصية الطفل الأخلاقية والروحية، وهنا يتم إقرار بدايات العظمة، ومن خلال حب واحترام عظيمين في داخل العائلة يمكن غرس العظمة في الأفراد[1].

(1) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ترجمة كامل يوسف حسين، عالم المعرفة، يوليو، 1995، ص327.

مزيد من التفاصيل انظر:

Cranet, M; Chinese Civilization, New York, 1962.

كونفوشيوس: ولد كونفوشيوس عام 551 ق. م في مملكة (لو) Lu والتي تعرف الآن بولاية شان تونج Shan – tung فتوفر كونفوشيوس على دراسة الأدب الصيني وألم بثقافات ومعارف عصره إلماماً كبيراً وعرف بفصاحته.

كان كونفوشيوس رزيناً منذ نعومة أظفاره، مثالاً لرفعة النفس وسمو الأخلاق إذ كان يستنكر دسائس الساسة ومؤمرات رجال الدولة وتقلد وظائف هامة وهو في العشرين من عمره، مثل كبير القضاة ووكيل وزارة الأشغال العامة وانتهى به المطاف إلى أن أصبح وزيرًا للعدل.

وكان متواضعاً ولم يكن لديه نُزعة التمييز العنصري ويبدو ذلك واضحاً في قبوله لتلاميذه من أحط الطبقات، يقول: (في مجال التربية يجب ألا تكون هناك تفرقة طبقية).

وقدم كونفوشيوس فلسفة إنسانية اجتماعية استمدت مادتها من الأخلاق وكانت تدور حول البشر ومجتمعهم وقد ناقش أهم المبادئ وهي:

- جين Jen: ومعناها الود أو العطف أو الشفقة، صفة أخلاقية أساسية في الكونفوشية لابد من توافرها في الحكم الصالح. يرى كونفوشيوس أن الجين أو ما يعرف بطيبة القلب الإنسانية، أمر متعلق بالشعور والتفكير معاً وأنه أساس العلاقات الإنسانية كافة، وهنا نلحظ مدى اهتمام الفكر الصيني وتركيزه على القلب وليس على العقل.
- لي Li: وتعني قواعد اللياقة أو آداب المجتمع التي تحكم العادات والتقاليد التي تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور.

- هسياو **Hsiao**: وتعني فضيلة توقير العائلة واحترامها وهذه الفضيلة التي تنشأ في العائلة تؤثر في الأفعال خارج المحيط العائلي وتصبح فضيلة أخلاقية واجتماعية. إن حب الأطفال لوالديهم ولإخوانهم يولد حب الإنسانية جمعاءً.

- يي **Yi** : وتترجم بمعنى الاستقامة، فالرجل الأسمى أو النبيل ينظر إلى الاستقامة باعتبارها جوهر كل شيء وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع **Li** ويبرزها في تواضع ويمضي بها إلى نهايتها في إخلاص [1].

رأى كونفوشيوس أنه لا سبيل للقضاء على هذه الفوضى الأخلاقية إلا بالبحث عن تجديد أخلاقي قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم لأن أساس المجتمع هو الفرد المنظم داخل الأسرة المنظمة، فإذا أحسن الفرد حكم نفسه، استقر النظام في الأسرة وبذلك تصلح الدولة ويسهل حكمها ويرى أن الأسرة عاجزة عن تهيئة النظام الاجتماعي الطبيعي لأن الناس ليس بإمكانهم تنظيم أسرهم دون أن يقوموا أنفسهم ويعجزون عن تقويم أنفسهم لأنهم لم يطهروا قلوبهم أي نفوسهم من الشهوات والملذات، وقلوبهم غير طاهرة لأنهم غير مخلصين في تفكيرهم، ولا يخلصون لأن أهواءهم تشوه الحقائق وتحدد لهم النتائج.

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، مرجع سابق، ص204.
مزيد من التفاصيل انظر كارل ياسبرز، فلاسفة إنسانيون، سقراط، بوذا، كونفوشيوس، يسوع ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1988.

وعلى ذلك ينصح كونفوشيوس بضرورة تقويم النفس وإصلاح العقل وبالتزود من المعارف الإنسانية بالقدر الذي يكفل القضاء على بواعث الشهوة الفاسدة الدنيئة.

ووضع كونفوشيوس قواعد الأسرة على أسس فلسفية ورأى أن طريق الفضيلة يبدأ بالأسرة إذ عندما تسود الألفة بين الزوجة والأولاد والزوج، فما أشبه المنزل بربابة وعود قد تآلفت أنغامها وعندما يعيش الأخوة في تآلف وسلام فحينئذ يظل إلى الأبد في وحدة وانسجام ويقول أيضاً: عامل أفراد أسرتك معاملة فاضلة، تستطيع بعد ذلك أن تعلم وتقود أمة بأكملها.

ويرى كونفوشيوس أن القانون الأخلاقي يقوم على أساس فكرة الوسط العدل أو الذهبي، فالاعتدال أصل أساسي في النفس، فالفرد الذي يتصرف أخلاقياً هو الذي يستطيع تحديد القانون الأخلاقي بالضبط، فلا يتعالى عليه أو يغالي في تصرفاته من جهة ومن جهة أخرى لا يصل في تخلقه إلى أقل من مستوى هذا القانون.

ويرى كونفوشيوس أن الحروب التي تهدد العالم إنما مردها إلى فساد الحكم، ويرجع هذا الأخير إلى أن القوانين الوضعية مهما بلغت من الدقة والرقي لا تستطيع أن تحل محل النظام الاجتماعي الطبيعي الذي تفرضه الحياة الأسرية المنتظمة. فإن كانت الأسرة فاسدة مختلة النظام فلا يمكنها أن تهيئ النظام الاجتماعي المنشود.

ودعا كونفوشيوس إلى توزيع الثروة والعناية بالعجزة والمسنين والأرامل، وناشد الحكام بالجد والاقتصاد من مظاهر

البذخ والترف [1].

وبالنظر إلى مظاهر الفوضى الضارية في مختلف أوجه الحياة الصينية، فقد بدا هم كونفوشيوس الأساسي متمثلاً في كيفية تهذيب النفس الإنسانية وتربية العقل البشري وتنميته من ناحية، ومن الناحية الثانية كيفية العثور على أمير أو حاكم يستطيع أن يعيد الأمور إلى نصابها، وأن يحيل أفكاره في التربية والتشريع إلى قواعد وقوانين منظمة تصلح من أحوال الدولة وتحفظ عليها هيبتها.

وقد أوضح كونفوشيوس أنه لا توجد أية مقاييس أو معايير عقلية نهائية أو مبادئ أخلاقية يمكن القول بأن العقل قد اكتشفها أو أنه توصل إليها قائمة بعيدة عن المجتمع، ومن هذا الإدراك فقد استطاع أن يستخلص إحدى النتائج الرئيسية تلك أن أسمى الأخلاقيات جميعاً هو الواجب الاجتماعي Social duty وأن النظام الوحيد في الكون الذي يمكن أن يشارك بفاعلية في إثرائه وتطويره هو النظام الاجتماعي Social order.

وقد كان هم كونفوشيوس هو كيف يصبح الناس نبلاء فاضلين ليحققوا بذلك العالم الفاضل والسلوك الفاضل يتضمن العديد من الخصائص في مقدمتها الوضوح والصدق والصراحة والغيرية وربما قبل كل هذا حب الآخرين.

والدين بالنسبة لكونفوشيوس هو مجموعة من السلوك الخلقي القويم الذي يتمثل في مواساة اليتيم والبر بالفقراء والمعوزين

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، ص216.

وحفظ اللسان عن الزلل، وكف اليد عن الاعتداء على الغير، وانتهى إلى مبدأه الأخلاقي الشهير (لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به). وفي ضوء هذا المبدأ سعى إلى تهذيب السلوك وتنميته، وهذا لا يتم إلا عن طريق التهذيب والتربية [1].

ويهتم كونفوشيوس في حديثه عن الخير، وتهذيب القوة التي تولده وأداء الإيماءات والإشارات المناسبة التي هي علامته الخارجية- يهتم بالأخلاق الشخصية والأخلاق الاجتماعية لأن هذا هو الطريق إلى الإنسان المهذب الحقيقي، أو المثل الأعلى عند كونفوشيوس، وتلك هي إضافة كونفوشيوس نفسه المتميزة للديانة القديمة إذ أضفى على الدين مضموناً أخلاقياً.

ويبدو أن كونفوشيوس أثناء انشغاله بالسلوك الشخصي، وبالواجب الشخصي قد أوحى بأنه لا يهتم إلا قليلاً بعالَم الأرواح وعالم ما فوق الطبيعة، لم يتحدث عن مشيئة السماء أو عن معجزات الطبيعة، ولم يتحدث عن الأرواح، وقد أكد كونفوشيوس أن خدمة الإله تصبح لا معنى لها إذا أهملت خدمة الناس، ومن هنا انصب اهتمامه الأساسي على مشكلات الإنسان الأخلاقية والاجتماعية وفي علاقته برفاقه من البشر وذلك هو جوهر تعاليمه.

ولاء الأبناء: الولاء البنوي هو أحد تعاليم كونفوشيوس، وهو باللغة الصينية هسياو Hsiao التي تعني أصلاً الولاء للآباء الموتى وللأسلاف، والواجبات التي ينبغي أن تؤدي لهم كتقديم القرابين والطعام. أما بالنسبة لكونفوشيوس الذي كان يشدد على تأدية

---

(1) محمود أبو زيد، ص193.

الواجب للأحياء، فقد أصبح الولاء البنوي يعني خدمة (الوالدين أثناء حياتهما) ومن ثم اكتملت العلاقات الخمس لتعاليم كونفوشيوس وهي علاقة الأمير بالرعية، وعلاقة الابن بأبيه، والأخ الأكبر بأخيه الأصغر، وعلاقة الزوج بزوجته، وعلاقة الصديق بصديقه. واحترام الابن لأبيه عند معظم الصينيين ينطوي في التطبيق العملي، على مواقف احترام الصغير للكبير، والحب والمودة المتبادلين من جانب الكبير للصغير، فكلاهما جزء من السلوك اليومي بين الأحياء، ومن الالتزام الديني في مراسم العبادة بعد الموت[1].

أي أن فلسفة كونفوشيوس فلسفة إنسانية اجتماعية تدور حول البشر ومجتمعهم، وليس حول الطبيعة أو معرفة الطبيعة. ويقول كونفوشيوس أن ما يجعل البشر إنسانيين على نحو فريد هو الجين Jen أو طيبة القلب والتعبير الإنجليزي Human Heartedness . أي أن حب البشر وقدرتنا على الحب تشكل جوهر إنسانيتنا.

ويرَى أنه لابد من تطوير محبة البشر ومد نطاقها إلى الآخرين حتى يتحقق قاعدة كونفوشيوس الذهبية الشهيرة (عامل الآخرين بما تحب أن يعاملوك به) أو (لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوه بك)، وتتحقق إنسانية الإنسان من خلال الإيثار وقهر الأنانية.

ويؤكد كونفوشيوس على ضرورة احترام آداب المجتمع (لي Li) التي تحكم العادات والعلاقات التي تم الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور.

ويشير كونفوشيوس إلى ضرورة مراعاة القواعد والأعراف والأخلاق السائدة ومراعاة آداب المجتمع والممارسات الاجتماعية

(1) جفري بارندر، ص 288.

والعلاقات الاجتماعية من جانب كل طرف تجاه الآخر، الحب في حالة الآباء، الولاء البنوي في حالة الأبناء، الاحترام في حالة الأخوة الأصغر، الصداقة في حالة الأخوة الأكبر، الولاء بين الأصدقاء، الاحترام للسلطة بين الرعايا، النزوع إلى الخير في حالة الحكام. أن الانضباط الأخلاقي في السلوك الشخصي، والآداب العامة في كل شيء.

وقد شدد كونفوشيوس على فضيلة الاستقامة (يي Yi) والتي تترجم Righteousness والتي هي جوهر كل شيء وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع (لي Li) ويبرزها في تواضع ويمض بها إلى نهايتها في إخلاص.

والاستقامة تدلنا على الطريق الصحيح للتصرف في مواقف محددة، والقدرة على إدراك ما هو صحيح وتعمل كنوع من الحس أو الحدس الأخلاقي [1].

واهتم كونفوشيوس بالأسرة حيث إنها تشكل البيئة الاجتماعية المباشرة للطفل، ففي العائلة يتعلم الطفل احترام الآخرين وحبهم، حيث يأتي الآباء أولاً، فالأخوة والأخوات، والأقارب، ثم باتساع النطاق التدريجي، الإنسانية كافة.

فالولاء البنوي أو هيساو Hsiao هو فضيلة توقير العائلة واحترامها، فأولاً وقبل كل شيء يتم توقير الأبوين، لأن الحياة نفسها مسئولة عنهما، والتوقير ينبغي إظهاره للأبوين من خلال حسن السلوك في الحياة؛ وجعل إسهامهما معروفاً ومبجلاً، وإذا لم يكن بمقدور المرء أن يشرف اسم أبويه فعليه ألا يجلب لهما الخزي والعار على الأقل.

(1) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ص354، 356.

كما تمتاز تعاليم كونفوشيوس بأنها تستبعد الموضوعات المتصلة بتمجيد البطولة الجسمانية والمعجزات والخوارق الطبيعية، وكان كونفوشيوس نفسه شديد العطف على الكائنات الحية، ومما يروى عنه أنه لم يرتدي الملابس الحريرية لأنه لم يكن يستبيح لنفسه أن يقتل دودة القز ليستولى على نسيجها الخاص ليصنع منه ملابس لنفسه، وكان يفخر بأنه لم يستعمل الشبكة قط لصيد السمك، أو أنه لم يرم طائراً بسهم، وكان مبدؤه السلوكي أن الإنسان عليه أن يرد على الإحسان بالإحسان، وكذلك دعا كونفوشيوس إلى أن يقوم كل مواطن بواجبه حيال الدولة على الوجه الأكمل وأن يكون رائد كل فرد العدل والاستقامة [1].

وقد أكد كونفوشيوس ضرورة ارتكاز المعرفة على الفضيلة، بل إن الفضيلة والعلم في نظره صنوان، فليس هناك أفضل من أن يداوم الإنسان على طلب التعلم ويثابر عليه أن الرجل المتعلم يكون متفوقاً بالطبع، والرجل المتفوق لا يعرف القلق أو الخوف، ثم إنه يوصي من وفق في تحصيل العلم أن يقوموا بتعليم غيرهم، فعلى المتعلم ضريبة تعليم من حالت ظروفه الاجتماعية دون ذلك.

وأشار كونفوشيوس إلى الشروط التي يجب توافرها في الحاكم الصالح ومنها أن يلتزم فضيلة الاعتدال والتوسط فيكون جواداً في غير إسراف؛ جاداً في طلب ما يرغب دون جشع، وأن يكون مهيباً دون عنف أو شراسة. وأن يؤيد القضايا والمبادئ السامية دون كبرياء أو غرور. وأن يكل تصريف الأمور إلى الشعب دون تذمر، وبذلك يمكننا أن نقر أن تفكير كونفوشيوس انطوى على المبدأ

---

(1) أحمد الخشاب، ص352.

السياسي الهام، ألا وهو سيادة الشعب في نظره يجب أن يكون المصدر الحقيقي للسلطة السياسية، ونـدد بالحكام الذين يغفلون هذا المبدأ، بل إنه برر عن طريق تحمسه لهذه القاعدة السياسية الكبرى، الثورات التي زخر بها التاريخ القديم للصين ضد بعض الأباطرة الظالمين.

ويبدو أن كونفوشيوس لم يتحرر مع ذلك من الآراء الثيوقراطية إذ أنه كان يرى أن الحاكم إنما يستمد سلطته المطلقة من الآلهة، فيجب أن يعمل وفق مشيئتها، غير أن الحكم ليس حكماً مطلقاً لأن الآلهة إنما يمنحون سلطة الحكم لمن يرضى الشعب عن ولايته له، ولا يعطي الشعب ولايته إلا لحاكم عالم عادل، وإلا سقطت ولايته وجاز عزله [1].

التاوية:

التاوية من المدارس الفلسفية المعارضة للكونفوشيسية رأسها لاو- تسي أو المعلم العجوز حيث أن (لاو) تعني العجوز و(تسي) (المعلم) وولد لاو- تسي حوالي عام 604 ق. م وتشير كلمة (تاو) إلى الدرب أو الطريق وهي تعني في التاوية المصدر أو المبدأ الذي يعمل على أساسه كل ما هو موجود وكلمة (تاو) عرفت بمعاني متعددة منها (الصراة السوى)، (واجب الإنسان) أو (الفضيلة العليا) أو (الغاية المثلى) والتاوية (الطاوية) هي فلسفات دعاة السكينة والطمأنينة، وانصب اهتمام هذه الفلسفات على (العالم الآخر) وسعت إلى إدراك الذات وتهذيب النفس من خلال تمرينات (اليوجا) للوصول إلى أقصى درجات العلو. وهم يرون في العلو تلك الواحدية

(1) أحمد الخشاب، ص353.

الثابتة التي تكمن خلف عالم التغير وتعطي في نفس الوقت كلاً من قوة الدفع وحركة الحياة، وهذه الواحدية التي يسمونها تاو Tao.

وكانت أفكار هؤلاء التاويين هي التي أوحت في النهاية بالديانة التاوية وذلك جانب من الحياة الدينية الصينية يمكن أن نقول عنه إنه جانب صوفي.

لقد الهمت الكونفوشوسية ديانة الأخلاق والسلوك الاجتماعي، وكانت لها جذور في ديانة القدماء الأرستقراطية. أما التاوية فقد ألهمت ديانة التصوف، وأصولها أقرب إلى الديانة الشعبية عند القدماء(1).

فقد دعا (لاوتسو) الذي ولد في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، إلى حياة بسيطة ومتناسقة حينما يتم التخلي فيها عن دافع الربح، وتنحية الحذق جانباً، والتخلص من الأنانية، وتقليل الرغبات.

وقد ذهب يانج تشو Yang Chua حوالي 440 – 366 ق. م إلى القول بأنه لا يعطي شعرة واحدة لقاء أرباح العالم بأسره، وقد ذهب إلى أنه مادام الطمع وحب اكتساب المال يشكلان دوافع الأفعال الإنسانية، فليس هناك أمل في تحقيق السلام والرضا، وبناء على هذا فقد دعا إلى المبدأ القائل بأنه لا ينبغي القيام إلا بتلك الأفعال التي تتسق مع الطبيعة(2).

وتنشد التاوية خلافاً للكونفوشوسية، مبادئها وقواعدها

---

(1) جفري بارندر، ص300.

(2) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، ص336.

الخاصة بالحياة الإنسانية في الطبيعة لا في الإنسان، ومن هنا فإن هذه الفلسفة تؤكد على الأسس الميتافيزيقية للطبيعة بدلاً من التشديد على المجتمع الإنساني.

وبينما شددت الكونفوشسية على خير البشر الأخلاقي باعتباره مفتاحاً للسعادة، أكد التاويون على تناسق الطبيعة وكمالها. وقوام الموقف التاوي هو أن حيل البشر وأفاعليهم تفضي إلى الشر والتعاسة.

ويرى لاوتسو Lao Tzu أن الحياة المثالية هي الحياة البسيطة التي يتم فيها تجاهل الربح والتخلي عن الحذق والتقليل من الأنانية إلى حدها الأدنى، وكبح جماح الرغبات، ويمكن تلخيص تعاليم لاوتسو للحفاظ على الحياة الإنسانية ورفع مستواها فيما يلي:

- يتحرك الناس بصفة عامة لتحقيق رغباتهم.
- ينتج عن محاولات الأفراد العديدة لإشباع رغباتهم حدوث التنافس والصراع.
- لإقرار السلام والتناسق بين الأفراد الذين يكافحون لإشباع رغباتهم يتم التوصل إلى معايير للاستقامة والأخلاق الإنسانية.
- من الواضح أن وضع المعايير الأخلاقية لا يحل المشكلات، ذلك أن التنافس والصراع يبقيان على حالهما، والقواعد تنتهك، ويتم إقرار قواعد جديدة لحماية القواعد القديمة، ولكن القواعد القديمة والجديدة تنتهك وتظل الرغبات دونما إشباع بينما يتدعم الشر واقتراف الخطأ.
- بما أن التوصل إلى معايير أخلاقية لا يحل المشكلة، فإن الحل يكمن في التخلي عن هذه المعايير

- لا يمكن التخلي عن الأفعال الصادرة من الرغبات إلا عندما يتبنى الناس (الطريق السهل) للفعل.
- الطريق السهل في الفعل يفترض مقدماً التناغم مع الكون والتصرف وفقاً للنظام الكوني الشامل.
- ينبغي أن يكون تنظيم المجتمع وحكم الناس وفقاً للطريق الطبيعي السهل، كما ينبغي أن يدعم الطريق الطبيعي في نفوس الناس.
- ويشير شوانج تسو Chuang Tzu 369 – 286 ق. م إلى أن السعادة الحقيقية تعتمد على تجاوز عالم التجربة العادية ومعرفة ذات المرء وتوحيدها مع لا تناهي الكون [1].

وتقوم التاوية Taoism على مبدأين الأول (Tao) ومعناه القانون السماوي الأعظم، وهو أصل الحياة والنشاط والحركة لجميع الموجودات في السماء والأرض، ولكنه ليس متعالياً على الموجودات، بل هو فيها نفسها. والمبدأ الثاني (Te) ومعناها الاستقبال أي أن الأشياء تستقبل حياتها ونشاطتها وشكلها ولونها بفضل (التاو)، وعلى هذا النحو يمكن فهم التاويه على أنها قريبة الشبه بمذهب وحدة الوجود Pantheism الذي يوحد بين الخالق والمخلوق من جهة، وأيضاً قريبة الشبه من مذهب الحلول الذي يذهب إلى أن الخالق حال في كل الموجودات.

وقد استخدم لاو- تسي الطاو بمعنى المطلق The absolute فهي مادة أساسية تصنع منها كل الأشياء.

---

(1) جون كولر، ص378.

ويرى لاو تسو أن (التاو) هو المبدأ الذي يعمل على أساسه كل موجود، والحقيقة أو المعرفة عند التاويين لا يمكن الوصول إليها بالعقل أو المنطق، ولا بالمعرفة التحليلية بل بالكشف الصوفي أو بالاستشراق، فالمعرفة لا تحصل بالعلم والاستدلال وإنما هي إلهام وكشف، فهي معرفة صوفية.

وبينما دعت الكونفوشية إلى العمل والاجتهاد اتخذت الطاوية موقفاً سلبياً فلم تشجع على العمل واقتصرت على التأمل والتجربة الصوفية [1].

وبينما اعترفت الكونفوشية بنظام الطبقات ووجدت في هذا النظام أساساً هاماً للاجتماع، رفضت التاوية الاعتراف بالنظام الطبقي، فالجميع في نظرهم متساوون لأن السماء لا تفرق بين شخص وآخر.

وقد رفض لاو تسي التمايز الاجتماعي ولذلك نصح الحكام بالامتناع عن ألقاب الشرف التي تميز بعض الناس وتلحق أبلغ الأضرار بالمجتمع.

ويرى لاو- تسي أن الحاكم ينكر ذاته في علاقته بالشعب، يقول (على الحاكم أن يتواضع أمام رعاياه، ومن يتصدى لقيادة شعب فمكانه آخر الصفوف) [2].

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، ص226.

(2) حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص226.

مزيد من التفاصيل انظر هـ. ج كريل، الفكر الصيني من كونفوشيوس إلى ماوتسي تونج، ترجمة عبد الحليم سليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.

منشيوس 371- 289 ق. م

ولد منشيوس بعد وفاة كونفوشيوس بقرن، وقد ولد عام 390 ق. م، وتوفي عام 305 ق. م. وكان مثل كونفوشيوس سليل طبقة أرستقراطية.

وقد جمع أتباعه أقواله وتعاليمه في كتاب بعنوان (أعمال) وهو يسير على غرار كتاب (المختارات) لكونفوشيوس، فهو يحتوي على أقوال للمعلم على شكل جمل وفقرات وحكايات توضيحية وحكم وأمثال سائرة وما شابه ذلك.

اهتم منشيوس بالعدالة، الاهتمام بالناس العاديين أو الشعب في مقابل الأرستقراطية واهتم بضمان وصول الشعب إلى حقوقه، وهذا هو واجب الأمير، ثم إن السماء هي حارسة الشعب، وهي تبدي استياءها و غضبها عندما يعاني الناس.

ولقد كان لدى منشيوس الشيء الكثير ليقوله عن الاقتصاد، وعنده أن حلقة الاتصال بين الاقتصاد والأخلاق حلقة محكمة: فالذهن الثابت بلا معيشة ثابتة أمر مستحيل، وهكذا يصبح هدف الحكومة هو توفير ضرورات الحياة بكميات كافية).

والرجل المهذب عند منشيوس (هو الذي يكون مهذباً بحق) فلا يكفي أن يكون قادراً على تحقيق الخير، بل يجب أن يكافح لتحقيقها بالفعل. والأمير الذي تتحقق فيه هذه الصفات هو الذي يحقق أهداف الحكم الملكي الصحيح، وهي رفاهية الدولة.

ورأى أن الحكم ينبغي أن يعتمد على المصداقية وليس القوة البدنية أو الإكراه أو القوة، أي الحكم عن طريق فضيلة علياً بدلاً من الحكم عن طريق القوة.

أما التزامات الطاعة والولاء البنوي فهو يلقى تأييداً خاصاً عند منشيوس، وإذا كانت إحدى الفلسفات المعارضة تذهب إلى (أن الناس ينبغي أن يحبوا بعضهم بعضاً على قدم المساواة، فإن منشيوس يرى تعارضاً بين (الواجب الأسري الخاص) وتدرج العواطف بأولياتها من حيث كبر السن، والتماسك الاجتماعي الذي يكفل ذلك، وبين (حب البشرية بأسرها) وهو الحب الذي رأى أنه يدير التنظيم الاجتماعي للأسرة والدولة [1].

كانت الطبيعة البشرية عند منشيوس خيرة بفطرتها فيشهد على صدق خيريتها الفطرية وجود إحساس عام شامل عند الناس بالتقارب وبالصواب والخطأ، ووجود هذا الإحساس يجعل الموجودات البشرية مختلفة عن غيرها من الكائنات الحية الأخرى، بيد أن الطبيعة البشرية يمكن أن تشوه أو تصاب بالضمور والاختفاء ما لم تُرب على نحو قويم. وتعتمد تربية الطبيعة البشرية على حماية الذهن، وذلك لأن العقل هو مستقبل العدالة الإنسانية والطبيعية.

والطبيعة والعقل يحددان من نحن وماذا نكون. فقدرنا هو الذي يتحكم في خطنا ويحد فرصنا في الحياة. ولقد كان القدر أو المصير في يد صاحب الإقطاعية، وكان منحة من ابن السماء بوصفه نائباً عن السماء في حكم الإقطاعية. ثم أصبح في الاستخدامات الأوسع هو نصيبنا في الحياة أو المصير الذي رسمته السماء. وإذا كان الناس قادرين على حماية عقولهم وتحديد سلوكهم، فإنهم لا يستطيعون تحديد مصيرهم الذي هو بين يدي السماء. وهكذا اعتقد منشيوس أنه على الرغم من أن جميع البشر

---

(1) جفري بارندر، المعتقدات الدينية، ص292.

بفطرتهم خيرون، فإن حقيقة هذا الخير يرتبط بمعرفة الذات وتهذيب النفس [1].

يرى منشيوس أن الاستقامة هي قبل كل شيء آخر تحتوي المفتاح المفضي إلى تنمية الخير، فالخير هو أساس الطبيعة الإنسانية. والاستقامة أي صحة الأفعال تخلص العالم من الشرور.

ويختلف منشيوس مع كونفوشيوس فيما يتعلق بالطبيعة البشرية والعلاقة بين الخير والصواب، فقد ذهب كونفوشيوس إلى القول بأن الناس لديهم (إمكانية) بالنسبة للخير، أما كنفوشيوس فذهب إلى أنهم يحظون بـ (خير فعلي) كجزء من طبيعتهم. ونظر كونفوشيوس إلى الخير والصواب على أنهما شيء واحد، بينما ميز منشيوس بينهما ولم يذكر منشيوس فحسب أن الناس يحظون بخير فطري، وإنما طرح حججاً لتأييد وجهة النظر.

فالبشر أخلاقيون بالفطرة، وبسبب هذا الخير الفطري، فإنهم يعرفون الصواب والخطأ، ويستشعرون الشفقة والتوقير والتواضع، ويعرفون الشعور بالخجل، وهذا يعني أن بمقدورهم التمييز بين الصواب والخطأ، وتلك ناصية أساس الحكم الأخلاقي والشخصية الأخلاقية [2].

هسون تو: 312 – 238 ق. م:

أصبحت الكونفوشية عند (هسون تو) في مثل هذا الجو العقلي الصارم أكثر عقلانية وأكثر مادية، صارت السماء غير

---

(1) جفري بارندر، ص292.

(2) جون كولر، ص368.

مشخصة، وغدت هي الطبيعة، والطبيعة البشرية التي هي أبعد من أن تكون خيرة بالفطرة كما ذهب إلى ذلك متشيوس، كانت في أساسها شريرة في رأي هسون تو.

وربما كانت كونفوشية (هسون تو) أقل من غيرها تعالياً (ترنسندنتالية) وأكثر تركيزاً على الجانب الإنساني، فقد بدأ من مقدمة قاسية تقول إن البشر ولدوا شريرين لكنه في الوقت نفسه يؤكد بقوة عن اعتقاد بأنه في استطاعتهم أن يصبحوا أخياراً بالتربية والتهذيب الأخلاقي، وتستمد التربية والتهذيب الأخلاقي من النصوص الكلاسيكية ومن النظر إلى حكماء الماضي باعتباره قدوة، وهؤلاء الحكماء لا يختلفون عن سائر البشر في طبيعتهم ومواهبهم الأساسية، وإنما هم نماذج لما يمكن للمرء بلوغه بالفهم والبصيرة الأخلاقية، إذ هو استخدم العقل استخداماً سليماً.

ومادام النظام الأخلاقي والكمال البشري يبدآن من العقل، فإن العقل البشري يصبح في نظر (هسون تو) مركزاً للكون، ولقد قادته هذه الفكرة إلى نظرة إنسانية وعقلانية للدين، فأدان بغير تحفظ بعض الممارسات الدينية واعتبرها من قبل الخرافات، ومن ذلك الصلاة استجلاباً للمطر، وطرد المرضى بالرقى والتعاويذ، وقراءة بخت المرأ من ملامح وجهه. لكنه أباح غير ذلك من أمور كالتنبؤ بالغيب، شريطة أن تقوم التأويلات على ضوء العقل البشري، كما أنكر وجود الأرواح الشريرة والأشباح الضارة وأصبحت أرواح الأسلاف وقوى الطبيعة عند (هسون تو) تجليات للسمو الخلقي وبالفهم الكامل للطبيعة يستطيع الناس في رأيه أن يسيطروا على الكون وعلى بيئتهم [1].

---

(1) جفري بارندر، ص295.

وعارض هسون تو آراء منشيوس وقال إن الطبيعة الإنسانية شريرة أصلاً، ومن خلال المؤسسات الاجتماعية والثقافية يصبح الناس أخياراً، فالبشر يمتلكون فعلاً بدايات الشر في رغبتهم الكامنة في الربح والمتع. ومع ذلك فإنه من الممكن لكل شخص أن يصبح حكيماً، ذلك أن كل شخص يحظى بالعمل ومن خلال إعمال العقل يظهر الخير، فيما يقول هسون تسو. وقد قال منشيوس إن البشر يولدون أخياراً، ويقول هسون تسو إنهم يولدون أشراراً، وقال منشيوس إن المجتمع والثقافة يجلبان الشر، يقول هسون تسو إن المجتمع والثقافة يجلبان الخير، بينما يقول منشيوس إن أي شخص يمكن أن يصبح حكيماً بسبب خيره الأصلي، فإن هسون تسو يقول إن أي شخص يمكن أن يصبح حكيماً بسبب عقله الأصلي وقابليته للتربية.

وقد أوضح هسون تو إنه إذا كان البشر يولدون أخياراً، فإن بمقدورهم أن يصبحوا أخياراً، وهو يذهب إلى القول بأن الخير يجيء كنتيجة للتنظيم الاجتماعي والثقافي وكيف يجلب التنظيم الاجتماعي الخير؟ يجيب هون تسو إن التنظيم الاجتماعي يقتضي قواعد للسلوك وأتباع هذه القواعد من شأنه أن يجلب الخير. ونظريته هي أن الناس يولدون برغبات لا يتم إشباع بعضها عادة. وعندما تظل الرغبات غير مشبعة، فإن الناس يبذلون قصارى جهدهم لإشباعها، وعندما يقوم عدد كبير من الأشخاص ببذل قصارى جهدهم لإشباع رغباتهم المتضاربة دون قواعد أو قيود ينشأ تنافس وصراع يجلبان الفوضى، الأمر الذي يضر بالجميع، ومن هنا فقد قام الملوك الأوائل بوضع قواعد للسلوك تضم الأنشطة المتضمنة، وفي محاولة إشباع الرغبات، وبهذه الطريقة استخدمت القواعد المختلفة المطلوبة للحياة

الاجتماعية، وبمقتضى هذه الطريقة في التفكير فإن الخير الأخلاقي قد تم جلبه نتيجة لتنظيم السلوك الإنساني الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية [1].

الفكر الاجتماعي في حوض نهر السند *Indus Valley*

الهند أو شبه القارة الهندية هي موطن الهندوكية Hinduism ثالثة أكبر الديانات التي عرفها العالم، كما تحتل في الوقت نفسه موقع القلب بالنسبة إلى الديانة الرابعة ونعني بها البوذية Buddhism.

ويقسم علماء الأديان الديانات الهندية القديمة إلى ثلاثة أقسام هي: الفيدية Vedism والبارهمية Brahmanism والهندوكية Hinduism ويؤكد العلماء أن أفضل المصادر التي تمكن من الوقوف على ملامح الفكر الاجتماعي والديني في الهند هي نصوص وترانيم الفيدا Vedas التي تعتبر أول كتب الهندوس وأقدسها لدرجة أن وصفها البعض بأنها إنجيل الهند. والفيدا بحكم تعريفها أو معناها الذي يعني المعرفة القدسية التي يفترض أنه يوحى بها إلى نفر متميز من البشر الموهوبين ليقوموا بنقلها إلى الأفراد العاديين.

وتتكون الفيدا من أربعة كتب أساسية:

1. الرجفيدا Rig – Veda والتي تعني أغنية المعرفة.
2. ياجور فيدا Yajur Veda أو معرفة الطقوس.

---

(1) جون كولر، ص370، 371.

3. ساونا فيدا Sawna Veda الأناشيد الخاصة التي يلقيها الكهنة في الاحتفالات المقدسة.

4. آثارفا فيدا Atharva Veda يحتوي على الأدعية والطقوس التي تقام داخل البيوت.

والرجفيدا تشرح دقائق الشعائر والقرابين البراهمية، وتشمل أناشيد وترانيم مرفوعة إلى إله المطر أندرا Andra الذي يعتبر أعظم[1].

وفي الرجفيدا يتصور مجتمع الآلهة على أنهم أسرة واحدة، فهم جميعاً أطفال الدايوس Dyaus فهو إله السماء الذي أصبح رباً للأرباب. ويعتبر دايوس هو الخالق للكون، وقد كون اتحاداً مع باراتيفي Prathive الأرضي فأنجبا أندرا Indra إله العواصف والمطر الذي يحطم بقوته الخارقة وبسيطرته على الرعد والبرق أعداء الآريين.

ثم هناك أيضاً آلهة السماء مارونا التي تبث روح النظام، وأجني Agni النار أو إله النار بكافة صورها.

أما الكتاب الثاني ياجورفيدا فهو عبارة عن مجموعة من الأناشيد والأغنيات التي يتعين إنشاءها والتغني بها عند تقديم القرابين والأضحيات للآلهة.

ويتضمن الكتاب الثالث الذي يعرف باسم ساونا فيدا Sawna Veda تلك الأناشيد الخاصة التي يلقيها الكهنة في

---

(1) محمود أبو زيد، ص168.

مزيد من التفاصيل انظر:

Schweitzer, A; Indian Thought and Development, New York: Henry Hölt and Company, 1949.

الاحتفالات المقدسة. وهي أناشيد على قدر من السرية، ولذا فهي لا تخرج عن طائفة الكهنة وتلقن ترانيما للتلاميذ الذين يعدون للانخراط في الطبقة المغلقة.

أما الكتاب الرابع آثارفا فيدا Atharva Veda وهو يحتوي على الأدعية والطقوس التي يقيمها ويؤديها الأفراد في داخل بيوتهم أثناء صلواتهم وتقربهم إلى الآلهة، وكذا أدعيتهم والتي يستهدفون بها إبعاد الشياطين أو الأرواح الشريرة التي تؤتمر بأوامر سيفا Siva أوتشيفا Shiva الذي يرمز إلىالموت والمعارك والقوة المدمرة ويرتبط على أية حال بإله الشمس فيشنو Vishnu حيث يتصل اتصالاً مباشراً ببراهما Brahma.

ومن الواضح أن دور الدين كان متعاظماً في المجتمع الهندوسي، ويظهر في حقيقة أن هذه التصورات العقيدية والأفكار المرتبطة بالآلهة التي تعتبر في مجملها من أبعاد الديانة البراهيمية إنما تتصل اتصالاً مباشراً بقانون مانو Manu وهو القانون المدني (الوضعي) الذي ينظم حياة الأفراد والجماعات على أساس نظام الطوائف والطبقات الاجتماعية الذي وإن كانت العوامل الاقتصادية والقرابية تقوم بدور كبير إلا أنه يقوم أصلاً على أساس ديني هو بلا شك الذي يعطي نظام الطوائف ما نراه فيها من طابع الصرامة والجمود، فالإله براهما نفسه هو مصدر كل هذه القوانين وقد سعت جماعة من أئمة البراهمة إلى وضع مجموعة من التشريعات الوضعية للحفاظ على الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في صورة تحوطها القداسة والتبجيل [1].

(1) محمود أبو زيد، ص 168.

النظام الطبقي في الهند:

ميز الآريين أنفسهم في أربع طوائف رئيسية هي:

- رجال الدين الذين يحتلون قمة الهرم ويصيرون بذلك أكثر أفراد المجتمع امتيازاً، حيث لهم وحدهم حق السلطة، وعلى الآخرين واجب التقديس والاحترام.

- طبقة الحكام والجند وهؤلاء أقل من سابقيهم في المنزلة الاجتماعية.

- المزارعين والجند تأتي بعد الطبقتين المتميزتين إلى ابعد الحدود طبقة المزارعين والجند، وهاتان تمثلان في الحقيقة عصب الحياة الاقتصادية في المجتمع الهندي حيث يعمل أفرادها في التجارة والصناعة وفلاحة الأرض وتربية الماشية.

- المنبوذون: وهم الأفراد الذين يحرمون من ممارسة أي حق من الحقوق المدنية والسياسية.

ولا شك أن نظام الطوائف في الهند إنما يعكس في آخر الأمر جوهر الفلسفة الهندية ذاتها التي تؤمن بالقدر والمصير باعتبار أن الآلهة أدرى بما هو في صالح البشر، ولهذا وضعت كل إنسان في المكان الصحيح الذي يتعين عليه الرضا تحقيقاً لانسجام المجتمع(1).

وتعتبر الحياة في الهند القديمة ربيبة البراهمية، بمعنى أن الاعتقاد الذي ساد في تلك الحقبة الموغلة في القدم هو أن مصدر هذه

---

(1) محمود أبو زيد، ص170.

مزيد من التفاصيل انظر سرنبالي راد كراشنا وشارلز مور، الفكر الفلسفي الهندي، ترجمة ندره اليازجي، دار اليقظة العربية، 1967.

القوانين المنظومة في قصائد وأشعار كان الإله براهما نفسه، وإن كان من المحقق أن هذه المجموعة التشريعية الوضعية كانت من صنع جماعة من أئمة البراهمة حاولوا الحفاظ على الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في صورة جامدة مقدسة، وكان أهم ما يميز البناء الاجتماعي في المجتمع الهندي القديم ارتكازه على النظام الطائفي المغلق، وهذا النظام يدعمه الدين البراهمي، فقد شاءت الإرادة البراهمية أن يوضع سلم طبقي للناس، في قمة الهرم يتربع رجال الدين من البراهمة وهم أكثر أفراد المجتمع امتيازاً ولهم وحدهم حق السلطة وواجب التقديس والاحترام. وهم يعتمدون على من يليهم في المنزلة الاجتماعية من طبقة الجند المعروفة باسم الكشائرين، وهؤلاء وأولئك يعيشون على ما تنتجه الطبقة الأدنى من التجارة والصناعة وفلاحة الأرض وتربية الماشية، ويأتي في الدرك الأسفل من السلم الطبقي طائفة المنبوذين المعروفين باسم السودرا وهم الأفراد المحرومون من ممارسة أي حق من الحقوق المدنية أو السياسية[1].

وبالرغم من صرامة هذا التسلسل الطبقي نجد أن المنزلة الاجتماعية لكل طائفة قد تطورت تبعاً للظروف السياسية، فنجد مثلاً أن الزعامة كانت لطبقة الكشائرين المحاربة، أثناء اشتعال الحروب الوطنية التي نشأت بين السكان الأصليين والنازحين المهاجرين، ومن المحتمل أن يكون خوف الأجناس النازحة إلى الهند على خصائصهم السلالية وثقافتهم الراقية، كان من أهم الحوافز لهم على وضع نظم المحرمات المقدسة Tabao التي تحرم عليهم

(1) أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص343.

التزاوج أو الاختلاط بغيرهم من السلالات الأخرى وخاصة من القبائل الوطنية التي كانت تسكن الهند. وبهذا استطاعت الطبقات البراهمية الدينية والغازية صاحبة السيادة والسلطة في عزلة أرستقراطية عن بقية قطاعات البنية الاجتماعية الأمر الذي أظهر النظام الطائفي على أنه أداة تعويق للتطور الاجتماعي، ووسيلة جمود في المجال الحضاري [1].

الهندوسية:

الهندوسية هي اتباع أو عبادة الإله فيشنو Vishnu أو شيفا Shiva أو الآلهة شاكتي Shakti أو تجسيداتهم أو مظاهرهم أو ازواجهم أو ذريتهم. وهكذا يندرج ضمن الهندوسيين عدد كبير من اتباع عبادة راما وكرشنا Rama & Krishna (وهما تجسيدان لفشنو) واتباع عبادة درجا Darga وسكاندا Skanda وجانيشا Ganesha وهم على الترتيب زوجة شيفا وابناه.

إشعال النار المقدسة: يوجد في البيت الأري نار مقدسة تشتعل منذ بداية إنشائه، أعني خلال حفل الزواج وهي ليست ناراً عادية، ينبغي ألا تستخدم في إعداد الطعام أو الأغراض المنزلية الأخرى، وكذلك ينبغي إشعالها بأنواع خاصة من الخشب، وبطريقة معينة هي حك العصى ببعضها، وينبغي ألا تترك حتى تخمد. ولابد أنه يتقدم رب الأسرة لهذه النار يومياً بقرابين للآلهة بل إنه في الواقع ملزم بالقيام ثلاث مرات في اليوم.

(1) أحمد الخشاب، مرجع سابق، ص343.

عبادة البراهمان Brahman روح العالم وقوامها تعاليم الفيدا أو تلاوتها، وعبادة آباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم، وعبادة الآلهة بإحراق القرابين، وعبادة بهوتاس Bhutas (وهي الموجودات الحية أو الأرواح) بنشر الحبوب في الجهات الأربع والمركز وفي الهواء، وعلى أواني المنزل، ووضع الطعام على عتبة الدار للمنبوذين والحيوانات والطيور والحشرات.

وأهم الواجبات التي يلتزم بها رب الأسرة فهي واجبات نحو الآباء أو الأسلاف، فهو ليس ملزماً فقط بأن يقدم القرابين من الماء أوالطعام يومياً إليهم، وإلى روح البيت التي تسكن الركن الشمالي الشرقي من المنزل، بل إن عليه أيضاً أن يقدم لهم البندا Pinda أي كره الأرز Rice – Ball في يوم ظهور القمر الجديد من كل شهر.

وتسمى العناصر الرئيسية في هذا الاحتفال شراذا Shradha ويجلس فقهاء البراهمة في مكان مكشوف. ويفتتح رب الأسرة الاحتفال وينهيه بحرق قرابين للآلهة في النار المقدسة. لكن الحدث الرئيسي هو التقرب للآباء، فهو يصنع ثلاث كرات أرز وتذهب هذه إلى الموتى الثلاثة من أسلافه الأب، الجد، وأب الجد.

وهذه النظرية الخاصة بالشراذا Shradha هي أن يقدم الأحياء الطعام إلى الأسلاف الذين يقطنون (عالم الآباء) ويضفي الأسلاف النعم على أحفادهم الأحياء بمنحهم إياهم النجاح والازدهار والذرية (1).

---

(1) جفري بارندر، ص140، 141.

مزيد من التفاصيل انظر فؤاد محمد شبل، البوذية، دار المعارف، مصر، 1977.

وهكذا تكون (شراذا) هذه هي همزة الوصل بين الأحياء والأموات، وهي التعبير عن التعاون المتبادل بينهم. غير أن هذه العلاقة يمكن أن تنقلب رأساً على عقب إذا لم تؤد الطقوس الجنائزية المناسبة للميت، فما لم يستقر أرواح الموتى في عالم الآباء تظل عرضة لأن تصب البلاء على رؤوس نسلها الذين لم يقوموا بإطعامها عن طريق القرابين، أو ضمان انتقالها إلى عالمها المناسب.

قوانين الزواج: ليس الزواج ضرورة مقتصرة على عبادة الأسلاف، بحيث ينبغي على الرجل أن يتزوج لينجب ابناً يواصل العبادة، ويقدم البندا (أقراص الأرز) لكي تستريح روح ابنه، وإنما الزواج ضرورة مطلوبة لذاتها أيضاً، فليس ثمة ما يبرر الاعتقاد بأن الرجل المتزوج هو وحدة القادر على تقديم قرابين الطعام للأسلاف، وعندما يصبح أرملاً فإنه يتخلى لابنه عن رئاسة الأسرة، وعن القيام بدور الكاهن المسئول عن نارها المقدسة ويقرر التقاعد.

فالزواج في النظام الهندي إجباري للجميع، والرجل الأعزب طريد الطبقات ليس له في المجتمع مكانة ولا اعتبار، وكذلك الفتاة إن طال بها الأمد وظلت عذراء بغير زواج على أن الزواج لم يكن يترك لأهواء الفرد يختار من يشاء، فهو لا يستطيع أن يتزوج كيفما اتفق، لأن الزوجة الكفء المساوية في المولد والمنحدرة من أسرة آرية أتمت عملية الترسيم وغيرها من الطقوس، هي وحدها القادرة على ممارسة الطقوس المنزلية دون أن تدنسها، وهي وحدها القادرة على إنجاب الابن الطاهر النقي المؤهل لمواصلة عبادة الأسلاف بعد والده.

قانون الأسرة الهندوسية: رب الأسرة هو كاهن دينها وهذا المنصب وراثي- عبادة الأسلاف فيها- وهذه الخاصية تؤول إلى

أولئك الأكفاء القادرين على تقديم القرابين إليه بعد الموت وإلى أسلافه، أي إلى أبنائه المتزوجين قبل غيرهم. وفي حالة نقص النسل في نوع الذكور يؤول الإرث إلى أولئك الذين قدموا (البندا) إلى واحداً أو أكثر من الأسلاف، ذلك لأن الإرث يحمل معه الالتزام بتقديم البندا.

ولهذا السبب فإن البنت لا يمكن أن ترث مادام الذكور وحدهم قادرين على تقديم القرابين [1].

الأهداف الإنسانية: يتعين على المرء لكي يتم تنظيم حياة الفرد ومؤسسات المجتمع، أن يكون في المقام الأول واضحاً فيما يتعلق بالأغراض الأساسية للحياة. وقد تم إنجاز ذلك في الهند، من خلال بحث الأهداف الرئيسية في الحياة، التي من شأنها أن تسهم في كل من رخاء المجتمع أو تحقق سعادة الفرد.

ولكل إنسان أربعة أهداف أساسية في الحياة (العيش الفاضل، وسائل الحياة، المتعة، تحرير النفس) وهذه الأهداف يكافح للوصول إليها، لأن الإنسان مركب من وجود عضوي وروحي، فإن من الضروري إشباع الحاجات العضوية والروحية.

اليوجا: الطريق إلى ضبط النفس: أساليب ضبط النفس المعروفة باسم اليوجا Yoga وهي ممارسة مطلوبة لتحقيق الحكمة التي من خلالها يمكن القضاء على الجهل الذي يتسبب في الخلط بين الروح والمادة، ويمكن إدراك الطبيعة الجوهرية للذات باعتبارها (الروح).

---

(1) جفري بارندر، ص146.

وتبدأ اليوجا بمجموعة من الأوامر الأخلاقية يقصد بها إعادة توجيه إرادة الشخص وأعماله، فبدلاً من التصرف انطلاقاً من قوى الأنا العمياء، فإن الشخص يتصرف انطلاقاً من التعاطف حيال رضاء الآخرين.

ويستبعد كافة التصرفات التي تؤذي الكائنات الأخرى، وكل الأعمال التي تقوم على أساس الكراهية وسوء النية. والتخلص من النوازع الأنانية للأنا.

وكذلك يتعين تجنب الكلمات التي تؤذي الآخرين والحديث الأجوف والثرثرة الخرقاء، كما يستبعد ما هو ملك الآخر أي لا ترغب فيما يملكه شخص آخر، بل ينبغي القضاء على الرغبة بأسرها في امتلاك الخيرات، حتى ما يدعى بـ (الملكية المشروعة) ويقضي هذا المبدأ بأنه بينما يجوز استخدام كل ما هو ضروري للحياة من قبل أي شخص يحتاجه، فإن مبدأ الملكية نفسه هو تعبير عن الطمع.

كما أن من يمارس اليوجا ينبغي أن يلتزم العفة ولا يمارس النشاط الجنسي، لأن ممارسة الجنس يمثل لوناً من القيد والعبودية.

فممارسة اليوجا تقضي على الدوافع التي تؤدي إلى النشاط المحرم وتقوم بإحلال الحب المفعم بالتعاطف محل الرغبة والكراهية كمنبع أساسي للفعل، فإن من يمارس اليوجا يخطو خطوة أولى رائقة نحو التحرر.

وكذلك فإن ممارسة اليوجا تدفع المرء لأن يكون أكثر روحانية والنقاء الداخلي، فمن يمارس اليوجا يقضي على كل الآثار المترتبة على الأفكار والأفعال السابقة. وكذلك تؤدي ممارسة

اليوجا إلى الرضا والقناعة والزهد والتقشف وكبح جماح الشهوات ونكران الذات [1].

وقد ساد التفكير الهندوسي نزعتان فيما يتعلق بالألوهية، وهما نزعة التعدد أي تعدد الآلهة في المرحلة الأولى حيث عبدوا مظاهر الطبيعة من جبال وأنهار وحيوانات ونار، واعتقدوا أن لهذه المظاهر الطبيعية أرواحاً فجعلوا لكل مظهر من مظاهرها إلهاً يعبدونه، نزعة أخرى مقابلة للنزعة الأولى وهي نزعة الوحدانية، وتلك كانت في المرحلة الثانية من حياتهم، فقد تخلوا عن عبادة الآلهة المتعددة ليعبدوا إلهاً واحداً. أي أنهم جمعوا الآلهة المتعددة في إله واحد ورأوا فيه خالق للعالم وحافظ له ثم يهلكه ويرده إليه في نهاية المطاف، وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء فهو (براهما) من حيث هو خالق أو موجود، وهو (فشنو) من حيث هو حافظ، وأخيراً هو (سيفا) من حيث هو مهلك.

فكأن الهندوس قد آمنوا بثالوث مقدس مؤلف من:

براهما: سيد جميع الآلهة وهو القوة الخالقة في الطبيعة.

فشنو: إله الحب ويعاون المصابين ويذود عن الفقراء ويبعث الموتى من القبور.

وسيفا أو شيو: فهو إله الإرادة ولا تظهر عادة إلا في ميادين القتال والمنازعات، فهو يمثل الدمار ويضع نهاية لكل شيء [2].

---

(1) جون كولر، ص102.

(2) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي الدقيم، ص132.

الكرما: **Karma** كلمة سنسكريتية معناها الحرفي (الفعل) وهو من أهم العقائد في الديانة الهندوسية، قانون الجزاء المسيطر على حياة سائر الأحياء، في الكون، ليس لأحد أن يتخلص منه، فالحياة بمثابة حلقة في سلسلة حياة يحياها المرء يحددها فعله في الحياة السابقة.

وهذا القانون هو المسئول عن الثواب والعقاب وإليه يرجع اختيار الصورة التي تتناسخ فيها الأرواح على أساس ارتباط المعلول بالعلة فتناسق الروح تلقائياً داخل إطاره للتلبس بالجسد الجديد الذي تتوافق ملابسات حياته مع الميول الذاتية لهذه الروح ومع أعمالها في دورة حياة سابقة.

تناسخ الأرواح: *Transmigration*

يرجع اعتقادهم في التناسخ إلى سببين: أولهما أن الروح عندما تفارق الجسد لا تزال على صلة بالعالم المادي بما فيه من شهوات وملذات لم تتحقق بعد، وثانيهما أن النفس خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة لابد من أدائها وأن تتذوق ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

فالأرواح لا تموت ولا تفنى أبدية الوجود، لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ماء يغرقها ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن كما يستقبل البدن اللباس إذا بلي وتترمى النفس في الأبدان المختلفة كما

== مزيد من التفاصيل انظر محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950.

يترقى الإنسان من طفولته إلى شباب إلى كهولة إلى شيخوخة، وذلك أن النفس طالبة للكمال مشتاقة إلى العلم بكل شيء، وهذا يحتاج إلى زمن فسيح، ولما كان عمر الإنسان قصيراً كان لابد أن تنتقل النفس من بدن إلى بدن، وفي كل بدن تستفيد تجارب ومعلومات جديدة [1].

فالأرواح الباقية تتردد بين الأبدان البالية من الأذل إلى الأفضل دون عكسة تترقي النفس في الكمال حتى يتحقق شوقها إلى علم ما لم تعلم، وتستوفي بذلك شرف ذاتها.

وحدة الوجود:

ساد مذهب وحدة الوجود في العقيدة الهندوسية، فهم يوحدون الله والعالم ويزعمون أن كل شيء هو الله، ويردون كل شيء إلى الله ويعتقدون أن براهمان هو الحقيقة الكلية وأن جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر لهذه الحياة الحقيقية.

فالحياة كلها مظاهر لتلك القوة الوحيدة الأصيلة (براهما) فالجبال والبحار والأنهار تنفجر من تلك الروح المحيطة المستقرة في الأشياء وليست الروح الإنسانية إلا جزءاً من الروح الإلهية (براهمان) [2].

---

(1) حربي عباس عطيتو، مرجع سابق، ص136.

(2) حربي عباس عطيتو، ص138.

مزيد من التفاصيل انظر: جوستاف لوبون، حضارات الهند، ترجمة عادل زعتر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1948.

الجينية ***Jainism***

من المذاهب الدينية في الهند، واسم الجينية مستمد من كلمة Jina ومعناها القاهر أو المنتصر أو البطل في اللغة السنكريتية، وهو وصف أطلقوه على معلميهم الكبار الذين يسمون (تيرثانكارا) Tirthankara الذين رسموا الطريق إلى الخلاص من التناسخ.

ويعتبر مهافيرا Mahavira مؤسس المذهب الجيني، وعاش مهافيرا حياة الزهد والتنسك وأعلن عن رغبته الشديدة في التخلي عن الملك والألقاب ومتاع الدنيا والدخول في حياة الرهبنة.

الألوهية: أنكر مهافيرا وجود إله ذلك أن الاعتراف بوجود آلهة قد يخلق طبقة براهمة أو كهنة تمارس استبداداً على الناس وقرر أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون. ولقد ترتب على عدم اعتراف مهافيرا وأتباعه بالإله والآلهة سلبيات كثيرة متعلقة بالعقائد منها عدم قولهم بالصلاة وامتناعهم عن تقديم القرابين.

والكرما تعني عندهم كائن مادي كثيف ينزلق إلى الجسم ويخالط الروح المنيرة بطبيعتها، ويحجب نورها بكثافة، ولا سبيل لتحرير الروح إلا شدة التقشف والحرمان من الملذات، ولكي تتخلص الروح من الكارما يظل الإنسان يولد ويموت حتى تطهر نفسه وتنتهي رغباته ومعها حياته المادية، فيبقى روحاً خالداً في نعيم خالد، وهذا الخلود في النعيم يسمى عندهم النجاة، وهو ما يعادل الانطلاق في الهندوسية والنرفانا في البوذية.

وخلاص النفس وتحريرها من ربقة الجسد، إنما يكون بالزهد والتجرد من الدنيا حتى العري، فالنجاة خلاصة من الجسد، ولذلك كان الانتماء غاية أو جائزة لا يحصل عليها إلا الخاصة، ومن شروط النجاة أو سبيل الوصول إليها وقتها أنه يتحتم على الناسك ألا يوقع أذى بإنسان أو حيوان، فالحياة بكافة أشكالها مقدسة مصونة ولا يجوز الاعتداء عليها، وعلى ذلك يحرم قتل الحيوان، وبالتالي أكل اللحوم.

ومن شروط النجاة قهر جميع العواطف والمشاعر والحاجات لكي لا يحس الراهب بحب أو كره ولا بسرور أو حزن ولا بحر أو برد ولا بخوف أو بحياء ولا بجوع ولا عطش ولا بخير أو شر، ومن أجل طهارة الروح، فضرورة تمسك المريد بالخلق الحميد والإقلاع عن الخلق السيء وتجنب الأذى والضرر لأي كائن حي والتحلي بالفضائل التالية (العفو- الصدق- الاستقامة- التواضع- النظافة - ضبط النفس- التقشف الظاهري والباطني- الزهد- اعتزال النساء- الإيثار- السيطرة على متاعب الحياة وهمومها- القناعة الكاملة- الطمأنينة- الطهارة الظاهرية والباطنية). وكذلك تجنب الكذب- السرقة- الخيانة- الجشع- العنف .. إلخ [1].

البوذية:

ظل التفكير الاجتماعي الذي ارتبط بالهندوكية مسيطراً في الهند إلى أن بدأت في الظهور تعاليم البوذية التي تنسب إلى جواتاما

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي، ص146.

مزيد من التفاصيل انظر: علي زيعور، الفلسفات الهندية، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.

بوذا مؤسسها في القرن الخامس قبل الميلاد. وبوذا ينتمي إلى عائلة نبيلة هي عائلة جواتما Gautama وأطلق عليه منذ مولده في نيبال حوالي 565 ق. م اسم سيداهارتا Siddahartha وإن كان قد اشتهر مع ذلك بنسبته إلى العائلة التي عاش في كنفها حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره عيشة مليئة بالرفاهية. ولكن فجأة ترك زوجته وابنه وعائلته كلها ليبدأ حياة العزلة والتقشف ليستغرق في النهاية في التأمل تحت شجرة الحقيقة Bo – Tree حيث تكشفت له أصول الدين البوذي ومعالمه، وبزغت في نفسه النيرفانا Nervana التي أدرك في ضوئها أن العالم بكل ما فيه إنما ينتهي مآله للعدم.

ويتمثل الاعتقاد الأساسي في البوذية في أن الذات الإنسانية وشهواتها وملذاتها هي السبب فيما يعيشه البشر من شقاء وألم، فقد انتهى إلى أن الخلاص من كل هذا إنما يتوقف على القدرة على نبذ هذه الذات وملذاتها، وذلك هو السبيل الوحيد للتحرر من الألم المتمثل في سجن تطلعات النفس المادية.

وقد دعت البوذية إلى القضاء على مظاهر المغالاة والتطرف في التفرقة بين الطوائف المختلفة من حيث الحقوق والواجبات والمسئوليات والالتزامات. وفي هذا الصدد نجد له موقفاً محدداً من البراهمية التي وضعت للناس أقدارهم المحتومة، ثم حثت على التقرب للآلهة وطلب المساعدة منها مؤكداً بذلك نظرة جديدة إلى العالم، حيث رأى أنه أزلي أبدي والأفراد والأشياء تولد وتعيش وتفنى لكي تولد من جديد في سلسلة متصلة لا أول لها ولا نهاية، وبذا تبدو الحوادث وكأنها سلسلة من العلل والنتائج التي تتبادل الفعل والتأثير.

وهي نظرة تختلف مع ما ذهبت إليه البراهمية التي أكدت على أن الإنسان إنما يفعل الخير خوفاً من أن يستحيل بعد الموت إلى حيوان[1].

ثمة أساس أخلاقي في البوذية لم تلتفت إليه البراهمية يقوم على إدراك الإنسان لحقيقة الدهارما Dharma التي تعني الوسطية في تناول الأمور حتى بين المادية والانغماس في إشباع الغرائز والزهد والتقشف. أو هي بمثابة مبدأ نظري يتجسد في مجموعة من التعاليم التي تقدم للإنسان وسائل الاكتساب عن طريق التعلم والامتثال للقواعد التي تسير بموجبها الحياة الصحيحة.

وقد وضع الإله ياما Yami نظام العالم أو الكرما Karma ليؤكد أن كل إنسان لابد أن يلقى ما يتكافأ مع ما قدمت يداه إن خيراً أو شراً.

ومع أن هناك من يرى أن مثل هذه الفلسفة التي تنطوي عليها الكرما إنما تعكس ملامح نفعية بحتة، وذلك على اعتبار أن الإنسان لاشك سوف يحسب أفعاله في ضوء ما سيعود عليه وعلى الآخرين من خير ومنفعة إلا أن مثل هذه النظرة لا تخلو من مغالاة حيث لا تضع اعتباراً كثيراً لطبيعة الإنسان الاجتماعية.

ولعل الشيء الواضح هو أن البوذية لها موقف خاص من فكرة الآلهة ذاتها، حيث لا نلمح فيها ذلك التقديس والخضوع التام لها، وإنما في الوقت الذي لم تتجاهلها فيه تماماً، فقد أفسحت للإنسان مجالات الفعل والاختيار.

---

(1) محمود أبو زيد، ص113.

وقد يكون صحيحاً أنها انتهجت في ذلك طرقاً تدور حول مجاهدة النفس وتعتمد على أساليب التقشف والزهد والتأمل، ولكنها وضعت قواعد سلوكية عملية يجب أن يلتزم بها الأفراد لكي يحيوا حياة فاضلة.

فالبوذية ولو أنها سعت إلى ابتعاد الناس عن شئون الحياة الدنيوية، إلا أنها أعلنت في الوقت نفسه مبادئ الإنسانية التي تدعو إلى نبذ الطبقية والقضاء على المزايا الوراثية وهو ما تنطوي عليه الكرما التي تذهب إلى أن الناس قد وجدوا في الأصل متساويين، وقد عملت البوذية على خلاص المجتمع من براثن النظام الطائفي الطبقي عن طريق هذه العقيدة البراهمية التي تزعم أن البراهمي من طبيعة مقدسة وأن المنبوذين يعيشون على هامش الحياة محرومين من كل الحقوق من طبقة دنسة، لذا حرمت عليهم حتى ممارسة الشعائر الدينية، كذلك أوضحت البوذية أن صفات اللاهوتية والقدسية ليست أبداً صفات وراثية أو فطرية تختص بها السلالة البراهمية وإنما في استطاعة الإنسان أياً كانت الطائفة أو الطبقة التي ينتمي إليها أن يكتسب مثل هذه الصفات عن طريق ما يكتسبه من فضائل سلوكية وعملية في مقدمتها الوسطية والاستقامة والتأمل والحكمة[1].

تعاليم بوذا في جملتها تمثل ثورة جذرية على الأسس الاجتماعية التي ارتكزت عليها الديانة البراهمية، تلك الديانة التي أقامت في المجتمع الهندي القديم نظاماً عبودياً ليس له مثيل، وكان أول الآراء التي دعت إليها البوذية هو القضاء على مظاهر المغالاة في

(1) محمود أبو زيد، ص175.

التفرقة بين الطوائف من حيث الحقوق والالتزامات، وانتهجت في سبيل ذلك أساليب حول تلك المجاهدات الصوفية والأساليب التقشفية، ومحاولة خلاص الفرد من نزواته وشهواته الملحة، وليس معنى ذلك أن البوذية تعني بالتأملات العقلية والتصورات الميتافيزيقية إنما إذا نظرنا إليها من وجهة نظر تحليلية ألفينا أنها مجموعة من القواعد السلوكية العملية التي يجب على الفرد التزامها لكي يحيا حياة فاضلة خلواً من الآلام والآثام، والسبيل إلى ذلك هو أن يسلك الفرد سلوك العدل والإخاء بعد التحرر من الشهوات ومن هنا امتزجت البوذية بالآراء الصوفية.

ومن ناحية أخرى، فإن البوذية وإن كانت قد أبعدت الناس عن التفكير في شئون الحياة الدنيوية والحقوق والوجبات الاجتماعية، إلا أنها أعلنت في نفس الوقت مبادئ الإنسانية التي تدعو إلى نبذ الطبقية وتقضي على المزايا الوراثية، فهناك قانون أبدي أطلق عليه مصطلح الكرما Karma ووفق هذا القانون، وجد الناس متساويين في الخلقة والحقوق بقدر مساواتهم في حظوظهم من الآلام، إن الوجود مرتبط بالألم والرغبة في الحصول على أي شيء تنطوي على عنصر الألم لهذه الرغبة، ومن ثم كان القصد في الرغبات والشهوات وسيلة فذة للتقليل من شقاء الحياة وهمومها، وتنتهي هذه الفلسفة السلوكية إلى شبه إنكار للشخصية الإبداعية الإيجابية، وإلى إعلاء لنظرية التوسط والاعتدال في أمور الحياة، ومن هنا جاء التفكير الاجتماعي البوذي ذا طابع أخلاقي سلوكي يعمل على خلاص المجتمع الهندي من براثن النظام الطائفي عن طريق هدم العقيدة البراهمية التي كانت تزعم أن البراهمي من طبيعة

مقدسة، وأن السودرا من طبيعة مدنسة يحرمه من ممارسة الحياة الدينية، وأثبتت بالتفسيرات العقلية لأسفار الفيدا Vidas التي يقدسها البراهمية والقوانين المانوية التي تنظم حياتهم الاجتماعية، إن اللاهوتية والقدسية ليست صفة ولادية أو فطرية للسلالة البراهمية، وإن كل الطبقات تتساوى في طبيعتها الحيوية والاجتماعية وإنه في استطاعة أي إنسان أيا كانت الطائفة التي ينتمي إليها أن يكتسب هذه الصفة عن طريق فضائل سلوكية عملية هي الاستقامة والتأمل والحكمة(1).

والجوهر الأساسي لمذهب (بوذا) هو فكرة الألم، فالوجود الإنساني بعيد عن الكمال، وحتى أسعد الناس وأوفرهم حظاً يتعين عليه التسليم بقدر من البؤس أو التعاسة. ولا شك أن هذه الفكرة قد ترسخت لديه منذ الصغر، فقد أحس بما يشوب من نكد وكد وتعب وشعر بما يصاب به الإنسان من مصائب تبليه بالشيخوخة والمرض والموت، ومن ثم أهدته خبرته إلى أن الحياة أساسها الألم ولا تبعث إلا على الحزن، ولا يمكن للإنسان الخلاص منها ما لم يبحث عن علة هذا الألم وأسبابه الحقيقية.

يقول: (أيها الرهبان أو النساك هذه هي الحقيقة المقدسة عن الألم: المولد ألم، والهرم (الشيخوخة) ألم والموت ألم، والاجتماع بغير المألوف ألم، وعدم الحصول على ما يهوى ألم).

لقد بحث بوذا عن علة الألم وأسبابه الحقيقية في الوجود أو العالم فوجدها ترجع إلى كل من الشهوة والجهل. أما الشهوة وخصوصاً شهوة الحياة التي تسبب الولادة بعد كل موت، فالجهل

(1) أحمد الخشاب، ص345.

يدفع الإنسان إلى حب الحياة والتعلق بمفاتنها وتمعن الشهوة في طلب المزيد من اللذة والشهوة، وعلى من يعرف أن الجهل هو سبب شقائه وعلة عودته إلى الحياة فيجب عليه أن يبحث عن المعرفة الحقة التي تمحو جهله ليخلص من الآلام.

يقول: (أيها الرهبان، هذه هي الحقيقة المقدسة عن مصدر الألم الطمأ، الشهوة، الهوى، الرغبة في التلذذ، فالهوى والشهوة يجران من مولد إلى مولد، ومن ألم إلى ألم).

وسبب الألم هو ميل الإنسان إلى الشر وإلى الملذات الحسية[1].

ويقوم الطريق النبيل على حقائق مقدسة:

- العقيدة الصادقة (سلامة الرأي - النية الصادقة (سلامة النية)
- القول الطيب (سلامة القول) - الفعل الحسن (سلامة الفعل)
- العيش السوي (سلامة العيش) - الجهد القيم (سلامة الجهد)
- الوعي السليم (سلامة الوعي) - التأمل الصالح (سلامة التركيز)

والإيمان بهذه العقيدة لا يكفي طالما كان سلوك الفرد غير فاضل، ولذلك يجب أن يكون صافي النية، لا يكن للغير أي شراً وحقداً وحسد، يحب خير للجميع ويعمل لخير الغير والآخرين على الدوام، وذلك لا يتحقق ما لم يتجنب الكذب والنفاق والرياء والنميمة والغيبة، يتوخى الصدق في القول ويبعد عن لغو الحديث، فلا يسب أحداً سباً يشين سمعته ويخدش كرامته، كما يجب أن

---

(1) حربي عباس عطيتو، الفكر الشرقي القديم، ص157.

مزيد من التفاصيل انظر: عبد العزيز محمد التركي، قصة بوذا، مؤسسة المطبوعات المدنية، 1959.

يكون سلوكه فاضلاً لا يأتي بمنكر الأفعال، ولا يعتدي على حقوق الغير ولا يقتل أي كائن حي، ولا يسرق ولا يغش ولا يتعاطى الخمور والمخدرات ولا يزني، أي أن السلوك على نحو أخلاقي يعني سلامة القول وسلامة الفعل، ووسائل الكسب العيش.

ووجد بوذا أن طريق الخلاص لا يمكن للإنسان بلوغه إلا إذا تخلص من النواقص: الوهم- الشك- العمل لكسب القوت- الشهوة الجنسية- الكراهية والحقد- حب الحياة الأرضية- الرغبة في الحياة السماوية- الكبرياء- الغرور.

وقد أحدث بوذا ثورة دينية قلبت الأوضاع الدينية والاجتماعية المألوفة رأساً على عقب، وحارب نظام الطوائف، فلا وجود لطبقة البراهمة أو الكهنة ورجال الدين، وما كانوا يتمتعون به من حظوة ونفوذ وسطوة. فقد نادى بالمساواة بين جميع الأفراد وإنه لا فرق بين الطبقات الثرية والطبقات الدنيا إلا بالجهاد في سبيل تحقيق النرفانا التي لا يمكن الوصول إليها إلا بالجهد الذاتي.

خواطر وتأملات وعظات هندية قديمة من إنجيل بوذا

- العالم مملوء بالشر والعذاب لأنه مملوء بميول الإنسان إلى الشر وبالملذات الحسية، الناس ضائعون ضالون تائهون لأنهم يفكرون بأن الضلال والغواية أفضل بكثير من الحقيقة

- سبب الألم هو ميل الإنسان إلى الشر وإلى الملذات الحسية.

- ارفضوا جشع أنانيتكم تصلوا إلى حالة الفكر الهادئ الذي يصنع الطيبة والرفق والحكمة والتساهل.

- لا تخادعوا، لا تحتقروا ولا تمقتوا بعضكم البعض، وفي أي مكان وجدتم، لا تغضبوا لا تشتموا ولا تهينوا ولا تحقدوا.
- ازرعوا اللطف والعطف والرفق يميناً وشمالاً، وفي كل مكان.
- إن قاعدة الحياة التي هي دائماً الأحسن والأفضل هي الامتلاء بالمحبة، اطرد من قلبك الغضب والحسد والغيرة.
- الشر هو القتل والسرقة والفجور والكذب والاغتيال والحق والإيمان بعقائد باطلة[1].
- الخير هو الامتناع عن القتل والسرقة والفجور والكذب.
- خطايا الجسد الثلاث هي: القتل والسرقة والزنا.
- خطايا اللسان الأربع وهي: الكذب والافتراء والشتم والكلام بالباطل.
- خطايا الفكر الثلاث وهي الطمع والبغض والضلال[2].

الطريق البوذي

أ. الأخلاق ب. التأمل ج. الحكمة

إن الوصف الأساسي للطريق البوذي هو أنه ذو ثلاث شعاب هي: الأخلاق والتأمل والحكمة، وهي ليست ثلاث مراحل متعاقبة يمر المرء بالواحدة منها تلوا الأخرى، وإنما هي شعاب أو دروب نسير عليها جميعاً في وقت واحد.

أ. الأخلاق: يعبر عن القواعد الأخلاقية الخمس الأساسية –

(1) حربي عباس عطيتو، ص278.

(2) حربي عباس عطيتو، ص282.

بالنسبة للرهبان ولعامة الناس على حد سواء في صيغة تستخدم بانتظام في العبادات اليومية، ويمكن ترجمتها على وجه التقريب كما يلي، أتعهد بالإحجام عن إلحاق أي أذى بالكائنات الحية، وأن لا آخذ شيئاً لم يعط لي (أي أن أمتنع عن السرقة)، وبأن أمتنع عن الممارسات الجنسية اللاأخلاقية، وعن الكذب، وتناول الخمر والمخدرات التي تذهب العقل.

وهناك درجة أكثر تقدماً في النظام الأخلاقي يتبعها البعض من عامة الناس وتعتمد على مراعاة ثلاثة مبادئ إضافية هي: أن أمتنع عن تناول الطعام بعد الظهر، وأن أمتنع عن الرقص والغناء وألعاب التسلية، وأن أمتنع عن استخدام أكاليل الزهور أو مستحضرات التجميل، وأن لا أتزين بأي نوع من أنواع الزينة، وكذلك الامتناع عن قبول الذهب والفضة والامتناع عن استعمال فراش وثير.

ب. **التأمل**: السلوك الحق ينبغي أن يصحبه الفكر الحق أو المواقف الحقة، والفكر والعمل مرتبطان بالوجود الحق، لأن تنمية الفكر الحق هي من أول أهداف التأمل.

ج. **الحكمة**: السمات الرئيسية للحكمة التي أعلنها بوذا هي أن الحياة فانية (والكل زائل) فلا شيء يمكن أن يبقى نفس الشيء أو أن يظل على حاله، فالكون كله الذي يمثل الإدراك الحسي هو في حالة تدفق مستمر والناس لا ينظرون إلى الأشياء على أنها دائمة إلا على سبيل الخطأ [1].

---

(1) جفري بارندر، ص228.

وتشمل الحكمة كلاً من الفهم الصحيح للأشياء على ما هي عليه، والعزم على السلوك طبقاً لهذا الفهم.

وتكشف الحكمة عن طبيعة الأشياء وأسباب المعاناة، ولكنها لا تتوقف عند هذا الحد، وإنما هي تعبر كذلك عن نفسها في التصميم على قهر المعاناة من خلال تنحية الرغبة الأنانية، ويتضمن هذا التطعيم غرس حب شامل في عمقه ومداه، يكشف عن نفسه في الشفقة واللا أذى، حيث يتم التخلي كلية عن الرغبات الأنانية وسوء النية والكراهية والعنف، عندما نبلغ الحكمة.

والسلوك الأخلاقي هو في آن واحد انعكاس للحكمة والانضباط وشرط لهما، فالشخص الحكيم هو وحده الذي يمكن أن يكون خيراً، والشخص الخير هو وحده الذي يمكن أن يكون حكيماً، وكل من الحكمة والخير يقتضي الانضباط، وبناء على هذا فإن المرء يبدأ وينتهي بالأمور الثلاثة بصورة متزامنة، والسلوك على نحو أخلاقي يعني سلامة القول وسلامة الفعل وسلامة كسب العيش.

وسلامة القول تعني بصفة عامة تجنب كل قول يفضي إلى التعاسة واستخدام العبارات التي تجلب السعادة. ويشمل تطبيقه السلبي.

- لا كذب

- لا نميمة ولا اغتياب ولا حديث قد يجلب الكراهية أو الغيرة أو العداء أو الفرقة بين الآخرين.

- لا حديث يتسم بالشدة أو الوقاحة، ولا حديث يشوبه الخبث، ولا أسلوب ينقصه الأدب أو الاحتشام.

-لا ثرثرة نابعة من الكسل أو الخبث أو الحمق.

وسلامة السلوك تعني تجنب القتل أو الإيذاء، والتعفف عن السرقة والغش والنشاط الجنسي غير الأخلاقي وهو على الصعيد الإيجابي يعني أن سلوكيات الفرد ينبغي أن تهدف إلى دعم السلام والسعادة للآخرين.

أما سلامة العيش فهي تمد نطاق مبدأ السلوك الحق إلى المهنة التي يختارها المرء على امتداد حياته، وبناء على هذا فإنها تستبعد المهن التي من شأنها أن تؤذي الآخرين، مثل الإتجار في الأسلحة النارية و الخمور والمخدرات والسموم والقتل والدعارة .. إلخ. وسبل كسب العيش التي تنشر السلام والخير [1].

مذهب السيخ ***Sikhism***

ولد المعلم الروحي ناناك Nanak عام 1469م، والمكان الحقيقي الذي ولد فيه موضع خلاف، ولكن لا يمكن أن يكون هناك شك في أن والديه ينتميان إلى قرية تلفاندي Talivandi التي تبعد أربعين ميلاً عن جنوب غربي (لاهور) وتعرف الآن باسم ننكانا- صاحب Nankana – Sahub، ولقد قضى ناناك طفولته وشبابه في هذه القرية ولم يتركها إلى بعد أن تزوج وأنجب غلامين.

ثم انتقل ناناك وهو لا يزال شاباً إلى مدينة سلطانبور Sultanpur وفي أواخر عام 1500 غادر هذه المدينة وتبنى حياة الزهاد المتجولين داخل الهند وخارج حدود الهند.

---

(1) جون كولر، ص201.

مع بداية أول مؤلف تم تسجيله من كتب السيخ المقدسة نجد فكرة واحدانية الله، فالله عند المعلم (ناناك) واحد، وهو الخالق، المفارق المتعالي الذي يجب أن يرتبط به ارتباطاً وثيقاً أولئك الذين يبحثون عن الخلاص.

ويصف المعلم ناناك الله بأنه الواحد الذي لا شكل له، وهو الأزلي وهو (ما لا يوصف)، والله حاضر في كل مكان وموجود في كل مكان.

طريق الخلاص:

إن العقبة الرئيسية التي تعوق عملية السعي إلى الخلاص هو الوضع البشري، فالناس في ضلالهم واقعون في عبودية العالم، لأن ولاءهم للعالم ولقيمة، وهذا التعلق بالعالم يسجنهم داخل دورة تناسخ لا نهاية لها من الميلاد والموت.

فالناس يسعون إلى تحقيق الخلاص عن طريق التعلق بالقيم الدنيوية، ولذلك فهم ضحايا الوهم الذي يصور لهم أن التعلق بالقيم الدنيوية هو الحقيقة في ذاتها. وهذه الحالة من الضلال أو الوهم تمنع الكشف أو التجلي الإلهي.

وعلى الإنسان أن يتجاوز هذا العالم الدنيوي بنظام العبادات والزهد لكي تجد الروح اتحادها الصوفي بالله، وتبلغ الروح مرحلة الانعتاق باندماجها في الله [1].

---

(1) جفري باندر، ص207.

◆ طاليس:

أدرك طـاليس 546 ق. م أن المـاء ضـروري لحيـاة الإنســان والحيوان والنبات وإن شيئاً ما لا يمكن أن يثمر أو يتوالد بدون الماء، كما أننا نجد أن البذور الأصلية لجميع الأحياء تحتفظ بقدر من الرطوبة.

ويذكر أرسطو أن طاليس هو القائل: (بأن الماء هو العلة المادية للأشياء جميعاً، وأن الأرض تطفو فوق الماء، وأن للمغناطيس قوة حيوية، وأن العالم مليء بالآلهة).

فما معنى قول طاليس أن الماء هو العلة المادية للموجودات؟ يقصد بذلك الإشارة إلى أن الماء هو المادة الأولى الخام لجميع الأشياء، هذه المادة تتشكل بعد ذلك وتتخذ صوراً أو هيئات مختلفة.

وكأن طاليس يريد أن يصل إلى مبدأ أول مادي يفسر به التغيرات المختلفة التي تطرأ على الظواهر الطبيعية، فرأى أن الماء هو العنصر الوحيد الذي يمكن أن يتخذ أشكالاً مختلفة، فقد يتحول هذا السائل إلى مادة غازية أو إلى مادة جامدة التراب والثلج، ويذكر طاليس أنه رأى بنفسه كيف تتم هذه التحولات في الطبيعة وكيف أن هذه التحولات تبدأ من الماء لتعود إلى الماء، فالماء يتحول بفعل الحرارة إلى بخار، ثم يعود ليتساقط على هيئة مطر، ثم يتحول بعد ذلك إلى تراب يتحول إلى ماء كما نشاهد في الينابيع الأرضية مثلاً، ومن ناحية أخرى فقد أوحت إليه ظاهرة التبخر القول بأن الرطوبة المتصاعدة من البحر على هيئة بخار هي التي تحفظ نار الأجسام

الإلهية السماوية[1].

وينسب أرسطو لطاليس قوله: (بأن العالم مليء بالآلهة)، ويفسر أرسطو هذا القول بأن طاليس ربما يعني بذلك أن للعالم نفساً، أو هناك عقل للعالم، فهناك عقل إلهي أوجد الأشياء من الماء، وقد أرجع طاليس الظواهر الكونية إلى أصل واحد على أساس منطقي، والنظر إلى العالم على أنه وحدة متناسقة في الوجود [2].

انكسمندر: يرى أن الأشياء كلها مستمدة من عنصر أول أوحد، لكن هذا العنصر ليس هو الماء كما ظن طاليس، ولا هو أي عنصر آخر مما نعرف، بل إنه لا نهائي وخالد ولا حدود لزمانه، وهو (يحتوي على العوالم كلها) ذلك لأنه ظن أن عالمنا هذا إن هو إلا عالم واحد من طائفة كبيرة، وهذا العنصر الأول يتحول إلى العناصر المختلفة التي نألفها، ثم تتحول هذه العناصر المألوفة أحدها إلى الآخر، وله في ذلك عبارة هامة تستوقف النظر (إن الأشياء تعود فترتد إلى العنصر الذي منه نشأت، كما جرى بذلك القضاء، لأنها تعوض بعضها بعضاً، ويرضى بعضها، لما وقع منها من إجحاف، كما يقضي بذلك أمر الزمان).

---

(1) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى افلاطون، دار المعرفة الجامعية، ط5، 1973، ص62.
مزيد من التفاصيل انظر:
أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار مطابع الشعب، 1965.

(2) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، دار المعرفة الجامعية، ط5، 1973، ص62.
مزيد من التفاصيل انظر ول ديورانت، قصة الحضارة، حياة اليونان، ج2، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة، 1953.

فكرة العدالة، سواء في ذلك العدالة الكونية والعدالة الإنسانية، قد لعبت دوراً في الفلسفة اليونانية، وقد عبر انكسمندر عن فكرة العدالة بأنه لابد أن يكون هناك نسبة معينة من النار ومن التراب ومن الماء في العالم، لكن كل عنصر من هذه العناصر (وقد تخيلها آلهة) لا يغني عن السعي في سبيل اتساع رقعة ملكه، غير أن ثمة نوعاً من الضرورة أو القانون الطبيعي لا ينفك يرد التوازن إلى حيث كان، فحيث كان نار مثلاً نرى الآن رماداً، والرماد من التراب – هذه الفكرة عن العدالة، والعدالة هنا معناها عدم مجاوزة الحدود المفروضة منذ الأزل، هي من أعمق العقائد اليونانية، وكانت الآلهة خاضعة لحكم العدالة خضوع البشر له.

وكان لانكسمندر حجة يدلل بها على أن العنصر الأول لا يمكن أن يكون ماء ولا عنصر آخر غير الماء مما نعرف لأنه لو كان من هذه العناصر عنصر أولي لاكتسح العناصر الأخرى، ويروي عنه أرسطو أنه قال: إن هذه العناصر المعروفة لنا يعارض بعضها بعضاً، فالهواء بارد والماء رطب والنار حارة، وعلى ذلك فلو كان أحد هذه العناصر لا نهائياً، لزالتا العناصر الباقية قبل اليوم) وإذن فلابد أن يكون العنصر الأولي محايداً في هذا الصراع الكوني[1].

(1) برترانده رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، الفلسفة القديمة، ترجمة زكي نجيب محمود، جـ، ط3، 1978، ص59.

مزيد من التفاصيل انظر مراد وهبة، قصة الفلسفة، دار الثقافة الجديدة، 1980.

ويقول انكسمندر إن اللامتناهي هو العلة المادية والعنصر الأول في وجود الأشياء جميعاً، ورفض القول بأن اللامتناهي ماء أو أي عنصر آخر، إذ أنه في نظره جوهر مختلف عن كل هذه العناصر. وهذا اللامتناهي أزلي لا زمن له تصدر عنه كل السموات والعوالم الموجودة في هذه السماوات ويوضح انكسمندر أن هناك شيء أزلي لا يفنى هو مصدر الأشياء جميعاً وترجع إليه هذه الأشياء، فهو معين لا ينضب.

والواقع أن موقف انكسمندر تطور طبيعي لفكرة طاليس، لقد رأى انكسمندر أن الماء لا يمكن أن يكون مصدراً لجميع الموجودات، ولابد أن تكون العلة الأولى شيئاً عاماً يقبل التشكلات المختلفة، كما يقبل الأضداد، وإذن فقد قال باللامتناهي السابق على العناصر، أما هذه المادة اللامحدود فإنها تشتمل على الأضداد، ويظل النزاع مستمراً بين هذه الأضداد، إذ أن كلا منها يحاول التغلب على ضده، فيتغلب الحار على البارد في فصل الصيف مثلاً، ويحدث العكس في فصل الشتاء، وينتهي هذا الصراع في الغالب لمصلحة أحد الطرفين لمدة موقوتة ليعود فيتلاشى في المادة الأولى[1].

انكسيمانس: لم يوافق انكسيمانس رأي انكسيمندر على أن الجوهر الأول لامتناه، وقال بل العكس من ذلك بأنه مبدأ محدود معين هو الهواء. ومن هذا المبدأ تصدر الأشياء جميعاً بما في ذلك الآلهة والموجودات الإلهية. وهذا الهواء ليس مرئيا لنا، ولكن البرودة والحرارة والرطوبة تجعل من الممكن رؤيته. والهواء في حركة

(1) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص63،

دائمة لأنه لو كان ساكناً لما حدث تغير ما ، واختلافه في الموجودات المتكثرة يكون بفعل التكاثف والتخلخل Coudensation and rarefaction فعندما يتمدد يخلخل ويصبح ناراً ، وعندما يتكاثف يصبح رياحاً ، وعندما يتبدد يصبح سحباً وإذا ازدادت درجة تكاثفه فوق هذا أصبح الماء تراباً ، وإذا تكاثف هذا التراب فوق ذلك أصبح صخراً ، وإذن فالتغيرات التي تطرأ على المبدأ الأول هي تغيرات كمية [1].

والعنصر الرئيسي عنده هو الهواء ، فالروح هواء ، والنار هواء مخلخل ، وإذا ما تكثف الهواء انقلب بادئ الأمر ماء ، ثم إذا مضيت في تكثيفه ، انقلبت تراباً ، وبعدئذ يكون صخوراً ، ولهذه النظرية حسنة هي أنها تجعل الفوارق كلها بين العناصر المختلفة اختلافاً في الكمية ، يعتمد كل الاعتماد على درجة التكثف.

ومن رأيه أن الأرض تشبه المنضدة المستديرة ، وأن الهواء يحيط بكل شيء (فكما أن روح الإنسان لكونها هواء تمسك جسده ، فكذلك ترى النفس والهواء يحيطان بالعالم كله ، فقد يظهر أن العالم يتنفس) [2].

الفيثاغورية 532 ق.م

الفيثاغورية فلسفة رياضية كونية وطريقة صوفية تؤمن بتطهير الروح من البدن ، وتعد اتباعها لحياة التأمل والرياضة الروحية.

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص64.
مزيد من التفاصيل انظر ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.

(2) برتراندرسل، ج1، ص58.

والفيثاغورية جاءت في موضعها الصحيح من حلقات تطور الفكر الفلسفي عند اليونان، وذلك أن العقل اليوناني بعد أن اتجه إلى المحسوس الخارجي يتلمس الحقيقة في ثناياه، اكتشف أن هذا المحسوس إنما يخضع لنظام معين، وأن الرياضة هي التي تترجم عن هذا النظام، وكان على الفيثاغوريين أن يقوموا بهذا الدور، وأن يكشفوا ما تنطوي عليه المحسوسات من نظام وترتيب تمثله الأعداد والخطوط، وهنا نجد أن الفلسفة تجاوزت المحسوس إلى نوع من التجريد الوسط وهو التجريد الرياضي.

لقد اختلطت تعاليم الفيثاغوريين الروحية بأرائهم العلمية ونظرياتهم الرياضية، ولكن غلبة الاتجاه الرياضي على اتباع هذه المدرسة جعلت المؤرخين يطلقون اسم (فيثاغوري) على المشتغلين بالرياضيات منهم فحسب، أما التعاليم أو الوصايا الروحية التي عرفت عن هذه المدرسة فأهمها اعتقادهم بوجود نوع من القرابة بين الإنسان والحيوان، ومن ثم فهم يحرمون تقديم القرابين الدموية ويمتنعون عن أكل اللحم، ويذكر بعض المؤرخين أنهم كانوا يمتنعون فقط عن أكل لحم الحملان وثيران الحرث، وما ذبح على النصب من قرابين مقدمة للآلهة.

ومن وصاياهم: امتنع عن أكل البقول- لا تقطف زهرة من إكليل لا تلمس ديكاً أبيض- لا تأكل من رغيف بأكمله- لا تعبر فوق عارضة طريق.

ويبدو من هذه الوصايا أن الفيثاغوريين قد ضمنوا تعاليمهم الكثير من آراء اللاهوتيين ومحترفي السحر في عصر ما قبل الفلسفة.

وكانت الطريقة التي أسسها فيثاغورث تجمع بين حياة التقشف والرياضة الروحية والفكر الرياضي، وكانت عقيدة التناسخ محور تعاليم فيثاغورس وعليها تدور مجاهدات الفيثاغوريين وطقوسهم الدينية ومبادئهم الأخلاقية(1).

ويستهدف الفيثاغوريون من التناسخ تحرير النفس وخلاصها إلى المقام الأعلى حيث السعادة التامة، وذلك بعد سلوك طريق التطهر من الحس.

وقد أشار هرقليطس إلى أن فيثاغورث هو أول من ميز بين أنواع ثلاثة من الحياة: الحياة النظرية، والحياة العملية وحياة التأمل والعكوف على الذات. ومهما كانت صور الحياة التي نحياها إلا أننا يجب أن نسلم بأننا غرباء في هذه الدنيا وأن الجسم الذي يربطنا به إن هو إلا مقبرة النفس (2).

ويرى الفيثاغوريون أن الحياة مرحلة صعبة ويتعين على كل من يريد أن يجتازها بنجاح، أن يتلقى تدريباً منظماً، وأن يطيل فترات الصمت وأن يستبطن نفسه يومياً ليختبر جوانبها وأطوارها ويقول أفلاطون إن فيثاغورث وأتباعه يرون أن المجهود العقلي هو أسمى صور التطهر، وهو أضمن الطرق لتحرير النفس في حياتهما هذه قبل الموت البدني، وكان الفيثاغوريون يستخدمون الموسيقى والرياضة لشد أزر النفس، وقمع نزوات البدن، ومقاومة المؤثرات

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص73.

(2) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص73.

مزيد من التفاصيل انظر محمد فتحي عبد الله، الفلسفة اليونانية، مدارسها وأعلامها، ج2، 2006.

الخارجية حتى تسيطر القوى الروحية على الفرد، وتتغلب على كل ما له علاقة بالحس والمحسوس. وقد رتب المتأخرون من الفيثاغوريين لكل من النفس والبدن أساليب خاصة للتطهر من المؤثرات الخارجية. فتطهير النفس يتم بالموسيقى والعكوف على الدراسات العلمية، أما تطهير البدن فإنه يتم بممارسة الرياضة ويلاحظ أن فكرة (الأخوة) التي نادى بها الفيثاغوريون مستمدة من عقيدتهم في التناسخ، ذلك إنهم يرون أن الموجودات كلها بما في ذلك النبات والحيوان والإنسان ترتبط فيما بينها برباط وثيق، وإنه في مرحلة الولادات قد تتقمص النفس جسم حيوان آخر أو إنسان آخر أو نبات مثلاً، وكان من نتائج مذهبهم هذا أن اعتبرت المرأة في جماعتهم مساوية للرجل ولها نفس حقوقه، معاملة العبيد معاملة إنسانية، ومن الناحية الاجتماعية أيضاً نجد أن الفيثاغوريين كانوا لا يميزون بين الأفراد إلا من حيث مواهبهم، فهم يصنفون الناس حسب طباعهم ومميزاتهم، وقد تحقق هذا التدرج بين النلس في التناسخ [1].

وتميل المذاهب التي أوحى بها فيثاغورس إلى البحث في العالم الآخر، إذ تجعل القيمة كلها لوحدة الله التي لا تراها العيون، وتتهم العالم المرئي بالبطلان والخداع.

وقد أوضح فيثاغورس أن الروح خالدة، وأنها تتحول ضروباً أخرى من الكائنات الحية، وكل ما يظهر في الوجود يعود فيولد في دورة معلومة فلا شيء جديد كل الجدة، وأن كل ما يولد وفيه دبيب الحياة، ينبغي أن ينظر إليه جميعاً نظرتنا إلى أبناء الأسرة الواحدة.

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص74.

نحن في هذا العالم غرباء، والجسم هو مقبرة الروح، ومع ذلك فلا يجوز لأحد منا أن يلتمس الفرار بالانتحار، لأننا ملك الله، هو راعينا، والناس في هذه الحياة ثلاثة ضروب تقابل الضروب الثلاثة من الناس الذين يفدون إلى الألعاب الأوليمبية فأحط الطبقات جماعة جاءت تبيع وتشتري ويتلوها ارتفاعاً أولئك الذين يتنافسون في المضمار، وخير الناس جميعاً هم أولئك الذين جاءوا ينظرون إلى ما يجري وحسبهم ذلك، وعلى ذلك فأعلى درجات التطهير النفسي هو العلم الذي لا يجعل الهوى أساسه، وإن من يستطيع تكريس نفسه لذلك هو الفيلسوف الحق.

ولذلك فإن التأمل العاطفي الوجداني عند فيثاغورس هو الفهم العقلي الذي يتمثل في المعرفة الرياضية. فالفيلسوف التجريبي عبد لمادته، أما الرياضي البحت فهو كالموسيقى يخلق عالمه بتنسيقه الجميل خلقاً حراً.

فالتأمل العقلي قد أدى إلى خلق الرياضة البحتة، وذلك أدى إلى نجاح الفيلسوف في اللاهوت والأخلاق والفلسفة وهو نجاح لم يكن ليظفر به لولا ما أظهره من نفع في عالم الرياضة(1).

فالرياضة هي المصدر الأساسي الذي عنه تفرع الاعتقاد في حقيقة أبدية مضبوطة، وفي عالم معقول فوق مستوى الحس، فالفكر أسمى منزلة من الحواس، وإن ما ندركه بالتفكير أقرب إلى الحق مما ندركه بالحواس. وكان تأثير فيثاغورس بأن العالم الأزلي ينكشف للعقل ولا ينكشف للحواس(2).

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص72.

(2) برتراندرسل، ج1، ص72.

هرقليطس 540/ 475 ق.م

يـرى هـرقليطس أن الأشـياء في تغـير مسـتمر، وأن القـانون العام الذي ينظم الوجود هـو الـتغير وعـدم الثبـات، والتجـدد المسـتمر، فكل شـيء في سـيلان مستمر، ولا يوجـد شـيء بـاق علـى الإطـلاق، فالإنسـان لا يسـتطيع أن يضـع قدمـه في نهـر واحـد مـرتين لأن النهـر يكـون قـد تغـير بـين الخطـوتين، ونحـن موجـودون وغـير موجـودين، وكما يوجد الواحد من الأشياء جميعاً، كـذلك الأشياء تصـدر عـن الواحـد، والله هــو النهــار والليــل، والصـيف والشــتاء، والسـلام والحرب، وهي ماهية الأشياء جميعاً، وهذا العالم لم تصنعه الآلهة أو البشـر، ذلـك أنـه وجـد هـكـذا، وسيسـتمر هـكـذا، وهـو نـار حيـة. والسبب الذي دعاه إلى القـول بـأن النـار هـي العنصـر المكـون للوجـود هو أنها أقل العناصر ثباتا. وهو لا يقصـد بالنـار هنـا اللـهيب فحسـب، بـل أيضـاً الـدفء والحـرارة علـى وجـه العمـوم، ولـذلك فقـد سماهـا (البخار المتصاعد).

وتتكـون الأشـياء مـن النـار ثـم تعـود إليهـا، وهـكـذا، ولمـا كـان لا يوجـد شـيء ثابـت علـى الإطـلاق، فـلا توجـد إذن أي صـورة باقية، إذ كل شيء في تحول مستمر من حالـة إلى ضـدها، فالشـيء الواحـد يتضـمن في ذاتـه الأضـداد جميعـاً، والصـراع قـانون العـالم، والتنازع أبو الأشياء، وكل ما يتفرق ويتحطم يعود ليلتئم مـن جديد، ويـتحكم القـانون الإلهي والقـدر والحكمـة والبقـاء الكلـي في كـل شـيء، ولـو أن هنـاك تغيراً دائمـاً إلا أن هـذا الـتغير يـتم حسـب قـوانين ثابتـة، إذ تـتغير الأشـياء ثـم تعـود ثانيـة. وتمـر العناصـر الأوليـة في تحولاتهـا بثلاثة مراحل أساسية: فمـن النـار يتكـون المـاء، ومـن المـاء يتكـون الـتراب، وعلـى العكـس يعـود الـتراب فيصـبح مـاء ثـم يصـبح الماء ناراً، وجميع الموجودات عرضة لهذا الأسلوب في التغير.

ولكن الموجودات تبدو لنا في الظاهر كما لو كانت ثابتة، ذلك لأنها تتلقى من جانب نفس المقدار الذي تفقده من جانب آخر، ويضرب لنا هرقليطس مثلاً بالشمس فإنها تتجدد كل يوم، فما تفقده بالنهار تتلقاه في الليل نتيجة للأبخرة المتصاعدة من البخار، إلا أنه إذا ما انتهت الأشياء جميعاً إلى النار الأصلية بحيث لا يبقى في العالم سوى النار، فإنه يكتمل دور من أدوار الوجود المتعاقبة، وتتكرر هذه الأدوار إلى مالا نهاية.

والنفس الإنسانية جزء من النار الإلهية، وكلما كانت هذه النار أكثر جفافاً، كانت أقرب إلى الكمال، وإذن فالنفس الأكثر جفافاً هي أحكم النفوس وأفضلها، وعندما تترك النفس الجسم تعود من حيث أتت، إلى عالم النار، ومن ثم فإن المذهب لا يعترف بخلو فردي للنفس مادام هناك تغير مستمر [1].

أي أن النار هي العنصر الرئيسي، فكل شيء مثل لهب النار يولد بموت غيره، (إن أصحاب الفناء خالدون، والخالدين هم أصحاب الفناء، وكل واحد يعيش بموت غيره ويموت بحياة غيره). وفي العالم وحدة واحدة لكنها وحدة مؤلفة من اجتماع الأضداد (إن الأشياء جميعاً تخرج من الواحد، والواحد يخرج من الأشياء جميعاً) لكن الكثرة أقل واقعية من الواحد الذي هو الله.

ونزعته الخلقية ضرب من التقشف، فيذهب إلى أن النفس مزيج من نار وماء، والنار منها جانب شريف، والماء جانب وضيع،

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص88.

مزيد من التفاصيل انظر مصطفى النشار، من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء، 1997.

ويسمى النفس التي رجمت فيها النار نفساً (جافة) إن النفس الجافة أحكم النفوس وأفضلها.

إنه من العسير على الإنسان أن يحارب رغبات قلبه، فكل ما يشتهيه القلب إنما يشترى على حساب النفس، ليس من الخير للناس أن يحصلوا على كل ما يريدون الحصول عليه، أي أن هيرقليطس يقدر القوة إن ظفر بها الإنسان، من سيطرته على نفسه، ويحتقر العواطف التي تصرف الناس عن مطامحهم الأساسية.

ويوضح هيرقليطس فكرة التغير، فكل شيء في تحول دائم، (إنك لا تستطيع أن تخطو مرتين في نهر بعينه، لأن ماءاً جديداً سيظل دفاقاً عليك)، (إن الشمس تتجدد كل يوم) (إن كل الأشياء تتحول إلى نار والنار تتحول إلى أي شيء)، (إن النار تحيا بموت الهواء والهواء يحيا بموت النار، والماء يحيا بموت التراب، والتراب يحيا بموت الماء).

كما اهتم هيرقليطس بمذهب امتزج الأضداد، فهو يقول: (إن الناس لا يعرفون كيف يعود ما هو متباين التكوين إلى الاتفاق مع نفسه، والأمر هنا عبارة عن اتساق الأنغام الصادرة من أوتار متضادة لنغم القيثارة. إن في العالم وحدة، ولكنها وحدة نتجت عن تباين، فالأضداد تشترك لتنتج حركة الانسجام.

أزواج الأشياء هي أشياء كاملة وأخرى غير كاملة، هي ما ينجذب بعضه إلى بعض، وما ينفصل بعضه عن بعض، هي المتناغم والناشز، إن الواحد متألف من كل الأشياء، وكل الأشياء صادر عن الواحد)، ونراه أحياناً يتحدث كأنما الوحدة أصل التباين؛ (الخير والشر واحد).

(كل الأشياء بالنسبة لله عادلة وخيرة وصحيحة، أما الناس فيرون بعض الأشياء خطأ وبعضها صواباً). (الطريق الصاعد والطريق الهابط هما طريق واحد بعينه).

الله هو النهار والليل والشتاء والصيف والحرب والسلام، والشبع والجوع، لكنه يتخذ أشكالاً عدة، (فإذا لم يكن هناك أضداد يلتئم بعضها مع بعض لما كان هناك اتحاد) (إنه الضد الذي يكون مصدر الخير لنا)[1].

بارمنيدس: **450** ق.م

وإذا كان هرقليطس قد رأى أن الأشياء في حركة دائمة، وأن الأضداد تتمدد لتؤلف الانسجام في الكثرة فإننا نرى على العكس من ذلك أن بارمنيدس كان يقف على النقيض من هذه الآراء فينفي بارمنيدس ومدرسته الكثرة والتغير، ويقول بالثبات والوحدة، ويذهب إلى أن وراء التغيرات الظاهرية توجد ضرورة وقانون ثابت، وأن هناك وحدة ووجود ثابت، وعلى هذا، فالحركة والكثرة ليستا إلا عرضين ظاهريين. وليس ثمة قانون للوجود الحقيقي، غير الوحدة الشاملة والثبات الدائم.

ويرى بارمنيدس أن الوجود موجود ويستحيل ألا يكون موجود، وقد فهم من فكرة الوجود أنها ليست مجرد تصور منطقي

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص 80، 81.

مزيد من التفاصيل انظر:

فيليب ويلرايت، هيرقليطس. فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، ترجمة عبده الراجحي، مراجعة علي سامي النشار ومحمد علي أبو ريان، دار المعارف، 1969.

بل إنها تشير إلى كتلة الموجودات ذاتها في الماء، أما اللاوجود فلا وجود له في الواقع أو في التصور، فاللاوجود غير موجود ولا يمكن تصوره، ومن هذه القاعدة استمد بارمنيدس مذهبه في طبيعة الوجود، فليس للوجود مبدأ ولا نهاية، لأنه لا يمكن أن يخلق من العدم، أو اللاوجود، وكذلك لا يمكن أن ينتهي إلى العدم، فلم يكن الوجود غير موجود في الماضي ولن ينقطع عن الوجود، بل هو موجود الآن وفي كل وقت بصفة مستمرة، وهو أيضاً غير منقسم لأنه هو في كل مكان، ولا يمكن أن يوجد ما يقسمه، ولا حركة فيه ولا تغير، متشابه الأجزاء، شبيه بشكل كري مستدير له أبعاد متساوية من مركزه إلى جميع جوانب سطحه، والفكر لا يختلف عن الوجود، لأنه ليس إلا فكر الوجود، والإدراك الوحيد الغير متغير في كل شيء. أما الحواس التي ندرك عن طريقها ظواهر الكون والفساد والتغير، هذه الحواس هي مصدر الخطأ. فالحواس تخدعنا، إذ أنها لم تظهر لنا الأشياء كما لو كانت في تغير مستمر، وأنها إلى فناء محقق، بينما الواقع بخلاف ذلك، إذ الوجود واحد ثابت غير متغير [1].

ويقوم مذهب بارمنيدس على أن الحواس خادعة، ويعتبر كثرة الأشياء المدركة بالحواس أوهاماً لا أكثر، والكائن الحقيقي الوحيد هو (الواحد) الذي هو لا نهائي ولا يقبل الانقسام، وليس هذا الواحد- كما ارتأى هرقليطس- وحدة قوامها الأضداد، لأنه ليس هناك أضداد، فالظاهر أنه رأى مثلاً أن (بارد) معناها غير حار و(مظلم) معناها (غير ذي ضوء) ولا ينظر بارمنيدس

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص93.

إلى (الواحد) نظرتنا نحن إلى الله، إذ الظاهر أنه يتصوره مادياً وله امتداد لأنه يتحدث عنه على أنه كري الشكل، لكنه مع ذلك لا يقبل الانقسام لأنه بأسره موجود في كل مكان.

ويقسم بارمنيدس تعاليمه قسمين يسميها على التوالي (طريق الحقيقة) و(طريق الظن)، ويقول عن طريق الحقيقة (إنك لا تدري ما ليس بموجود –لأن ذلك مستحيل- بل لا يمكنك أن تنطق به، لأن ما يمكن التفكير فيه وما يجوز وجوده في شيء واحد في كلتا الحالتين.

إذن فكيف يمكن لما هو موجود فعلاً أن يصير موجوداً في المستقبل؟ أو كيف يمكن له أن يجيء إلى عالم الموجود؟ إنه لو كان قد جاء إلى عالم الموجود، إذن فليس هو بالموجود، وليس هو بالموجود أيضاً لو كان سيصير موجوداً في المستقبل، وعلى ذلك فالصيرورة تنمحي، وانقضاء الشيء في عالم الماضي يزول الكلام فيه).

(إن الشيء الذي يمكن أن يكون موضوعاً للتفكير، والشيء الذي من أجله يوجد التفكير، هو هو بعينه شيء واحد في كلتا الحالتين، لأنك لن تجد تفكيراً بغير شيء موجود، يدور حوله الكلام)[1].

ومغزى هذا القول هو ما يأتي: (إنك إذا فكرت، كان تفكيرك عن شيء، وإذا استعملت اسماً فلابد أن يكون اسماً لشيء، وعلى هذا فالفكر واللغة كلاهما يستلزمان وجود أشياء خارجة عنهما، ولما كان في مقدورك أن تفكر في شيء أو تتحدث

---

(1) برتراندرسل، ص92.

عنه في أي لحظة، لا فرق بين لحظة وأخرى، فما يمكن التفكير فيه أو الكلام عنه، كائناً ما كان، لابد أن يكون موجوداً في كل آن، وينتج عن ذلك ألا تغير مادام التغير معناه أن الأشياء توجد بعد أن لم تكن، أو ينعدم وجودها بعد أن كانت[1].

أمبادقليس **440** ق. م

يرى أن العناصر الأربعة التراب والهواء والنار والماء قديمة، لكن العناصر يمكن أن تمتزج بنسب مختلفة فينتج عن امتزاجها المواد المركبة المتغيرة التي نصادفها في العالم، والحب هو الذي يصل هذه العناصر، والبغضاء هي التي تفصلها، وكان الحب والبغضاء في رأي امبادقليس عنصرين أولين يتساويان منزلة مع التراب والهواء والنار والماء، وقد مضت دهور كان الحب فيها صاحب السيادة، ودهور أخرى كانت البغضاء أقوى الجانبين، وجاء عصر ذهبي كان فيه النصر للحب، وعندئذ كان الناس لا يعبدون إلا أفروديت القبرصية. وليست تغيرات العالم مسيرة وفق هدف منشود. لكنها (المصادفة) و(الضرورة) وحدهما هما اللذان يسيرانها، والعالم يسير في دورات متعاقبة، فإذا ما مزج الحب العناصر مزجاً تاماً، أخذت البغضاء شيئاً فشيئاً بشنها حرباً من جديد، حتى إذا ما وفقت البغضاء إلى التفرقة بينها، عاد (الحب) فوحد شيئاً فشيئاً، وعلى ذلك تكون كل مادة مركبة مؤقتة. وليس ثمة من دوام إلا للعناصر ولقوتي (الحب والبغضاء). فالبغضاء لا تسيطر وحدها على العالم بل يعمل الحب إلى جانبها، فينتجان التغير.

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص92.

وذهب إمبادوقليس إلى أن العالم المادي كروي الشكل، وأنه في العصر الذهبي كان البغضاء خارج الكرة والحب داخلها، ثم أخذت البغضاء تتسلل إلى الداخل فتطرد الحب، وهذه الدورة تتكرر وبهذا يفسر إمبادوقليس التغير في الكون، ودوام الصراع بين التنافز والوئام، ويظهر الواحد تلو الآخر، ويسود السلام والوحدة أحياناً في ظل أفروديت، ثم يتلوها مرة أخرى القتال بسبب مبدأ التنافر.

وبعض الناس يحظى في النهاية بالنعيم الأبدي في رفقة الآلهة، ولعل هؤلاء هم الذين يترفعون عن الخطيئة خلال التجسدات الكثيرة التي تظهر فيها أرواحهم (ولكنهم يظهرون آخر الأمر بين البشر الفاني سنظهر أنبياء وناظمي أناشيد وأطباء وأمراء، وبعدئذ يصعدون آلهة مجدهم الشرف، يقاسمون سائر الآلهة مدفأتهم ويجلسون معهم إلى مائدة واحدة أحراراً من متاعب بني الإنسان، آمنين من بطش القضاء، وبمنجية من الأذى)[1].

مذهب أنبادوقليس هو محاولة التوفيق بين آراء هيرقليطس في التغير المستمر وآراء بارمنيدس في الثبات الدائم، فقد رأى أن الكون والفساد والتغير ليست سوى اتصال وانفصال الجواهر الآلية غير المتغيرة، والتي تختلف عن بعضها من حيث الكيف، ولكنها منفصلة كماً، وهذا لا يعني أنها ذرات إذ هي في حقيقة الأمر العناصر الأولى للموجودات. وكان أنبادوقليس يرى أن العناصر الأربعة الماء والنار والهواء والتراب هي الأصول للأشياء جميعاً، وهذه العناصر لا يتحول أحدها إلى الآخر، ولا تأتلف لتكون عنصراً

(1) برتراندرسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ص101، 102.

جديداً، فأي اجتماع لها هو مجرد اختلاط لأجزاء صغيرة تحتفظ بقوامها أو بطبائعها المميزة دون مزج أو اندماج يفقدها خواصها المميزة. وتؤثر الأجسام بعضها في البعض الآخر بأن تخترق أجزاء صغيرة من جسم ما إلى مسام جسم آخر، وإذا توافقت هذه الأجزاء الصادرة من الجسم مع مسام الجسم الآخر، فإنه يحدث جذب بين الجسمين.

مصدر الحركة مبدآن هما سبب انفصال العناصر واتصالها، أحدهما قوة توحيد ووصل وهو المحبة والآخر قوة التفريق أو الفصل وهو الكراهية، والعالم تتعاقب عليه أدوار من المحبة والكراهية إلى مالا نهاية.

ويفسر أنبادوقليس تكوين العالم بواسطة الحركة الدائرية، حيث تنفصل السموات والنجوم والهواء والأرض تدريجياً عن كتلة الوجود الأولى، وذلك بفضل الحركة الدائرية المتصلة. ولأنبادوقليس نظرية في التطور التاريخي للموجودات سواء كانت نباتاً أو حيواناً أو إنساناً، فعنده أن الأطراف الجسمية تكونت أولاً على أشكال منفصلة ثم اجتمعت هذه الأطراف بفعل المحبة واتحدت لتكون أشكالاً ضخمة غير مهذبة.

وقد اعتقد أنبادوقليس بتناسخ الأرواح، وهذه الأرواح تحيا حياة أزلية كلها سعادة وغبطة، ويعتبر الوجود الأرضي نوعاً من العقاب للأرواح التي أسقطت على هذه الأرض.

وقد حرم هذا المذهب أكل اللحم وتقديم القرابين الدموية، وكذلك فقد اعتبر الحرب مظهراً من مظاهر الكراهية وعلى العكس فالسلام مظهر من مظاهر المحبة[1].

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص104.

أنكساجوراس 500 – 428 ق. م

كان انكساجوراس على العكس من أبنادوقليس مبتعداً عن أي اتجاه صوفي، فقد اتبع طريقة التفسير العقلي المحض، وقد رفض فكرة التفكير الكيفي للأشياء، وفسر الوجود باتصال وانفصال الجواهر الموجودة بالفعل، وعلى ذلك فإن تغير كيفي لن يكون في حقيقة الأمر سوى تغير في التركيب المادي للجوهر.

ورأى أنكساجوراس أن المحبة والكراهية لا يمكن أن يكفيا لتفسير الحركة، لذلك فقد قال بأن هذه الحركة لابد وأن تكون من فعل موجود تسمو معرفته وقدرته على الموجودات جميعاً. وهذا الموجود يجب أن يكون مفكراً ومعقولاً وقادراً، هو العقل Nous وهذا العقل لا يختلط بأي شيء من الأشياء، وهو متميز عن المادة كل التميز، إذ هو موجود بسيط غير قابل للقسمة، بينما المادة مركبة. ووظيفة العقل الأساسية هي تفريق كتلة المادة المختلطة، فهي خليط من عدد لا يحصى من الأجزاء القديمة الغير متغيرة والغير منقسمة، والغير قابلة للعدم.

ويفسر أنكساجوراس وجود الأرض والكواكب بالحركة الدائرية التي لا تنقطع أبداً، ويرجع الفضل إلى انكساجوراس لقوله بمبدأ عقلي متمايز عن المادة، ولذلك فهو يعد أول المتكلمين عن الثنائية الفلسفية بين العقل والمادة، وهو يرى أنه على الرغم من تدخل العقل في عمليات الإيجاد والحركة والتنظيم إلا أن العقل يوجد بنفسه، ولا يختلط بالمادة أصلاً رغم تصرفه في جميع الأجسام، ورغم كونه القوة المحركة والمسيطرة على جميع

الأشياء المرتبطة بالعالم كله[1].

وذهب اناكساجوراسي إلى أن كل شيء قابل للانقسام إلى مالا نهاية، وإن أصغر أجزاء المادة لا يخلو من آثار لشتى العناصر جميعاً، وإنما تبدو الأشياء على ما هي تبعاً للعنصر الغالب عليها، فمثلاً كل شيء يحتوي على نار، لكننا لا نسمي الشيء ناراً، إلا إذا كان عنصر النار هو السائد.

وهو يختلف عن أسلافه في اعتبار العقل (ناوس) عنصراً أصيلاً يدخل في تركيب الكائنات الحية جميعاً، فيفرق بينها وبين المادة الميتة، وهو يقول أن في كل شيء جزءاً من كل شيء، ماعدا العقل، وبعض الأشياء يحتوي عقلاً إلى جانب شتى العناصر، وللعقل قوة على كل شيء تدب فيه الحياة، والعقل لا نهائي يحكم نفسه بنفسه ولا يخالطه عنصر آخر، فلو استثنيت العقل وحده، وجدت كل شيء يحتوي على أجزاء من الأضداد جميعاً، كالحار والبارد، والأبيض والأسود.

والعقل مصدر الحركة كلها، فهو يسبب حركة دائرية تنتشر في أرجاء العالم، وتجعل أخف الأشياء ينزاح إلى الحافة، وأثقلها يهوي تجاه المركز، والعقل متجانس، فهو لا يختلف سمواً في الحيوان عنه في الإنسان، وإنما ترجع سيادة الإنسان الظاهر إلى أن له يدين، وكل الفوارق البادية بين درجات الذكاء، إن هي في حقيقة أمرها إلا نتيجة لفوارق في الأجسام.

ولهذا نرى أرسطو وسقراط يأسفان على أن أنكساجوراس قد أدخل عنصر العقل في حسابه، لكنه لم يستفد منه إلا قليلاً،

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص106.

فيذكر أرسطو أن أنكساجوراس لم يجعل العقل عنصراً إلا ليتخذ منه سبباً حين تعز عليه الأسباب، وهو لا يحجم عن تفسير الأشياء تفسيراً آلياً إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، وأنكر أن تكون الضرورة والمصادفة أصلية لوجود الأشياء ومع ذلك لا تراه يذكر (تدبيراً إلهيا) في فلسفته عن الوجود، والظاهر أنه لم يفكر طويلاً في أمور الأخلاق والدين، ومن المحتمل أن يكون منكراً للآلهة (1).

الذريون:

ديمقرطيس : 420 ق. م

يعتقد أن كل شيء مكون من ذرات، والذرات لا تقبل الانقسام من الوجهة المادية، وإن لم تكن قابلة للانقسام من الوجهة الهندسية، ويذهبان إلى أن الذرات يفصلها عن بعض فراغ، وأن الذرات يستحيل فناؤها، وأنها كانت منذ الأزل، وستظل إلى الأبد في حركة دائمة، وأن هنالك من هذه الذرات عدداً لا نهاية له، بل لا نهاية لعدد أنواع الذرات التي يختلف بعضها عن بعض شكلاً وحجماً.

ويقول أرسطو أن الذريين يذكرون أيضاً أن الذرات تختلف في درجة الحرارة، فأشدها حرارة هي الذرات الكرية التي يتألف منها النار، وأنها كذلك تختلف في الثقل، وهنا يقتبس من ديمقطريس العبارة الآتية: (كلما كبر حجم الذرة غير القابلة للانقسام ازداد ثقلها).

وقد أنكر ديمقرطيس صراحة إمكان أن يحدث أي شيء بفعل الصدفة، فقد كان يؤمن بأن كل شيء يحدث وفق قوانين

(1) برتراندرسل، ج2، ص110.

طبيعية (فلا شيء يحدث بلا شيء، بل يحدث كل شيء على أساس وبحكم الضرورة).

وقد أراد الذريون أن يفسروا العالم بغير اعتماد على فكرة الغاية أو العلة الغائية (فالعلة الغائية) لحادثة ما، هي حادثة في المستقبل من أجلها حدثت الحادثة التي نحن بصددها فالسببية لابد لها أن تبدأ من شيء، ومادامت قد بدأت، فلا يمكن أن نلتمس سبباً لذلك الشيء الأول الذي عنده بدأت، فقد تنسب العالم إلى (خالق) لكنك في هذه الحالة نفسها لابد أن تترك (الخالق نفسه) بغير تعليل.

وذهب ديمقرطيس لأن هناك إدراك بالحواس وإدراك بالعقل، والإدراكات التي من النوع الثاني لا تعتمد إلا على الأشياء المدركة، بينما إدراكات النوع الأول تعتمد إلى جانب ذلك على الحواس، لذا فهي معرضة للخداع.

وأوضح ديمقرطيس أن النفس تتركب من ذرات، والتفكير عملية فيزيقية، وليس للكون في رأيه غاية ينشدها، إذ ليس هناك إلا ذرات تسير بمقتضى قوانين آلية، ولم يؤمن بالديانة الشعبية.

وفي الأخلاق اعتبر البهجة غاية الحياة، وعد الاعتدال والثقافة خير وسيلتين تؤديان إلى تلك الغاية، وكره كل ما يتصف بالعنف وحده العاطفة، ولم يشجع على الاتصال الجنسي لأنه ينطوي على طغيان اللذة على الإدراك الشعوري طغياناً ساحقاً، وكان للصداقة عنده قيمة كبرى، لكنه أساء الظن بالنساء ولم يرغب في أن يكون له أبناء، لأن تربيتهم تعطل الفلسفة[1].

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص123.

كان ديمقريطس مقتنعاً بموقف بارمنيدس في نفي التغير المركب ولكنه أراد في نفس الوقت أن يفسر حركة الأشياء المركبة، ويبين كيف تأتي إلى الوجود وكيف يبطل وجودها. وقد سلم ديمقريطس بأن الملاء والخلاء معاً هما المكونان الأساسيان للأشياء، وينقسم الملاء عنده إلى أجزاء لا حصر لها، يسميها الذرات أو (الأجسام الكيفية) ولا تستطيع رؤية كل منها على انفراد نظراً لدقة حجمها، ويفصل هذه الذرات بعضها عن البعض الآخر فجوات في الخلاء، ولكل ذرة لا يمكن أن تقبل الانقسام لأنها لا تحتوي على خلاء في تكوينها الداخلي، وهذه الذرات لا بدء ولا نهاية لوجودها، وهي متشابهة في طبيعتها، وتختلف فيما بينها من حيث الشكل والحكم، ولا تقبل من التغيرات سوى تغير الحجم، دون التغير الكيفي، أما الكيفيات المتعلقة بالجسم فهي نتيجة لاختلاف ترتيب الذرات وأوضاعها وأحجامها وأشكالها ويفسر ديموقريطس التغير في الوجود على إنه اتصال الذرات أو انفصالها بالإضافة إلى التغيرات التي تطرأ على أوضاعها وتنظيمها على صورة معينة في الأجسام.

والنفس عند ديمقريطس تتألف من ذرات شبيهة بالذرات النارية في شكلها وحجمها، ذات طبيعة لطيفة، تسري في الجسم كله، وبعد الموت تتبدد هذه الذرات وتتلاشى تركيبها. وعلى الرغم من أن النفس مادية في تكوينها إلا أنها مع هذا أشرف جزء في الإنسان، وهي الجزء الإلهي فيه [1].

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص110.

السفسطائيون

وجه السوفسطائيون أنظارهم إلى الإنسان وإلى معرفته، بعد أن كان نظر الفلاسفة موجهًا إلى الموضوع الخارجي، على أن هذا الاتجاه الجديد لا يرجع إلى عامل فكري فحسب، بل يرجع إلى عدة عوامل سياسية واجتماعية نشأت في المجتمع اليوناني في ذلك العهد، فقد كانت الديمقراطية الأثينية قد بلغت أزهى عصورها، وكان لابد للسياسي الديمقراطي من أن يتصف بالقدرة على الجدل والمناقشة ومنازلة الخصوم، والدفاع عن الآراء صحيحها وكاذبها، وأحس السفسطائيون أنهم أجدر الناس بتعليم هذه الصناعة، فتولوا مهمة تدريب الشباب على الجدل لإعدادهم للعمل السياسي، وذلك نظير أجور تختلف بحسب أصل المتعلم وثرائه.

وكذلك فقد كان للحروب المتعاقبة- حروب داخلية وحروب بين اليونان والفرس- كان لذلك أثر كبير في زعزعة ثقة المواطنين بمفهوم (الدولة الإلهية)، وبالإضافة إلى هذا كان اليونان قد اتجهوا إلى كثرة الترحال، فتكونت لديهم ملكة النقد للعادات والتقاليد، وأكدوا على نسبية المعرفة والأخلاق ونسبية العادات والتقاليد.

وقد حاول السوفسطائيون تحقيق غاياتهم بطريقتين، تعليم الشباب، وإلقاء المحاضرات العامة بطريقة مبسطة شعبية، ويعلمون الشباب الخطابة ووسائل التغلب السياسي والبراعة في منازلة الخصوم، وذلك لقاء أجور نقدية.

بروتاجوراس: 481- 411 ق.م

وهو القائل بأن الإنسان مقياس الأشياء جميعاً، ذلك لأنه هو الذي يحكم على الموجودات بأنها موجودة، وعلى غير الموجود منها بأنه غير موجود.

وإذا فصلنا هذا القول لبروتاغوراس وجدنا أنه يتضمن دعوى خطيرة، إذ أنه ينقل مشكلة المعرفة من الموضوع إلى الذات العارفة.

وكان بروتاجوراس يرى أن القدرة على التعليل لإقناع الآخرين وإفحام الخصوم تحتاج إلى تدريب وممارسة بالإضافة إلى ضرورة توافر بعض المواهب الطبيعية. فقد كان بروتاجوراس يهتم بالفن الجدلي ويرى أن المهارة والتمرس فيه شرط أساسي للنجاح في الحياة العامة، ولا يتحقق هذا إلا باستخدام جميع الوسائل سواء كانت أخلاقية أم غير أخلاقية[1].

وقد أوضح بروتاجوراس أن القوانين والعادات والأخلاق نسبية، وإن معيار الصحة لهذه النظم والقوانين هو المجتمع الذي تطبق فيه، ولا يمكن أن يطالب الأخلاقيون بمعيار مطلق للخير والشر، كذلك المنطقيون لا يمكن أن يطالبوا بمعيار مطلق للصواب والخطأ. وأخيراً فإن الجماليين ليسوا على صواب في زعمهم بأن لديهم معياراً للجمال والقبح، كذلك هؤلاء الذين يقيمون العدالة لا يستطيعون أن يقولوا أن هناك أساساً مطلقاً للعدالة، فالعدالة كالأخلاق، نسبية، فما هو عدل عند شعب يجوز أن يكون ظلماً عند شعب آخر، وكذلك فإن الدين ليس مطلقاً.

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص118.

جورجياس 483 – 375 ق.م

وضع ثلاث قضايا رئيسية:

1. لا يوجد شيء على الإطلاق.
2. وحتى إذا وجد شيء فلن يمكن معرفته.
3. وحتى إذا عرف الشيء فلا يمكن إيصال هذه المعرفة إلى الآخرين لأنها معرفة نسبية، لأن اللغة وهي وسيلة إيصال هذه المعرفة ليست مطلقة، إذ اللفظ الواحد تحتمل عدة معان، ومما يجعل من السهل التلاعب بالألفاظ.

وأشار إلى أن جميع الفضائل وكذلك سائر الموجودات نسبية وغير مطلقة، وأشار إلى أن لكل من المرأة والرجل والطفل والمراهق والعبد والحر، لكل منهم فضيلته الخاصة به، فكان ليس هناك مفهوم عام للفضيلة فهي نسبية.

كما أشار كاليكليس بنظرية (الحق للاقوي) وبحسب هذه النظرية تصبح الأخلاق والقوانين من عمل الضعفاء من الناس وهم أغلبية أفراد المجتمع الذين يريدون لهذه القوانين أن يكبحوا جماح الأقوياء، فيطيلوا الكلام عن نظريات العدالة وأساس العرف والقانون والتقاليد وما تحكم به الأخلاق.

كل هذا الغرض واحد وهو السيطرة على الأقوياء وانتزاع الحق والمنفعة والسلطة عن أيديهم، وكذلك أشار كريتاس في أن القانون ما هو إلا أداة شعبية لترويض الأقوياء، أما الدين فليس إلا اختراعاً لبعض الأذكياء وكشفوا فيه عن قوة خفية جبارة لا وجود لها في الواقع ويسمونها بالغيب [1].

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص122.

لفـظ (سوفسـطائي) لم يكـن لهـا معنـى مـرذول في أول أمرها، إذ كان معناها أقرب ما يكون إلى ما نعنيه نحن اليوم من كلمة (أستاذ) فقد كـان السوفسـطائي يكسب عيشه بتعليم الشباب بعض الأشياء التي كان يظن أنها قد تنفعهم في الحياة العملية، ولما لم تكن الدولة عندئذ تخصص من مالها شيئاً لمثل هذا التعليم، فقد جعل السوفسطائيون يعلمون من كان في مقدورهم أن يدفعوا أجور تعليمهم من أموال والديهم، وقد أدى ذلك إلى خلق شعور بالفوارق بين الطبقات.

وقد كانت الديمقراطية هي المذهب الذي ظفر بالنصر السياسي في أثينا وغيرها من المدن إلا أن ذلك لم يحد من ثروة أولئك الذين كانوا ينتمون إلى الأسرات الأرستقراطية القديمة، فقد كان الأغنياء هم الذين يحتضنون الثقافة التي تطلق عليها اليوم الثقافة (الهلينية) إذ كان هؤلاء الأغنياء يتمتعون بالتعليم وبالفراغ، فما كان يسميه اليونان بالديمقراطية لم يؤثر قط في نظام الرق عندهم، ذلك النظام الذي مكن الأغنياء أن يتمتعوا بثرائهم دون أن يرهقوا مواطنيهم من الأحرار.

وفي كثير من المدن – وفي أثينا بصفة خاصة- كان الفقراء يحسون إزاء الأغنياء عداوة مضاعفة عداوة بسبب الحسد وأخرى بسبب الحرص على التقاليد. فقد كانوا يفرضون في الأغنياء أنهم خارجون على الدين والأخلاق، فقد كانوا يقلبون العقائد القديمة رأساً على عقب، وفي هذا المناخ ظهرت جماعة السوفسطائيين لتعلم الناس فنون المهارة الخطابية للدفاع عن أنفسهم ضد التهم التي توجه إليهم مثل تهم الخروج على الدين وإفساد

الشباب.

وقد اعترض أفلاطون على السوفسطائيين كيف يتقاضوا أجراً على التعليم، ذلك أن أفلاطون نفسه كان له من ماله الخاص ما يكفيه، والظاهر أنه لم يستطع أن يشعر بشعور أولئك الذين لم يكن مثل حظه، ولم تلجئهم ضرورات الحياة إلى أخذ الأجور.

يضاف إلى ذلك أن السوفسطائيين اختلفوا عن الفلاسفة في أنهم لم يدافعوا عن مذهب معين، ولكن كان هدفهم أن يعلموا الناس فن النقاش، وأن يبينوا لتلاميذهم كيف يمكن أن يدافعوا عن الرأي أو يدحضوه، ولم يكن يعنيهم أن يدافعوا عن آراء معينة يعتنقونها هم[1].

وقد اضطهد بروتاجوراس لخروجه على الدين فيقول: (أما عن الآلهة فلست أراني على يقين من وجودهم أو عدم وجودهم، ولا من شكلهم كيف يكون، ذلك لأن ثمة أشياء كثيرة تعوق المعرفة اليقينية، وهي غموض الموضوع وقصر الحياة البشرية.

ويذهب بروتاجوراس إلى أن الإنسان مقياس كل شيء، فهو مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة وأن الأشياء غير الموجودة غير موجودة. ويفسر هذا القول بأنه يعني أن كل إنسان هو مقياس الأشياء جميعاً، وأنه إذا اختلف الناس، فليس هناك حقيقة موضوعية يمكن الرجوع إليها لتصويب المصيب وتخطئ المخطئ، والمذهب في جوهره مذهب متشكك، وهو في أغلب الأحوال مبني على خداع الحواس.

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص130، 131.

وذهب جورجياس إلى (لاشيء موجود) وأنه إن وجد شيء فليس هو يمكن المعرفة وأنه حتى لو فرضنا جدلاً أن ثمة شيئاً موجوداً، وإن شخصاً ما أتيح له أن يعرفه، فيستحيل عليه أن ينقله إلى الآخرين، ولسنا ندري الآن ما إذا كانت أدلته على رأيه هذا، لكنني أستطيع أن أتصور في وضوح أنها كانت أدلة قوية من الوجهة المنطقية، ألزمت معارضيه إلزاماً أن يحموا أنفسهم بدرع من الدعوة إلى الإصلاح.

إن البحث عن الحقيقة حين يصدر عن إخلاص تام، لابد أن يغض النظر عن الاعتبارات الخلقية، فليس في مستطاعنا أن نقدر مقدماً أن الحقيقة التي نسعى وراءها ستجيء مؤيدة لأهواء الناس في مجتمع معين، وكان السوفسطائيون على استعداد أن يتابعوا الحجاج حيث تسوقهم الحجة، وكثيراً ما ساقهم الحجة إلى التشكك.

وفي الكتاب الأول من الجمهورية يحاج ثراسيماكوس بأنه لا معنى للعدل إلا مصلحة الأقوى، وأن القوانين تسنها الحكومات لمصلحتها، وأنه ليس هناك مقياس موضوعي تلجأ إليه إذا ما نشب نزاع على السلطان. وكذلك اعتنق كالكليز -فيما يروى أفلاطون في محاورة جورجياس- مذهباً شبيهاً بهذا، إذ قال: إن قانون الطبيعة هو قانون الأقوى، لكن الناس أرادوا لأنفسهم راحة البال، فأقاموا من النظم الاجتماعية ومن المبادئ الخلقية ما يشمل القوى[1].

---

(1) برتراندرسل، ج1، ص133.

مزيد من التفاصيل انظر:

سقراط:

انتصر سقراط للروح على البدن، واحتقر نعم الحياة الدنيا، وازدراء الترف والخير الأسمى هو الفضيلة وأن الإنسان لا يفقد فضيلته بأسباب خارجية.

ويقرر سقراط بأنه لا يعلم شيئاً، وأنه أحكم من غيره في شيء واحد، وهو علمه بأنه لا يعلم شيئاً غير إنه لا يعتقد أن المعرفة مستعصية على التحصيل؛ بل هو على عكس ذلك يرى أن البحث عن المعرفة أهم ما يهتم له الإنسان، وهو يذهب إلى أن أحداً من الناس لا يقترف الخطيئة عامداً، ولذا فلا يعوز الناس إلا المعرفة لكي يكونوا جميعاً على فضيلة كاملة.

إن العلاقة الوثيقة بين الفضيلة والمعرفة مما يميز سقراط[1].

ويتألف المنهج السقراطي من مرحلتين هما مرحلة التهكم ومرحلة التوليد.

أ. أما التهكم فمعناه أن يبدأ سقراط بتوجيه سؤال إلى محدثه ويتظاهر بالجهل والسذاجة وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئاً، وذلك حتى يثير في نفس مجادلة الشعور بالزهو والخيلاء فيحس بأنه أعلى منزلة من سقراط، وأقدر في الرد عليه، ويتراءى له سقراط في هذه اللحظة كرجل ضعيف النظر ضحل التفكير. ولكن شخصيته الحقيقية تبدأ في الظهور حينما يأخذ الخصم

==أميرة حلمي مطر، الفلسفة عند اليونان، دار مطابع الشعب، 1965.

(1) برتراندرسل، ج1، ص150.

في الإدلاء بآراء سقيمة غير متناسقة. وسرعان ما يتناول سقراط –في حرية لاذعة– ما يعرضه الخصم من تعريفات للموضوع. حتى يشعر الخصم بأنه غير قادر على أن يستمر بعد ذلك في مناقشة سقراط فيكتفي بأن يتلقى منه وأن يقف منه موقف الطالب من أستاذه. وعندما ينتهي سقراط من تطهير نفس خصمه من المعارف المشوهة التي تلقاها في المجتمع يبدأ مرحلة جديدة وهي التوليد.

ب. وفي مرحلة التوليد نرى سقراط وهو يعيد بناء المعرفة على أسس جديدة بعد أن طهر نفس محدثه من الأوهام والآراء المزيفة. وقد قيل إن سقراط –باستعماله لأسلوب التوليد– كان يمارس فكرياً الصناعة التي كانت تزاولها والدته، إذ أنه هو أيضاً كان يولد الأفكار من نفوس محدثيه، ومعنى هذا أن الأفكار كانت موجودة في فطرة الناس، أي أن الأطفال يولدون في نفوسهم العلم الفطري، فالعلم عند سقراط أولي سابق على التجربة Aprioi ويقتصر أثر التعلم على المدرسة أو الجدل في السوق على إيقاظ النفس، فيذكرها بهذه المعاني النظرية التي كانت موجودة فيها قبل ميلادها الأرضي، وكانت قد حصلت عيلها من عالم آخر وهو عالم المثل. فالتعلم إذن ليس إلا تذكر. وأما أساليب الجدل المختلفة فهي تساعدنا على استرجاع المعاني وهذا هو معنى توليد سقراط لأفكار محدثيه.

ويشير سقراط إلى خلود الروح، فالخلود هو ثمن حياة النفس الفاضلة على سطح الأرض، وأن هذه النفس حينما تغادر الجسد سرعان ما تغمرها السعادة الدافقة لأنها ستحيا إلى جوار الآلهة في العالم العقلي، فكأن السعادة عند سقراط ليست في هذه

الـدنيا، ولكنهـا في عـالم عقلـي لا يمكـن التسـليم بوجـوده إلا إذا سلمنا بخلود الروح[1].

أفلاطون 427 ق. م

اهتمـام أفلاطـون لم يكـن موجهـاً إلى الإنسـان كفـرد فحسـب، بل أيضاً ككائن اجتمـاعي يعيش في ظل نظـام سياسي معـين، ولهـذا فقـد كـان مـن الضـروري أن يفسـر السـلوك الفـردي للإنسـان، وكـذلك الصـورة الاجتماعيـة والسياسـية لنشـاطه في علاقاته مع الآخرين، غير أن أفلاطون كأستاذة سقراط كان يعتبر النفس أسمى من الجسد، بل يعتبرانها حاصلة على الوجود الحقيقي، أما البدن فوجوده ثانوي وغير مؤكد.

فـالنفس أبدية أزليـة لبسـاطتها وعـدم فسـادها وتـذكرها المعـاني، وهـي تلحق بالجسم في العـالم الأرضـي، ويـرى أفلاطـون أن النفس تأتي إلى العالم الحسي وهـي طاهرة نقية، وأن هبـوط النفـوس إلى الأرض يتم حسـب ضـرورة عالمية، فالجسـم مطية مؤقتة للنفس، وهـو الـذي يعطـل قواهـا الروحية النبيلة ويوجهها وجهة غير أخلاقية لأنـه مصـدر الشـرور والآثـام، ولهـذا فـالنفس تشـقى بهـذا الوجـود الأرضـي، وتعـود فتحـاول الانطـلاق مـن محبسـها لتصـعد إلى العـالم المعقول، ولذلك فإن خير الأفعال هـو مـا يسـاعد النفس علـى الوصـول إلى العالم الأسمى وأفضل النظم السياسية هـي مـا يهيئ النفس لهذه الحياة الروحية ويكفل لها السعادة التي تستهدفها مـن ممارسـة حياة الفضيلة والحكمة.

---

(1) محمد علي أبو ريان، مرجع سابق، ص142.

والفضائل عند أفلاطون أربع، وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، ووظيفة العدالة أن تحفظ النظام والتناسب بين الفضائل الثلاث الأولى. فالحكم فضيلة العقل والعفة فضيلة النفس الشهوانية، وأما الشجاعة فهي وسط بينهما وهي فضيلة النفس العصبية، فإذا ما تحقق التوازن أي العدالة بين قوى النفس وفضائلها حصلت النفس على السعادة.

وهذه العدالة هي حالة باطنية عقلية أخلاقية تتجاوب مع النظام في العالم المحسوس، ويبدو فيها جمال النفس في سيطرتها على شهوات ورغبات الجسد. فأسمى الملذات هي فضيلة العقل أي الحكمة، وفيها يكمن خير الإنسان وسعادته.

فالجسم هو سجن النفس ومحبسها ولا مناص لها من التحرر من أغلاله والانطلاق إلى العالم الأعلى إلا بالتطهر والمجاهدة أي باتزان النفس وممارستها للفضائل والحكمة [1].

المجتمع الطبيعي وتطوره:

إذا كان السفسطائيون قد ذهبوا إلى أن تكوين المجتمعات الإنسانية إنما تقوم على التعاقد بين الأفراد وليس على أساس طبيعي غريزي، فإن أفلاطون كان يرى على العكس من ذلك أن الإجماع البشري حاجة طبيعية لا تحتاج إلى إرادة التعاقد بين بني البشر، ذلك لأن الفرد لا يمكن أن يحيا إلا في مجتمع سواء كان هذا المجتمع

---

(1) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص267.

مزيد من التفاصيل انظر أفلاطون، الجمهورية، ترجمة حنا خباز، مطبعة المقتطف، 1929.

هـو الأسـرة أم المدينـة، والمجتمـع المثـالي هـو الـذي يطـابق النظـام الطبيعي في البساطة والصلاح، ولكن مثل هذا المجتمع لا يوجد لأن المجتمعـات تقـوم علـى نظـم فاسـدة متـدهورة. ويقـول أفلاطـون إن المجتمعـات تطـورت مـن البسـاطة إلى التعقيـد، فيقـول إن المجتمـع الطبيعي كان يتألف من عدة أسر مجتمعة معاً بقصد إشباع حاجاتها الأولية من مأكل وملبس ومسكن، ولكن الإنتاج سرعان ما يتزايد ويتحسن ويصبح أكثر مرونة بفضل تطبيق نظام تقسيم العمل فيشيع التخصص وتتمايز الحـرف و المهـن، فيظهـر في هـذا المجتمـع البسـيط حدادون وصناع الأحذية ونجارون ورعـاة، ولكـل منهم عملـه الخـاص به. ولما كان مثل هـذا المجتمـع لا يستطيع أن يكفـي ذاتـه بذاتـه مـن حيث السـلع الاسـتهلاكية، لـذلك فهـو يتجـه إلى الاسـتيراد، ومـن ثم فهـو مسـاق إلى تصـدير منتجاتـه لكـي يغطـي أثمـان مـا يسـتورد مـن سلع، وتظهر الحاجة حينئذ إلى وسطاء يقيمون سوقاً للتبادل التجاري ويكـون نقـداً للتعامـل علـى أساسـه، وهكـذا يظهـر التجـار صـغارهم وكبارهم، ويلزم هذا المجتمع أيضاً طائفة من الإجراء والعمال الـذين يساندون المقيمين في عملياتهم بعد أن يتزايد الإنتاج. وكذلك يتطلب الوضع الجديد تشكيل قوة عسـكرية مـن الجنـود المحترفين للـدفاع عن المجتمع وحمايته مـن غـدر المجـاورين لـه. ويستمر هـذا المجتمـع في حياتـه البسـيطة ولكـن سـرعان مـا تـزداد حاجـات الأفـراد وتتشـعب مطالبتهم، فتحدد أنواع الأطعمة والشراب فيتحـول النـاس عـن الغـذاء النباتي، وكذلك تظهر الثياب الفاخرة، والحلـي العاجيـة والذهبيـة، وتزدهــر الفنــون الكــبرى كالرســم والموسـيقى والشـعر والمســرح والرقص، ويحتاج الناس إلى الخدم، وهـذا التضـخم في المطالـب يولـد رغبـة في التوسـع وفي إجـراء الـتغيرات السـريعة، فتتـداخل الـنظم

رغبـة في التوسـع وفي إجـراء الـتغيرات السـريعة، فتتـداخل الـنظم ويتفشى الفساد نتيجة للتكالب على الرفاهيـة المبـالغ فيهـا، ويكـون نتيجـة لـذلك أن يتعقـد نظـام المجتمـع ويـرى فيـه الانحـلال ويصـبح مجتمعاً غير طبيعي[1].

(1) محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، مرجع سابق، ص276.

مزيد من التفاصيل انظر:

عبد الرحمن بدوي، أفلاطون، خلاصة الفكر الأوروبي، مكتبة النهضة العربية، 1954.

الفصل الخامس

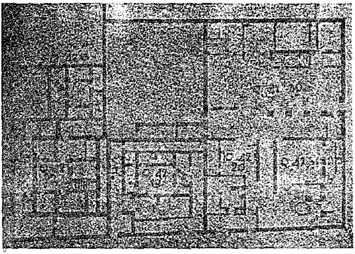
المكتبة في مصر القديمة

إن المطلع على إنجازات الحضارة المصرية القديمة لابد أنه سيدرك للوهلة الأولى أن أمة بهذه الإنجازات لابد أنها كانت تهتم بالعلم والعلماء والباحثين والدارسين، وتهيئ لهم كل أدوات العلم والمعرفة، وعلى رأسها المكتبة التي تضم بين جنباتها كل ما أمكن من فروع العلم والمعرفة في العلوم والآداب والفنون والعمارة والديانة وغيرها.

وفي كتابه عن المكتبات في مصر القديمة ذكر فستزكي Wessetzky في كتابه الذي نشر عام 1977م أن أولن دال Uhlen dell (وهو من أهم المؤرخين لتاريخ المكتبات) قد ذكر: "نحن لا نعرف شيئاً عن المكتبات في مصر القديمة قبل العصر الهيلينستي".

والواقع أن ما ذكره "أولن دال" ليس بدقيق بصدد الحضارة المصرية القديمة لأسباب كثيرة، من بينها:

أولاً: تلك الإنجازات الكبيرة التي حققتها الحضارة المصرية في ميادين مختلفة (كالعلوم، والآداب، والمعارف، والفن، والعمارة، إلخ)- ما كان يمكن أن تحدث دون إلمام شامل بالعلوم والمعارف المسجلة على البردي والأوستراكا (كسرات من الفخار أو الحجر الجيري) وغيرها من مواد الكتابة، والتي تعتبر في زمنها بمثابة الكتب في عصرنا الحديث. وهذه الوثائق وخصوصًا لفائف البردي والأوستراكا كانت تحفظ بعناية في مكان آمن ومجهز بشكل يسمح للدارسين بالاطلاع عليها.



تخطيط دار الحياة في مدينة أخناتون

ثانيًا: إن اللغة المصرية القديمة حفلت بالكثير من المفردات التي تعبر عن المكتبة ودار الوثائق والكتب، وأمناء المكتبة، والوظائف العديدة التي يشغلها العاملون في المكتبة، وكلها تؤكد هذه الحقيقة الواقعة، ألا وهي وجود المكتبات على أرض مصر لترعى كل فروع العلم والمعرفة والإبداع.

ثالثًا: إن المكان الذي كان يضم الكتب بين جنباته كان يعرف باسم "pr-md3t"، وهو الذي يقابل في مصطلحاتنا الحديثة "دار الكتب" أو "المكتبة". والمكتبات في كل مكان وزمان تتطلب تصنيفًا للكتب وعرضًا لها، وتوثيقًا وفريق عمل..إلخ.

هكذا كان الحال بالنسبة للمكتبات في مصر القديمة. وبغض النظر عن حجم مبنى المكتبة والتسهيلات التي تقدمها وأعداد الكتب بها، فإن هذه المنشأة تعامل كمكتبة بكل المفاهيم في الأزمان القديمة والحديثة وفي كل الأماكن.

إن المطلـع علـى المصـادر اليونانيـة سـوف يـرى أن الفلاسـفة اليونـانيين والمفكــرين والعلمـيين والفنــانين كــانوا يحرصــون عنـد زيارتهم لمصر على متابعة إنجازات الحضارة المصرية، ومن ثم كان لابد من أن يتوجهوا إلى المكتبات الكائنة على أرض مصر للاطلاع علـى الوثـائق الـتي وضـعت في المعابـد والقصـور والمؤسسـات الدينيـة والتعليمية.

ولـيس أدل علـى أهميـة الكـتب كـأداة للتعلـيم مـن كـثرة المفـردات الـتي وردت في اللغـة المصـرية للدلالـة علـى "كتـاب، ولفـة بردي، ومخطوطة..إلخ".

المفردات الدالة على معنى "كتاب":

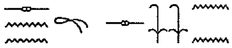
- (cr.t) "عرت"، وتعني: كتابًا من البردي أو الجلد(1).



- (Md3.t) "مچات"، وتعني: كتابًا أو لفة بردي(2).



- (Mdd.t) "مچدت"، وتعني: كتابًا وهي كتابة متأخرة للكلمة السابقة(3).



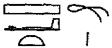
---

(1) Wb.1,208:17-19.
(2) Wb.11,187:5 ff.
(3) Wb.11,192:16.

- (Snn) "سنن"، وتعني: كتابًا[1].



- (Ss, sh) "سش،سغ"، وتعني: كتابة أوكتابًا[2].



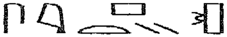
- (Sc.t) "شعت"، وتعني: خطابًا أوكتابًا دينيًّا[3].



- (Sfdw) "شفدو"، وتعني: "بردي" كأدوات كتابة أو ككتاب[4].



- (t3w) "ثاو"، وتعني: كتابًا[5]



- (Sip.ti,[6]cf) "سيبتي، عف"، وتعني: كتابًا عن محتويات معبد[7]



- (Tt) " ثت"، وتعني: كتابًا *(mistress of books)* [8].

---

(1) Wb.III,460:1-5.
(2) Wb.III,476:16-479:9;ef.478:18-19 f.
(3) Wb.IV,418:10-419:19.
(4) Wb.IV,461:11-17.
(5) Wb.V,349:16-18.
(6) Wb.IV,36:5 f.
(7) Wb.IV,36:11.
(8) Cf. Wb.V, 338:7-8.

كما أشير للمكتبات بالمصطلحات التالية:

- بيت الكتاب: (بر- مچات)، "*pr-md3t*".

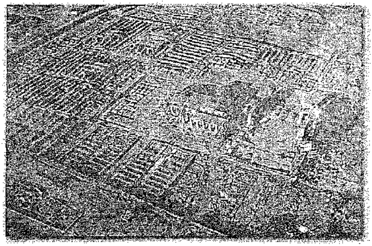
- بيت كتاب الإله: (بر- مچات- نثر)، "*pr-md3t ntr*".

- بيت كتاب القصر: (بر- مچات- بر- عا) "*pr- md3t pr-c3*".

- بيت الكتابة: (بر- سشو)، "*pr ssw*".

- مكان الكتابة: (ست - سشو)، "*st ssw*".

ولقد عرف المصطلح (*pr-md3t*) منذ الأسرة الثالثة (القرن 27 ق.م)، وظل يُذكر في النصوص المصرية حتى منتصف القرن الأول الميلادي. وقد ورد هذا الاصطلاح في معابد ومقابر في سقارة، والجيزة، وأبو صير، ومنف، وتل بسطة، وأسيوط، وتانيس، وأسوان، والبرشا، وقفط، وأبيدوس، ومير، والحواويش، وأبو سمبل، وبوهن، وفي معابد كثيرة مثل "الرامسيوم، وإدفو، وفيلة، ودندرة"، وفي قصور مثل "قصر الملك أمنحوتب الثالث".



معبد ومكتبة الرامسيوم

الآلهة والإلهات المعنية بأمر المكتبات:

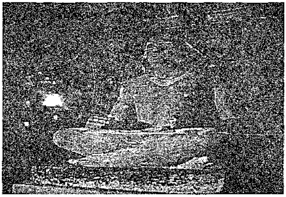
1. "سشات" إلهة الكتابة	2. إيزيس
3. حاتحور	4. ماعت
5. باستت	6. چحوتى
7. حور	8. أوزير
9. آتوم	10. آمون
11. ست	12. خنوم

وكانت المكتبة تُدار من خلال مجموعة من الموظفين، وتختلف درجاتهم الوظيفية حسب طبيعة عملهم.

وهم:

الكاتب: ss (سش):

وهو المسئول عن الكتابة، والنسخ، وقراءة المخطوطات. وفي إطار أدب النصيحة يقول المدرس لتلميذه: "كن كاتبًا ماهرًا في دار الكتب لتصبح أمينًا للكتب".



الكاتب الفرد الأول في أعضاء المكتبة

وكان الكاتب في "دار الكتب" يوصف بأنه "الذي يعرف كل شيء، والذي يعرف كل لفائف البردي في دار الكتب".

مفتش الكتبة: SHD SS (سحج- سش):

يعتبر شاغل هذه الوظيفة شخصية مرموقة، حيث حمل إلى جانب هذا اللقب ألقابًا مهمة، مثل "القاضي" و"حاكم المقاطعة". وكان يوصف بأنه أكثر تعليمًا ومهارة بين الكتبة، وكان يراقب عمل الكتبة، ويهتم بتدريبهم على الكتابة والتسجيل وحفظ المخطوطات.

مفتش دار الكتب: SHD PR- MD3T (سحج بر-مجات):

وهو الذي يشرف على المكتبات، ويراجع التسجيل والحفظ والعمل اليومي للموظفين، وكان يحمل ألقابًا مهمة أخرى.

مفتش أختام دار الكتب: SHD HTM PR-MD3T (سحج ختم بر-مجات):

كان يشرف على ختم لفائف البردي لضمان سلامة ما فيها من معلومات.

كاهن دار الكتب: HM-NTR PR-MD3T (حم- نثر بر- مجات):

وهو الملم بكل الجوانب الدينية والأساطير، وكان يتحمل مسئولية الإشراف على النصوص الدينية.

رئيس المكتبة: HRY-TP M PR-MD3T (حري- تب إم بر- مجات):

أبرز شخصيات المكتبة، فكان يحمل ألقابًا أخرى مهمة، مثل كاهن (*sm*) في معبد التحنيط، والكاتب الملكي، وحامل ختم الملك، ورئيس فريق العمل بالقصر الملكي.

المشرف على الأسرار في دار الكتب: HRY-SST3 M PR MD3T (حري- سشتا إم بر مـجات):

وهو المعني بالأسرار الدينية، الطبية والعلمية في المكتبة.

أمين المكتبة: IRY MD3T (إيري- مـجات):

وهو المسئول عن تصنيف الكتب.

خادم دار الكتب: SDM-CS M PR-MD3T (سـجـم- عش إم بر- مـجات):

وهو المسئول عن خدمات المكتبة.

موقع المكتبة:

كانت المكتبة تقع في المعابد والقصور والمؤسسات التعليمية والدينية. ولعل من أفضل أمثلة مكتبات المعابد مكتبة معبد الرامسيوم للملك رمسيس الثاني، وهي عبارة عن صالة يقوم سقفها على ثمانية أساطين تلي صالة الأعمدة، ويزخر سقفها بمناظر فلكية، وعلى جانبي المدخل نرى تمثيلاً للإلهة "سشات" إلهة الكتابة، والإله "جحوتي"، إلى جانب الملك رمسيس الثاني، يحملون أدوات الكتابة وقد عثر على مناظر مماثلة بحجم أصغر في معابد إدفو وفيله والطود، ويتضح من النصوص المصاحبة أن المعابد كانت هي المأوى الرئيسي للمكتبات.



ديوان الكتبة

ولقد اعتاد ملوك مصر أن يُبدوا الكثير من العناية لمكتبات المعابد ، وعندما يقومون بالزيارة يسجلون مقولة : "قلبي شغوف بكتب الإله في المكتبة".

دور المكتبة

يمكن تحديد دور المكتبة فيما يلي:

1- حفظ الكتب والوثائق.

2- ممارسة أنشطة ثقافية داخل المكتبة وخارجها للوصول إلى المجتمع المحيط بها.

3- تعليم موضوعات دنيوية ودينية لبعض التلاميذ الواعدين من خلال مدرسين متميزين.

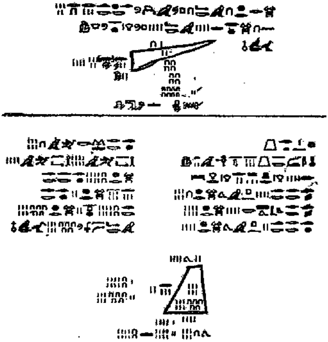
4- مد المعنيين ببعض فروع العلم (كالطب والهندسة) بالجديد في هذا الميدان.

هكذا كانت المكتبة في ذلك الزمن القديم تلعب دورًا شاملاً لم يكن مقصورًا على حفظ الكتب، والسماح للزوار بالاطلاع عليها ، ولكنها مكان للبحث. ونعرف من أحد النصوص أن الملك "نفرحتب" (من الأسرة 13) أراد أن يراجع بعض المعلومات

عن الكتابات القديمة للإله "آتوم" ليعرف أكثر عن تاسوع هليوبوليس، فاستُقبل من قبل مدير المكتبة الذي تحدث في حضرة الملك قائلاً: "مرحبًا بك يا جلالة الملك في المكتبة لتراجع ما تشاء".

العلوم والمعارف التي تضمها المكتبة:

كانت المكتبات المصرية تزخر بالعديد من المخطوطات في علوم الفلك، والطب، والصيدلة، والرياضيات، والتاريخ، والتحنيط، والديانة، والترميم، والجوانب العسكرية. ولقد ورد في الأوديسا (إحدى ملحمتي الشاعر هوميروس) أن مصر تعتبر مركزًا لأفضل الأطباء. ولقد تعلم فلاسفة وعلماء اليونان (مثل سولون، وتاليس، وبيتاجورس، وأفلاطون) تعلموا كثيرًا عن مصر من خلال المكتبات المصرية القديمة في القانون والفلك والهندسة، وكانت هليوبوليس ومنف بمثابة مركزين ثقافيين وتعليميين هامين.



مخطوطة تمارين رياضية

ولقد أشار الأدب المصري في مواضع عدة إلى أهمية الكتب والمكتبات، فهذا حكيم يقول لابنه: "إن كتابًا واحدًا يعتبر أكثر قيمة من بيت أو من مقصورة في الغرب، إنه أثمن من قصر أو نصب تذكاري في معبد". وأشارت النصوص كذلك إلى أن أسرار الإلهة "إيزيس" توجد في دار الكتب.

ولقد بلغ عدد الوثائق التي أشارت إلى المكتبات أكثر من 220 وثيقة تناولت المفردات الدالة عليها، والموقع، والمحتويات، والعاملين، والآلهة والإلهات المعنية بأمر المكتبة. وكانت الإلهة "سشات" إلهة الكتابة توصف بأنها "التي تتصدر المكتبة". وكانت النصوص تشير بين الحين والآخر إلى أن هذه الكتابات أو تلك قد وجدت في مكتبة المعبد، وفي إحدى برديات متحف "تورين" يقول صاحب البردية: "أعيش في دار الكتب التي تحوي الملايين من الكتب".

وتقديرًا للمكتبات وللعاملين فيها كان يسمح لمدير المكتبة بمقابلة الملك والأسرة المالكة وكبار رجال الدولة.

ولأن المصريين كانوا روادًا في مجال الترميم والحفظ، فهناك نص يقول: "إن مكتبة الملك قد تدهورت وبحاجة إلى ترميم".

هكذا كانت المكتبات علامة بارزة على طريق الحضارة المصرية، وكانت حقيقة واضحة قبل ظهور المكتبات اليونانية بكثير، وما كان يمكن للحضارة المصرية أن تحقق هذا الإبداع دون علم ومعرفة، وكانت المكتبات هي المراكز الرئيسية التي يُستقَى منها العلم وتُكتسَب منها المعارف.

الفصل السادس

تَعْرِيف بِالوَثائِقِ البرديَّة العَرَبيَّة

وأَهَمِيتها في دراسةِ التَّاريخ الإسْلامي

انطلاقاً من الشعور بأهمية الوثائق البردية في إلقاء الضوء على جوانب متعددة من الحضارة العربية الإسلامية، ليس في مصر الموطن الأصلي لهذه الوثائق فحسب، بل في التاريخ الإسلامي بشكل عام، فقد حاول الباحث هنا أن يعرِّف بها وبأهميتها، وذلك لشعوره بقلة المشتغلين بهذا الباب من الباحثين العرب حتى كاد أن يقتصر العمل بها على المستشرقين فحسب. لذا وجب إلقاء نظرة، ولو سريعة على أوراق البردي: ماهيتها، وبداية الاهتمام بها، وحجمها، وأماكن العثور عليها، ثم توزعها على المكتبات العالمية، خاصة الأجنبية منها، لندرك مدى أهمية المادة التاريخية التي نجدها في هذه الوثائق، وأهميتها في دراسة التاريخ، والحضارة الإسلامية، ثم أخيراً التطرق إلى الدراسات التي أجريت حولها، أو كانت البردي أساسها، ثم أهم المشتغلين في هذا الميدان، وأعمالهم.

شكل البردي المادة التي استعملت للكتابة في الحضارة المصرية منذ القدم، وقد صنعها المصريون من نبات ينبت أصلاً في أطراف حوض النيل، وهو نبات الحلفا؛ هذا إلى جانب مواد أخرى استخدمت للكتابة كالجلود، والعظم، والفخار – قطع الفخار أو الخزف الصغيرة التي استخدمت للكتابة وهي باللاتينية "أوستراكون". لكن المصريين احتفظوا بتميزهم عن غيرهم باستعمال أوراق البردي. وبقيت هذه المادة المصنوعة من الحلفا محتفظة بأهميتها فترة طويلة من الزمن كمادة أساسية للكتابة والتدوين، سواء على نطاق إدارة الدولة أو الاستعمالات الأخرى في المراسلات، والعلوم في شتى العهود، حتى بعد أن تمكن العرب من التوصل إلى أسرار صناعة الورق من الصينيين في أواخر القرن الثامن

الميلادي/ الثاني الهجري[1]. فقدذكر اليعقوبي أن المعتصم عندما بنى مدينة سامراء، 221هـ (وحمل إليها الناس من كل بلد وأمرهم أن يعمروا عمارة بلدهم. وحمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس فعملوها)[2]، مما يشعر أن البردي ما زال يحتفظ بأهميته، حتى إن الخليفة أمر ببناء مصنع لصناعة القراطيس المصرية. ولا بد أن المقصود هنا هو أوراق البردي، وقد عثر سنة 1911 في موقع مدينة سامراء على ورقتي بردي عربيتين، وعلى خمس أوراق واستراكون، واحدة على يد المنقبين الألمان في أثناء الحفريات الأثرية التي أجريت هناك. وكل هذه الموجودات يحتفظ بها متحف الدولة ببرلين- القسم الإسلامي[3].

وتبقى لأوراق البردي العربية أهميتها الخاصة لتوضيح الصورة في الفترة الإسلامية الأولى – صدر الإسلام- والدولة العباسية حتى ابن طولون، إلى جانب أوراق البردي اليونانية والقبطية العائدة إلى فترة صدر الإسلام، لأنها تكشف معاً - أعني البرديات التي وصلت من الفترة العربية الإسلامية سواء أكانت مكتوبة بالعربية أم اليونانية أم القبطية- عن نواح متعددة للتاريخ، والحضارة الإسلامية، كالنواحي الاقتصادية والإدارية، وعلى نطاق أقل النواحي السياسية والاجتماعية. ولكن المدوّن بالعربية منها عظيم الفائدة بلا شك في مجال دراسة تطور

(1) Karabacek, J. Von, Das arabische Papier, Wien, 1887, P. 33-35.
Oriental Institute. Chicago 1938, P. 22

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ2، دار صادر، بيروت، 1960، ص473.

(3) Grohmann, A. Arabische Papyruskunde, Ho, 1 Abt., Ergänzungs – band 2/1 Brill 1966, P. 63.

الخط واللغة العربية، أو التدوين وفي مجالات الفقه، والحديث والعلوم الأخرى.

وعليه، فإن أوراق البردي بشتى اللغات التي كتبت فيها تكوّن علامة مميزة واضحة في التاريخ الإسلامي يميز تاريخ مصر عن بقية أمصار الدولة الإسلامية، لأن تاريخ مصر خاصة، وبشكل أو بآخر التاريخ الإسلامي في القرنين أو الثلاثة الأولى يمكن أن يكون تاريخاً موثقاً فقط من خلال ما عثر عليه من وثائق البردي المتنوعة، بمعنى أن تاريخ مصر المحلي يعكس بقية الأمصار كالعراق والشام وأنحاء الجزيرة العربية، وهو موثق إلى درجة كبيرة بحيث يمكن دراسة تاريخ مصر أيام الحكم العربي الإسلامي عندما كانت ولاية تابعة للمدينة أو دمشق أو بغداد دراسة قائمة على التوثيق، خاصة في القضايا المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي أوالإداري، ونستطيع الاستفادة من نتائج هذه الدراسة في كثير من الأحيان لتدرج في التنظيمات الاقتصادية أو الإدارية في الدولة العربية الإسلامية. إضافة إلى أن هذه النتائج نستطيع أن نقارنها بالروايات التاريخية في مصادرنا الأولية لنصل إلى مدى دقة هذه المصادر بمدى مطابقتها للنتائج التي نتوصل إليها من الوثائق الرسمية أو البرديات غير الرسمية.

أما الفضل في ذلك فيعود لأرض مصر التي احتفظت بهذه الوثائق المكتوبة طوال هذه السنين على الرغم من أن مثل هذه الوثائق لا بد أنه وجد أيضاً في عواصم الدولة سواء دمشق أو بغداد، وقد عثر فعلاً قرب دمشق، وفي سامراء على دلائل، ولكنها بقيت معدودة على الأصابع، ولا مجال لذكرها أمام

الكنوز التي عثر عليها في مصر. فقد عثر على برديات للألف الثاني والثالث قبل الميلاد. فقد نشر د. أحمد فخري بردية عثر عليها في قرية الحيبة تعود إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد من عهد الأسرة الواحدة والعشرين، وهي تحكي قصة أحد الكهنة الذي ذهب إلى سوريا لإحضار الخشب لتجديد سفينة آمون، وهي محفوظة في متحف الأرميتاج في الاتحاد السوفياتي، وهي بحالة جيدة(1).

وكما يقول أدولف جروهمان، وهو من كبار الذين اشتغلوا بالبرديات، ورأس من عمل على نشر الوثائق البردية العربية فإن هذه الوثائق متشعبة الفائدة فيما يتعلق بالتاريخ والثقافة الإسلامية وليس بالتاريخ الاقتصادي لمصر فحسب، ففائدتها تمتد إلى دائرة علوم اللغة العربية، والتاريخ السياسي، والإداري، والثقافي، بمعناه الواسع للفترة الإسلامية بمصر بشكل عام(2).

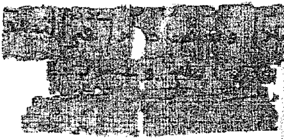
وتبدأ أهمية الوثائق البردية العربية المدونة باللغة العربية، واليونانية من العام التالي لفتح العرب مصر في سنة 22هـ، ولدينا وثيقتان برديتان عربيتان تعودان إلى هذه السنة، إحداهما بحالة سليمة تماماً، والثانية يبدو أنها جزء من وثيقة، وتحمل التاريخ نفسه وهو سنة 22هـ بشكل لا لبس فيه، وتحمل

---

(1) أحمد فخري، دراسات في تاريخ الشرق القديم، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1963، ص91- 99، والنص منشور هناك كاملاً.

(2) Grohmann, Einführung und Chrestomatie Zur arabischen Papyruskunde.
1. Bd. Einführung, Prage 1954, P. 3-4.

الأولى رقم PER F 558 من مجموعة الأرشيدوق رينر في فينا، والثانية تحمل رقم P. Berol. 15002، وقد نشرت الورقة الأولى في عدة أماكن[1]، وبالنسبة إلى الورقة الثانية انظر الشكل المرفق.



وثيقة بردية عربية مؤرخة بسنة ٢٢ هـ من مجموعة متحف الدولة ببرلين.

وتستمر أوراق البردي في الاستعمال الرسمي والعام حتى عهد المماليك أي أنها تشمل فترة كل ما يسمى بالعصور الوسطى بمصر[2].

هذه الوثائق تزودنا بطرق مباشرة، أو غير مباشرة، بمعلومات، إما أنها ذكرت عرضاً في المصادر التاريخية أو الفقهية، أو أنها لم تتعامل معها هذه المصادر أصلاً، لذا فإنها تشكل مصدراً في غاية الأهمية فيما يتعلق بتطور الأوضاع بمصر، وأحياناً في الدولة الإسلامية بشكل عام. هذه المادة الفنية التي نعثر عليها في الوثائق البردية المدونة بالعربية تشمل مختلف فروع

---

(1) Grohmann, From the world of Arabic Papyri, Cairo 1952, P. 113-114.
Aprecu de papyrologie arabe. Kairo 1932. P. 41 Arabische Papyruskunde.
Hussein, Faleh, Das Steuersystem in Ägypten, Frankfurt/M Bern 1982, P. 53.

(2) Grohmann, Einführung, P. 3-4.

العلم، فمثلاً نستطيع من خلالها تتبع تطور الكتابة والخطوط – علم تطور اللغة العربية – طوال ثمانية قرون من قرن إلى قرن بل من عقد إلى عقد أحياناً[1].

أما البرديات التي دونت عليها نصوص قرآنية فتتجلى أهميتها بأنها أو بعضها أقدم من أي مخطوط معروف لدينا حتى الآن بقرن كامل، كالبردية التي تحمل رقم P. Berol. 127 من برديات مجموعة متحف الدولة ببرلين، والبرديات التي تحمل أرقام PERF, 728-730، 946 من برديات الأرشيدوق رينر في فينا. وبالنسبة إلى علم التاريخ فقد عثر على بردية مؤرخة سنة 229هـ/ 843- 844م مكونة من 29 صفحة تشتمل على قصة النبي داود، وتشكل مع قطعة بردية تشتمل على جزء من السيرة النبوية أول مخطوط عربي متكامل على شكل كتاب، وكلتاهما تعود إلى ملكية مجموعة جامعة هايدلبرج، وقام بنشرها الدكتور رئيف جورج خوري[2]؛ كما نشر حديثاً في سنة 1986، صحيفة عبدالله بن لهيعة التي تعود إلى القرن الثالث الهجري، ووضعها عبدالله بن لهيعة، من مشاهير علماء الحديث بمصر، (ت 174ه/

---

(1) انظر مثلاً كتاب:

B. Moritz, Arabic Palaeography, A Collection of Arabic texts from the first Century of the Hiğra till the year 1000, Cairo 1905. Abbott, N. The Rise of the North Arabic Script and Its Kur'anic Development, Chicago 1963.

(2) انظر لذلك المقال الذي كتبه د. خوري:

Jahrbuch der Heidelberger Akademie der Wissenschaften für 1985, Heidelberg 1986 p. 128-129.

وقد نشر قصة النبي داود في فيسبادن 1972، ونشر الجزء الخاص بالسيرة النبوية في فيسبادن 1978م.

790- 791م)، وهي أيضاً من ضمن موجودات جامعة هايدلبرج[1]. لكن أكبر ما عثر عليه من الأعمال في علوم الحديث، وكان على شكل كتاب، ذلك الذي عثر عليه في إدفو سنة 1922 وهو مخطوط كتب على البردي مكون من 106 صفحات شبه كاملة إضافة إلى نتف متناثرة بعنوان "جامع في الحديث" لعبدالله بن وهب بن مسلم الفهري القرشي 125-195هـ/ 743- 810م[*]، ويفترض أن يعود تاريخ نسخ الكتاب إلى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري[2].

وفي مجال التعرف إلى أسلوب كتابة الرسائل الشخصية، ومدى استعمال الفصحى والعامية، يمكن ملاحظة ذلك بوضوح من الرسائل المتبادلة بين أشخاص من العامة والتجار أو من الرسائل الرسمية، وفيما نشره الأستاذ ألبرت ديترش ما يبين ذلك في كتابه Arabische Briefe الذي صدر في هامبورغ سنة 1955، وما كان قد نشره قبل ذلك في سنة 1937 في مجلة:

Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes

---

(1) نشرت في سنة 1986 في فيسبادن من قبل أكاديمية هايدلبرج العلمية بمناسبة العيد الستمائة لجامعة هايدلبرج.

(*) تبدأ سنة 125هـ في 742/11/4م وسنة 195هـ في 810/10/4م.

(2) انظر منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة 1915، ص177-183. "نصوص عربية 3 من نشر المعهد نفسه".

J. David – Weil: Le Djámi˝d, Ibn Wahb, 2 Vols. Kairo 1939-1948.

وفيما يتعلق بالفقه قارن مع ما كتبه P. Koschaker في مؤتمر البرديات العالمي الخاص في أكسفورد، 1938م.

التي تصدر في ليبزج تحت عنوان "برديات عربية من مكتبة مدينة وجامعة هامبورغ". كما نجد أحياناً شعراً مدوناً، أو قصائد شعرية كاملة، ولدينا قطعة نشرها Th. Seif في سنة 1926 تمثل رواية عربية ضائعة حول الإسكندر الكبير(1).

وللعلوم البحتة، كالطب، والصيدلة، وعلم النبات، والكيمياء، والفلك، نصيب في ما عثر عليه من برديات عربية تمدنا بمعلومات وفيرة عنها مثال ما نشره E. Seidel من مجموعة جامعة هايدلبرج في السنوات 1910- 1912 في مجلة Der Islam الأعداد 1- 3.

وحتى تاريخ الكنيسة، وعلم اللاهوت، يجد له نصيباً في أوراق البردي، ويذكر على رأس هذه الموضوعات نصوص كتبت على البردي حول دفاع عن المسيحية أمام الإسلام، وهناك نصوص تخدم غايات السحر، والطلاسم، منها الإسلامية ومنها المسيحية، ويمثلها ما نشره F. Bilabel ضمن منشورات من مجموعات البردي في بادن جـ 5 ص328 وما بعدها، ص416 وما بعدها.

ويقول جروهمان إن دارسي الفن الإسلامي يمكنهم الاستفادة من البرديات، وذلك من خلال دراسة تزيين الكتب أو تجليدها، وشكل الخطوط، ورسم الأشكال(2).

مع كل ما سبق، تبقى أهمية أوراق البردي للمؤرخ هي الأولى من خلال ما تقدمه المادة المدونة عليها، ذلك أن ما يهم

(1) Grohmann, A. Einführung P. 6.

(2) Grohmann, Einführung P. 7.
Arabische Papyruskunde, La Ergänzungsband 2/1 p. 54.

المؤرخ لتاريخ مصر، سواء في الفترة الإسلامية أو ما قبلها، هو أساس الاهتمام بأوراق البردي، لأن هذه المعلومات هي التي تصادفنا في آلاف الوثائق البردية، سواء القبطية منها أو اليونانية، أو العربية، وأحياناً المكتوبة بلغات أخرى كالسريانية، والفهلوية، أو اللغة المصرية القديمة، ولا يقصد بالمؤرخ هنا المهتم بالتاريخ السياسي فحسب، بل المؤرخ لحضارة مصر بعامة في شتى نواحيها، وما يعنينا هنا بالدرجة الأولى هو المهتم بالتاريخ العربي الإسلامي في مصر، وبخاصة الذي ينصب اهتمامه على التاريخ الاقتصادي والإداري للدولة العربية الإسلامية، أو لمصر على شكل الخصوص فهي تشكل مصدراً لا يجارى في هذا المجال[1].

أما كيف بدأ الاهتمام بأوراق البردي، وأكثر ما يعنينا هنا الاهتمام بأوراق البردي سواءٌ التي كتبت باللغة العربية، أو بلغات أخرى كاليونانية، والقبطية في العصور العربية الإسلامية المختلفة، لأن ما نسعى إليه هو الحديث عن الوثائق في ظل الحكم العربي الإسلامي باعتبارها مصدراً لدراسة التاريخ العربي في هذه الفترات المتعاقبة، وبالتالي فإن ما كتب بغير العربية له ما للعربية نفسها من قيمة تاريخية، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية والإدارية، لأن كليهما يلقي الضوء نفسه على التنظيمات العربية الإسلامية في العصر الذي كتبت فيه؛ هذا

---

(1) نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما نشره جروهمان تحت عنوان: "أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، وهي ستة أجزاء أولها صدر سنة 1934 وآخرها سنة 1961، وما نشره هـ. أ. بل في مجلة Der Islam الأعداد 2، 3، 4، 17 تحت عنوان: "Translations of the Greek Aphroditiopapyri in the British Museum".

مع الاحتفاظ للبردية المدونة باللغة العربية بميزة خاصة لشمولية فائدتها بشكل أوسع من الأخريات التي تنحصر فائدتها بالنواحي الاقتصادية، والإدارية فحسب.

إن قصة أوراق البردي العربية تبدأ في سنة 1824 عندما عثر بعض الفلاحين في منطقة أهرام سقارة بالقرب من دير أبو هرميس على قارورة من الفخار، وبداخلها ورقتان من البردي مكتوبتان باللغة العربية، فوجدت طريقها إلى يد أحد جامعي الآثار المصرية القديمة الذي شغل منصب القنصل الفرنسي في مصر قبل ذلك، فأوصلها بدوره إلى أحد الفرنسيين المهتمين بالدراسات العربية، وهو البارون أنطوني سلفستر دي ساسي الذي قام بنشرها في العام التالي في مجلة Journal des Savants الصادرة في باريس في آب 1925، وبذلك يكون de sacy على غير نية منه هو المؤسس لعلم البرديات العربية، ثم قام بعد ذلك بعامين بنشر وثيقتين أخريين قد تكونان مما عثر عليه في منطقة أهرام سقارة، وذلك في المجلد العاشر من مجلة Journal Asiatique سنة 1927.

وتعتبر منطقة مدينة الفيوم المنطقة التي عثر فيها على أكبر قدر من أوراق البردي العربية. وتبدأ العملية، كما حصل سابقاً، عندما عثر بعض الفلاحين في سنة 1877/ 1878 في منطقة الساقة على مجموعة كبيرة من البرديات، في حين ذكر بعض من كتب للمستشرق von Kara- bacek أن المكان الذي عثر فيه عليها إنما هو كوم فارس، وكلاهما من القرى القريبة من الفيوم. واعترافاً بأهمية هذه المجموعة البردية، فقد نوّه أحد

المشاركين في الندوة العالمية الخامسة للبرديات المنعقدة في آكسفورد سنة 1937 بهذا الحدث، واعتبر هذا العام (1877) أنه العام الرئيسي في تاريخ علم البرديات بشكل عام، والبرديات العربية بشكل خاص[1]. ولما عرضت هذه الموجودات للبيع اشترى النصيب الأكبر منها متحف برلين على يد القنصل G. Travers وبعضها ذهب إلى مكتبة بودليان في أكسفورد عبر القنصل البريطاني Rogers. وقد حصل الأستاذ أوتولوت O, Loth على ثلاث برديات سنة 1879، قام بنشر وثيقتين منها في مجلة ZDMG عدد 34 سنة 1880 تحت عنوان "برديتان عربيتان"، وقسم ضئيل من هذه المجموعة حصل عليه متحف اللوفر بباريس، وأغلبه وثائق قبطية.

في هذا الوقت بالذات كان في مدينة فينا مستشرق ارتبط اسمه بأوراق البردي العربية وهو جوزيف فون كراباتيشك Josef von Kara-bacek الذي قام بتكليف أحد تجار السجاد في القاهرة وهو تيودور جراف Th. Graf بتولي شراء ما يمكنه شراؤه من أوراق البردي، فحصل جراف خلال وقت قصير من مجموعة كوم فارس وأهناس على مجموعة كبيرة من البرديات بلغت 10 آلاف قطعة، وأرسلها إلى فينا، وقام المتحف النمساوي بعرضها على الجمهور في آذار 1883 مع الفهرس الذي أعده لها ووصف مقتضب لكراباتيشك نفسه، وحمل الرمز PERF منذ ذلك الوقت ويعني دليل برديات الأرشيدوق رينر.

---

(1) راجـــع:

Grohmann, A. Einführung S. b-12.
Arabische Papyruskunde, La Ergänzungsband 2/1 p. 54.

والأرشيدوق رينر هو الشخصية الثالثة التي يجب أن تذكر دائماً عند الحديث عن برديات فينا، إذ إنه تمكن من شراء ما استطاع شراءه من البرديات التي أصبحت أكبر مجموعة في العالم، وحملت الرمز PER، وهو اختصار Papyruy Erzherzog Rainer، وكلها من البرديات التي عثر عليها في الفيوم ومنطقتها واشتراها ثيودور جراف. وحصلت مجموعة جامعة هايدلبرج على برديات مما عثر عليه في الفيوم، كما جاءت برديات كثيرة منها إلى متحف برلين على يد Rudolf Mosse، وأخيراً كان للمتحف البريطاني ودار الكتب المصرية وشيكاغو نصيب منها[1].

وكان لمنطقة ممفيس دور في تزويد الباحثين عن البردي، إذ عثر في بلدة ميت رهيني المقامة في موقع ممفيس القديمة، وكذلك في دير أبو هرميس قرب أهرام سقارة وبلدة أبو صير الملق على برديات كثيرة. ولكن أهميتها تضاءلت أمام ما عثر عليه في مدينة إهناس الواقعة غرب بني سويف، إذ عثر في سنة 1898-1899 على مجموعات ضخمة من وثائق البردي العربية نتيجة الحفريات التي أجريت لهذه الغاية، إذ عثر فيها على أكبر مجموعة من البرديات العربية التي يعثر عليها في مكان واحد، إضافة إلى البرديات اليونانية والقبطية والعربية- اليونانية (المزدوجة). ولكن هذا الكنز مع الأسف سرعان ما اختفى ثانية وإلى الأبد، وذلك عندما شب حريق هائل في السفينة التي حملته

(1) انظر:

Grohmann, Einführung P. 14-16.

إلى ميناء هامبروج الألماني، فخسر علم البرديات العربية كنزاً لا يعوض، لأن ما شحن على السفينة من وثائق لم ينتبه مرسلوها إلى نسخها أو عمل صور فوتوغرافية عنها. وفيما عدا فينا فإن هايدلبرج تمتلك قطعاً من إهناس(1).

وقد عثر في البهنسا بفضل الحفريات التي أجريت أواخر القرن الماضي والربع الأول من القرن العشرين على كميات كبيرة من الوثائق البردية اليونانية(2)، يعود بعضها إلى الفترة العربية الإسلامية الأولى في القرن السابع والثامن الميلاديين، كما عثر على عدد من البرديات العربية امتلك جزءاً منها المتحف المصري، وذهب الجزء الآخر إلى هامبورغ. ويمتلك متحف الدولة ببرلين إحدى هذه البرديات التي تحمل الرقم P. 15076.

وفي منطقة الأشمونين، عثر على مجموعة كبيرة من أوراق البردي العربية، وجدت طريقها إلى أماكن متعددة، فحصلت مجموعة الأرشيدوق راينر في فينا على أعداد كبيرة منها، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأكاديمية العلمية في فينا، ثم المكتبة الملكية Holfbibliothek في فينا، ومكتبة جون رايلنذز في مانشستر، ومجموعات هايدلبرج، وهامبورج، والقاهرة. أما البرديات العربية التي عثر عليها هنا فقد امتلكها المتحف المصري في القاهرة، ومنها ما وصل إلى ميشيجان. وهناك مواقع كثيرة في

---

(1) Grohmann, Einführung P. 21.

(2) قام بنشرها:

B.P. Grenfel & A. Hunt
Oxyrhynchus papyri 2 Vol. Egypt Exploration – Fund, Greek- Roman branch 3 London 1898-1899.

منطقة الأشمونين عثر فيها على برديات كثيرة، ولذلك فإن الأشمونين يقصد بها الأشمونين وما حولها ومنطقتها كما هو الحال في الفيوم.

ولكن لا بد من ذكر هذه المواقع وهي كورة أشقوة في البرديات العربية أو أفروديتو في البرديات اليونانية، لأنها تمثل الموقع الذي ارتبط اسمه بالبرديات التي عرفت باسم الوالي الذي كتبت في عهده أو التي أصدرها هو نفسه، وهو قرّة بن شريك الذي تولى مصر في سنة 91- 96هـ، وهي البرديات العربية الكاملة أو العربية – اليونانية المزدوجة أو اليونانية الصرفة، وهي تلقي ضوءاً ساطعاً على الإدارة العربية لمصر في نهاية القرن الأول الهجري، إضافة إلى أنها تساعدنا على رسم صورة النظام الضرائبي في هذه الفترة. وقد قام بيكر ونابيه أبوت بنشر الوثائق العربية العائدة إلى فترة قرة بن شريك[1].

وقد عثر في إخميم وإدفو وأسوان على مجموعة من البرديات العربية، وكانت إخميم المصدر الرئيسي لمجموعة هايدلبرج، وحصلت مجموعة هامبورج على برديات أسوان.

هذا كله في الصعيد، أما في شمال مصر فإن الفسطاط، وهي عاصمة الإدارة العربية الإسلامية بعد الفتح

---

(1) انظر:

Becker,C.H Papyris Schott -Reinhardt I, Veröffentlichungen aus der Heidelberger Papyrussammlung III, Heidelberg 1906.
Abbott, N.
The Kurrah Papyri from Aphrodito in the Oriental Institute. The Institute of the University of Chicago, 1938.

العربي لمصر حتى بناء ابن طولون للقطائع، كانت أهم مراكز العثور على البردي، وقد انتقلت غالبية هذه البرديات إلى ملكية مجموعة الأرشيدوق رينر وإلى مجموعة جامعة هايدلبرج. كما عثر في طنطا على برديات عربية، ويحتفظ متحف برلين بوثيقة عربية (من الورق) عثر عليها في القلزم[1].

أما في خارج مصر فإن ما عثر عليه من الوثائق البردية لا يشكل إلا شيئاً ضئيلاً من الموجودات المصرية، فهو لا يتعدى بعض المناطق في الشام وموقعاً واحداً في العراق[2]، فقد عثر في منطقة دمشق على برديتين عربيتين قامت نابيه أبوت بنشرها في مجلة ZDMG سنة 1938، عدد 92 تحت عنوان: .

Arabic Papyri of the Reign of Gafar Al-mutawakkil ala-llah P. 88- 135

أما البرديات الأكثر أهمية فهي الوثائق التي عثر عليها في جنوب فلسطين في منطقة عوجا الحفير الواقعة إلى الجنوب من بئر السبع، إذ عثر في سنة 1936 على 600 ورقة بردية، من بينها برديات عربية- يونانية تعود إلى السنوات 52- 70هـ/ 672- 689م. وهي تلقي ضوءاً على الإدارة الأموية وأوضاع هذه المنطقة العامة خلال القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي. وقد قام بنشرها كريمر[3]. والأهم منها جميعاً كما يرى جروهمان هي البرديات العربية التي عثر عليها بوساطة البدو في منطقة خربة المرد في وادي

---

(1) Grohmann, A. Einführung, P. 25.

(2) وهو ما عثر عليه في موقع سامراء، انظر ص 2 هامش 3.

(3) Kraemer, C. J..
Excavation of Nessana, Vol. 3 Non- Literary papyri, princeton, 1958.

النار شمال شرق مارسابا وجنوب عين الفشخة. وهي تعود إلى الفترة ما بين القرن الأول حتى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري[1]. وفي وادي المربعات جنوب شرق القدس عثر سنة 1952 على 48 ورقة عربية كانت شديدة التلف في غالبيتها العظمى[2].

أما المراكز الرئيسية التي تبعثرت فيها الوثائق البردية، وما نشر منها، فيمكن أن نعرضها بإيجاز يؤدي المقصود، وهو إلقاء نظرة سريعة للتعريف بها، وأهمية ما نشر.

في الحقيقة أن البرديات عموماً، سواء أكانت عربية، أم يونانية، أم قبطية، توزعت في شتى أنحاء الأرض، حتى إن قطع الوثيقة الواحدة قد توجد في عدة أماكن، كما حصل مع مجموعات الفيوم ومنطقتها وأفروديتو (كوم أشقوه) التي نجدها منتشرة في برلين وشيكاغو وهايدلبرج والقاهرة والقسطنطينية ولندن ولينغراد وستراسبوغ.

ففي القاهرة التي يفترض أن تكون متحف كنوز البردي الرئيسي تمتلك دار الكتب المصرية، المكتبة الخديوية سابقاً، ما

(1) قام جروهان بنشرها تحت عنوان:

Arabic papyri from Hirbet al-Mird. Löwen, 1963. Bibliotheque du Muséon Vol. 52.

(2) Grohmann, Arabische papyruskunde, P. 61.

وانظر محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، منشورات دائرة الثقافة والفنون- عمان 1967، ص341- 346، حيث نشرت بعض البرديات مما عثر عليه في خربة المرد والمربعات بشكل أولي، وانظر بشأن البردي الذي عثر عليه ص35، إذ يتحدث عن خمسة صناديق تحتوي كلها على قطع من البردي.

يزيد على 2000 ورقة بردية عربية، إضافة إلى بعض الوثائق المكتوبة على الورق والجلد والاستراكون والعظم والخشب، جاءت كلها عن طريق البيع أو الإهداء أو الحفريات الأثرية، وأهمها رسائل قرّة بن شريك. وكان أول من عمل على نشر بعض موجوداتها، أو الاستفادة منها بشكل جاد، هو مدير الدار في أوائل هذا القرن (1896- 1911) B. Moritz عندما أصدر كتابه السابق الذكر ... Arabic Palaeography ومقالته في الموسوعة الإسلامية (بالألمانية) "Arabische Schrift"، ثم ما قام به كراباتشيك على سبيل المثال مقالة في WZKM XX 1906 وبيكر في ZA, XX 11 1908 وفي Der Islam عدد 2 سنة 1911، ولكن مع كل ما سبق يبقى ما قام به أدولف جروهمان العمل الأساسي فيما نشر من برديات عربية مما تملكه دار الكتب المصرية، إذ نشر مجموعة كبيرة منها في ستة مجلدات صدرت في السنوات 1934، 1936، 1938، 1952، 1955، 1961 على التوالي، نشر فيها 444 وثيقة بردية في مجال التاريخ الاقتصادي والإداري ومواضيع مختلفة لفترة الحكم العربية الإسلامية لمصر. وجدير بالذكر أن جروهمان ذكر بعد ذلك أن الأجزاء التي وضعها في الأصل هي عشرة مجلدات، وبين في مقالته Arabische Papyruskunde أن الجزء السابع كان تحت الطبع عند كتابته هذه المقالة[1]، لكن هذا الجزء لم ير النور. وذكر في المقالة نفسها أن الأجزاء الثامن والتاسع والعاشر توصل البرديات التي أراد نشرها إلى 793 بردية، ولكن مصير هذه

(1) Grohmann, A. Arabische Papyruskunde, P. 66, 1966.

الأجزاء الأربعة لا يزال غامضاً، ولم تر النور حتى الآن على الرغم من أن مسودتها قد سلّمت إلى المدير العام لدار الكتب المصرية[1].

وهناك الكثير مما فعله جروهمان، ولكننا فضلنا استرعاء الانتباه إلى إشارات محددة لتكون مثالاً لما ينشر من المجموعات البردية المختلفة.

وفي شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية أهم المجموعات الموجودة في القارة الأمريكية[2] خاصة في معهد الاستشراق التابع لجامعتها، وهي تتكون من برديات وورق ورق، وأهم ما نشر منها ما قامت بنشره الأستاذة Nabia Abbott، مثل برديات قرة بن شريك في معهد الاستشراق بشيكاغو 1938، وبردية عربية من حكم جعفر المتوكل على الله في مجلة ZDMG (1938) عدد 92 (88- 1935)، وعقود زواج عربية للقبط في مجلة ZDMG (1941) عدد 95 (59- 81)، ثم الكتاب الذي جعلته لنشر أوراق البردي العربية ودراستها[3].

---

(1) وإن الباحث ليرجو أن يلفت الانتباه إلى هذه القضية وبخاصة أنّ معهداً خاصاً للدراسات البردية تابعاً لجامعة عين شمس موجود لرعاية هذه الوثائق وتسهيل الاستفادة منها في مدينة القاهرة.

(2) هناك أيضاً مجموعة برديات في جامعة ميتشجان، مجموعتها العربية تشمل 88 بردية عربية، وكذلك في متحف جامعة بنسلفانيا (حوالي 200 قطعة)، وعلى نطاق أقل هناك بعض البرديات العربية في جامعة برنستون ومتحف المتروبولتان في نيويورك، انظر.

Grohmann, Arabische Papyruskunde P. 69-70.

(3) Studies in Arabic literary papyri, Historical Texts 1957.=

وتأتي بعض المجموعات البردية الموجودة في أوروبا على رأس المجموعات البردية العالمية، إذ يمتلك كثير من الجامعات والمكتبات في أوروبا مثل هذه المجموعات[1]، ولكن أهمها تلك الموجودة في ألمانيا والنمسا والمملكة المتحدة، ولذا فإننا سنقصر حديثنا هنا على المجموعات الموجودة في هذه المناطق الثلاث:

ففي ألمانيا يذكر أولاً متحف الدولة ببرلين:

وهو يمتلك جزءاً من مجموعة برديات الفيوم مما عثر عليه في 1877، وبالتالي فإن هذه المجموعة من أقدم المجموعات البردية إضافة إلى برديات البهنسا، وقد أحضرت إليه عن طريق G. Travers وعلى يد بعض القناصل من أمثال ي، ت، روجرز، وشميدت E. TH. Rogers, Schmidt وبعض العلماء مثل هـ.

Qur'anic Commentary and Tradition 1967, Language and literature 1972

الذي صدر في شيكاغو ضمن سلسلة نشرات المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو رقم (75-77).

(1) ففي فرنسا مثلاً مجموعة متحف اللوفر بباريس 306 برديات، وكذلك المكتبة الوطنية بباريس تمتلك 22 بردية عربية. ولكن المجموعة الكبرى في فرنسا هي الموجودة في مكتبة جامعة ستراسبورغ التي تمتلك 23 بردية عربية- بيزنطية، 11 بردية قبطية- عربية، 680 بردية عربية، وفي الجمعية العلمية الستراسبورغية 23 بردية عربية.

Grohmann, Arabische papyruskunde, p. 96. Enführung, 48-49.

وفي إيطاليا (فلورنسا وماي لايد) وكذلك في النرويج (أوسلو) وفي بولندا (وارسو، برسلاو) وفي سويسرا (أرارو، بازل، جنيف) وفي تشيكوسلوفاكيا (براغ) وتركيا (القسطنطينية) وفي الاتحاد السوفييتي (لينغراد وموسكو) مجموعات بردية أهمها الموجود في براغ ونشر منها جروهمان في الأعداد 10، 11، 12، 14من مجلة Ar. Orientalni 96 وثيقة.

Grohmann, Arabische papyruskunde, p. 80, 86-90. Enführung, 53, 59-62.

بـروجس H. Brugsch و ف. بـوك F. Bock ومـوزه Mosse، حتـى بلـغ مـا جمعـوه مـن البرديـات العربيـة الخاصـة حـوالي 600 بردية مـن أصـل 1300، ثـم تتـابع تزويـد المتحـف بالبرديـات مـن الفيوم وأهنـاس. وكـان للقنصـل راينهـاردت Reinhardt فضـل في إثـراء المجموعـة، وهـو الـذي سـيكون لـه الفضـل في تأسـيس مجموعـة جامعـة هايـدلبرج كمـا سـنرى، لكـن البرديـات في هـذا المتحـف ارتبطـت باسـم W. Schubart عنـدما تمكـن مـن شـراء 127 ورقة بردية عربية أصلها من الفيـوم وأهنـاس والأشمـونين(1)، ثم زود ك. هـ بيكـر C. H. Becker مجموعـة متحـف الدولـة سنـة 1928 بسـبع وعشـرين قطعـة جديـدة، فوصـل عـدد البرديـات في متحف الدولة إلى 729 ورقة بـردي عربية، إضـافة إلى بعـض قطـع الاوستراكـون، والجلد(2).

وأهـم مـا نشـر مـن هـذه المجموعـة مـا قـام بـه Ludwig Abel تحـت عنـوان Arabische Urkunden(3)، ثـم مـا نشـره Abel في الكتـــاب الخـــاص بـــالمتحف Handbuch der Koniglichen mussen في سنة 1899(4). وإلى هـذه المجموعـة يعـود مـا نشـره الأسـتاذ O. Loth في سـنة 1880، ومـا نشـره Grohmann في مجلة Der Islam العدد 22، 1935(5).

---

(1) Grohmann, Arabische papyruskunde, p. 72.

(2) Grohmann, Arabische papyruskunde, p. 72.

(3) L. A bel. Agyptische Urkunden aus der könglichen nussen zu Berlin, 1. Bt., Heft. 1. Berlin 1896.

(4) Aus den papyus der könghichen mussen (Berlin 1899) p. 284-290.

(5) O. Loth zwei arabische papyri, ZDMG, 34, 1880.

ثم مجموعة هامبورغ:

فقد بدأت مكتبة مدينة هامبورغ في امتلاك البرديات اليونانية 1907، وبفضل ك. هـ. بيكر امتلكت البرديات العربية في سنة 1910- 1912، وهي مما عثر عليه في الفيوم والبهنسا والأشمونين وإدفو وأسوان، والذي عمل على نشرها بالدرجة الأساسية هو ألبرت ديتريش A. Dietrich، خاصة كتابه الذي أصدره سنة 1955 في هامبورغ وحمل عنوان Arabische Briefe aus der papyrussammlung der Hamburger Staats -und Universitäts- Bibliothek[1].

ثم مجموعة هايدلبرج:

وقد نشأت المجموعة وترعرعت في مكتبة جامعة هايدلبرج، ثم أُنشئ في الجامعة معهد خاص للبرديات تحت اسم "Institut für Papyrologie" في سنة 1976[2]، داخل مكتبة الجامعة، ثم خصص للمعهد مكان مستقل عن المكتبة في أوائل الثمانينات، ورئيس المعهد الحالي هو الأستاذ D. Hagedorn مختص بالبرديات اليونانية.

---

(1) وكذلك نشر من هذه المجموعة مقالاً في سنة 1937 بعنوان:
Arabische papyri aus der Hamburger staats-und universitäts Bibliothek, Leipzing 1937 (Abhandlungen für die Kunde des morgenlands XXII. 3).

(2) D.Hagedorn, Papyrologie in Heidelberg, P. 120-121 (Jahrbuch der H. Akad. Der wissenschaften fur 1985). Heidelberg 1986.

أما بداية إنشاء هذه المجموعة فتعود إلى الدكتور K. Reinhardt الذي كان يعمل قنصلاً عاماً إمبراطورياً لألمانيا في القاهرة، وذلك عندما قام بشراء بعض أوراق البردي العربية من أحد بائعي العاديات في القاهرة سنة 1897. وكانت مما عثر عليه في الفيوم وأخميم والأشمونين. وبعد وفاته تم عرض مجموعة من البرديات تزيد على الألف قطعة للبيع، فقام F. Schott بشرائها، وإرسالها هدية إلى مكتبة جامعة هيدلبرج، ومن هنا جاء اسم مجموعة أوراق البردي هذه من برديات هايدلبرج Papyri Schott -Reinhardt ويرمز لها PSR ذكرى واعترافاً بفضل الشخصين معاً جامعها ومبتاعها.

وفي سنة 1913/ 1914 قامت جامعة هايدلبرج بإجراء حفريات بمصر، فحصلت على زيادة في بردياتها، ثم توقف نمو المجموعة بعد ذلك، اللهم إلا ما ابتاعه جروهمان 1934 مما عثر عليه في الفسطاط، وهو 59 بردية عربية. واستمر الانقطاع في تنمية المجموعة حتى جاءت سنة 1982- 1983 عندما حصل معهد البرديات في هايدلبرج على دفعتين من الوثائق البردية عن طريق الشراء، كان عددها 75 وثيقة باليونانية، وتعود إلى الفترة اليونانية والرومانية. ويبلغ عدد البرديات في المعهد الآن حوالي 4500 منها 1200 بردية عربية.

وأول من عمل على نشر وثائق من مجموعة هايدلبرج هو ك. هـ. بيكر C. H. Becker عندما أصدر كتابه الذي نشر فيه 24 وثيقة

بردية من برديات قرة بن شريك[1]، وكذلك ما قام به E. Seidel من نشر برديات طبية[2].

وأهم ما نشر من هذه المجموعة تلك الأعمال التي قام بنشرها ودراستها الأستاذ رئيف جورج خوري الذي يعمل الآن أستاذاً في جامعة هايدلبرج، فقد نشر بردية مؤرخة في ذي القعدة من سنة 844/299 بعنوان "حديث داود" مع قطعة بردية أخرى بعنوان "مغازي رسول الله"، وكلاهما منسوب إلى وهب بن منبه[3]، ثم قام مؤخراً بنشر صحيفة عبدالله بن لهيعة 97-174/ 715- 790[4]. وسيقوم الباحث نفسه بنشر بعض برديات هايدلبرج قريباً إن شاء الله[5].

---

(1) Becker. Papyr Schott – Reinhardt I, veröffenthchungen aus Hiedelberger papyrussummlung III, Heidelberg 1906.

وبعض هذه الوثائق من برديات ستراسبورج إضافة إلى ما نشر في مجلة الإسلام، المجلد الثاني 1911م.

(2) Medizinisches aus den Heidelberger papyri schott-Reinhardt, Der Islam I, 2, 3, 1910, 1912.

(3) نشرهما مع دراسة شاملة لحياة وهب بن منبه تحت عنوان:

Wahb B. Munabbih Teil, Der Heidelberger papyrus Heid Arab 23 Leben und werk des Dichters. Wiesbaden 1972.

(4) Khoury, R. G. Abd Allah Ibn Lahi a (97-174/715-790....................1986.

(5) هناك أيضاً بعض المكتبات التي تضم مجموعات أقل أهمية في مدن ألمانية أخرى مثل:

جيسن وليبزج وميونخ ومونستر، انظر:

Grohmann, Arabische papyruskunde P. 74-76.

وفي المملكة المتحدة مجموعات بردية في كمبردج وأكسفورد، لكن الأكثر أهمية تلك المجموعات الموجودة في كل من لندن ومانشستر.

ففي لندن يملك المتحف البريطاني مجموعة كبيرة من الوثائق البردية التي عثر عليها في كل من سقارة والفيوم والأشمونين، أقدمها وثيقة عربية تعود إلى سنة 133هـ، وقام بيكر بنشر بعض الوثائق العربية في سنة 1907، 1911 على التوالي من البرديات التي عثر عليها في أفروديتو[1]. إلا أن شهرة هذه المجموعة جاءت من البرديات اليونانية التي تعود إلى فترة والي مصر قرة بن شريك 90- 96/ 709- 714، وقام هـ. أ. بل Bell بنشر مجموعة كبيرة منها في الكتاب الضخم الذي يرمز له عادة P. Lond IV.[2].

أما المجموعة الموجودة في مانشستر فهي التي تمتلكها مكتبة جون رايلندز. وتضم مجموعة كبيرة من البرديات العربية التي يعود أصلها إلى الأشمونين منذ سنة 1899، ثم تمكنت المكتبة من إثراء المجموعة في سنة 1901 عندما قامت بشراء بضعة آلاف بردية جديدة. وأشهر من عمل على نشر هذه الوثائق

---

(1) في مجلة ZA عدد 20 سنة 1907، ص 72- 94. وفي مجلة الإسلام عدد 2 سنة 1911م.

(2)Greek papyri in the British museum. IV The Aphrodito papyri with an appendix of coptic ed. By crum. London 1899-1900.

كما قام بنشر وثائق عديدة منها مترجمة إلى الإنجليزية في مجلة الإسلام الأعداد 2، 3، 4، 17، 1911، 1912، 1913، 1917م.

هو المستشرق D.S. Margo lioth الذي نشر فهرساً وصف فيه 430 وثيقة عربية مع نشرها أحياناً إضافة إلى ترجمة بالإنكليزية[1]، ثم ما نشره Crum من البرديات القبطية.

وأخيراً يود الباحث لفت الانتباه إلى المجموعة البردية التي تمتلكها النمسا في عاصمتها مدينة فينا[2]. وفيما يتعلق بالوثائق البردية فإن مدينة فينا هي عاصمة البردي في العالم دون منازع، إذ تصل مجموعتها إلى 50 ألف قطعة من الوثائق البردية: وتحمل مجموعتها اسم papyrus Erzherzog Rainer ورمزها المشهور هو PER، ويعود الفضل في إنشاء هذه المجموعة إلى ثلاث شخصيات لا بد من ذكرها بهذه المناسبة وهي: Th. Graf تيودور جراف، وJosef Von Karabacek يوسف فون كراباتيشك، و Erzherzog Rainer الأرشيدوق راينر. فالأول هو الذي تولى جمعها وشراءها. ثم إرسالها إلى فينا، والثاني هو الذي تعهدها، وعمل على حفظها، وعرّف الناس بها. أما الثالث فهو الذي موّل عملية الشراء دائماً، ثم وهبها للمكتبة الوطنية في فينا. فكانت مجموعة البردي التي امتلكها هي أم المجموعة في فينا، وبلغت أول الأمر خمسة آلاف بردية، منها 3 آلاف بردية عربية.

---

(1) Gatalogue of Arabic papyri in the John Rylands library, manchester 1933.

(2) بالإضافة إلى فينا هناك ما يمتلكه جروهمان نفسه في مدينة إنسبروك، جمعها ما بين 1925- 1938، وهي 121 قطعة، أغلبها من الفسطاط والأشمونين انظر:

Grohmann, Arabische P. 86. Einführung p. 59.

وأورد جروهمان في حديثه عن المجموعات البردية في فينا إحصاءً للوثائق العربية فيها، البردية وسواها، فكانت البرديات حوالي ثمانية آلاف، والورق 28094 ورقة، وقطعة واحدة من العظم، و10 استراكون، و33 قطعة قماش(145).

وكان الأستاذ كراباتشيك أول من عمل على نشر هذه البرديات، وبدأ بداية مبكرة فصدرت باكورة أعماله في سنة 1882 في فينا بعنوان Das papyrus Fund von el-Fajūm، ثم قام بإنجاز دليل لبرديات الأرشيدوق رينر في سنة 1892، 1894(1)، كما كان لجروهمان دور كبير في نشر ما يزيد عن الأربعمائة وثيقة عربية من هذه المجموعة، نشرها على مدى ما يربو على الأربعين عاماً(2).

وفي نهاية هذا البحث أود أن أشير إلى الوثائق القبطية من خلال ذكر أهم ما نشر منها استكمالاً للفائدة، لأن ما بقي منها يشير إلى أنها استخدمت في التدوين الرسمي. وتلقي الضوء نفسه الذي تلقيه البرديات اليونانية في الفترة الإسلامية وبخاصة القرنين السابع والثامن الميلاديين، وذلك لأن الأمثلة التي عرضناها خلال البحث اقتصرت غالباً على البرديات العربية، وأحياناً اليونانية. وأول ما يذكر هنا ما قام به E. Crum الذي نشر دليلاً للمخطوطات القبطية في المتحف

---

(145) Grohmann, Einführung, p. 56, Arabische papyruskunde, P. 83.

(1) Papyrus Erzherzog Rainer, Fuhrer durch die Ausstellung, Arabische Abteilung 1. Teil wien 1892.
Arabische Urkunden wien 1894.

(2) Grohmann, Arabische papyruskunde, p. 84-85. Einführung, 59.

البريطاني[1] سنة 1905، ثم أتبعه بدليل آخر للموجودات القبطية في مكتبة جون رايلندز في مانشستر[2]. ثم الكتاب الذي كان قد أصدرهحول الاستراكون القبطية قبل ذلك في سنة 1902[3]، والكتاب الذي أصدره Paul Kahle في لندن 1954 المكون من جزأين حول النصوص القبطية من دير البلايزة[4]، وأخيراً نذكر Walter Till الذي أصدر دراسات مهمة في مجال الوثائق القبطية[5] على الرغم من وفاته المبكرة.

---

(1) Gatalogue of the coptic manuscripts in the B. museum. London 1905.

(2) Gatalogue of the coptic manuscripts in the John Rylands library at manchester. London 1909.

(3) Coptic Ostraca "from the collections at the Egypt Exploration-Fund. London 1902".

(4) Coptic texts from Deir el-Balaizah in Upper Egypt.

(5) Till, Die Koptische Rechtsurkunden aus Theben Die Koptische Steuerquittungsostraka der wiener papyrussammlung Orientalia. 16. 1947.

الفصل السابع

حفظ البرديات في مصر القديمة

المصـــري القـــديم هـــو الأدب الـــذي كتـــب باللغـــات المصـرية فيمصـر القديمة منذ عصـر الفراعنة حتى سقوط مصـر في قبضـةالإمبراطورية الرومانيـة، وهـو يمثـل مـع الأدب السـومري أقـدم الآداب المعروفة.

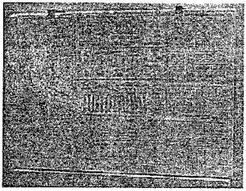
ظهـرت الكتابـة فـى العصـر القديمـة سـواءً الهيروغليفيـة أو الهيراطيقية لأول مرة في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد في مرحلة متأخرة منعصر ما قبل الأسرات. وفي عصر الدولة القديمة، شملت الأعمـال الأدبيـة النصـوص الجنائزيـة والرسـائل والتراتيـل الدينيـة والقصائد والسير الذاتية التي خلّد بها الشخصيات البارزة أعمالهم. وحتى عصـر الدولـة الوسـطى، لم يكـن الأدب السـردي المصـري قـد ظهـر. بحسب وصف عالم المصريات ريتشارد باركنسون، كانت هناك "ثورة فكرية"، نتيجة ظهور نتاج أدبي لطبقة الكتبة، وهم النخبة العاملة في الحكومة والديوان الملكي للفرعون الحاكم. ومع ذلك، هنـاك اختلاف في الآراء بين العلمـاء المعاصـرين حـول اقتصـار الأدب المصـري القـديم علـى إنتـاج النخبـة الاجتماعيـة والسياسـية في البلاط الملكي.

أصـبحت اللغـة المسـتخدمة في عصـر الدولـة الوسـطى لغـة مهجورة خلال عصر الدولة الحديثة، عندما انتشرت الكتابة باللغة العاميـة، إلا أنهـا ظلـت تسـتخدم لتـدوين التعـاليم الدينيـة القديمـة، وظلت تستخدم حتى عصـر مصـر البطلمية .شملت تلك الكتابات الحكايات الشعبية مثل قصة سنوحي والفلاح الفصيح، بالإضافة إلى العديد من النصوص الهامة مثل وصايا أمنمحات .وبحلول عصر الدولة الحديثة، زينت الكتابات التذكارية التي تخلد أعمال الشخصيات الهامة جدران المعابد المقدسة والقبور، والتي ازدهرت كحالة فريدة من الأدب.

دوّن الأدب المصري القديم على طائفة واسعة من المواد، شملت مخطوطات البردي وألواح الحجر الجيري والمواد السيراميكية والألواح الخشبية والصروح الحجرية الضخمة والتوابيت. لم يصل إلى أيدينا من تلك النصوص إلا النذر اليسير، يرجع ذلك إلى البيئة الرطبة التي يسببها الفيضان السنوي للنيل، والتي لا تصلح لحفظ النقوش والبرديات، بينما حفظت البيئة الصحراوية الجافة القطع المدفونة فيها.

المخطوطات واللغات

الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية

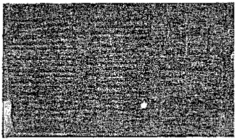


جدارية من عصر الدولة القديمة في مقبرة الأميرة نفرتيابيت (2590- 2565 ق.م) في الجيزة، بها كتابات هيروغليفية منحوتة ورسومات ملونة على الحجر الجير.

اعتمد المصرى القديم على اللغة الهيروغليفية ووليدتها الهيراطيقية كلغة كتابة منذ عصر الأسر المصرية المبكرة في أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد استخدمت الكتابة الهيروغليفية المصرية مجموعة من الصور الفنية الصغيرة لأشياء من الطبيعة.تمثل كل صورة منطوقًا صوتيًا معينًا ، وعند دمج

بعضها، ينتج كلمة ما. فعلى سبيل المثال فيلوحة نارمر التي ترجع إلى حوالي عام 3200 ق.م خلال المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل الأسرات، عند الجمع بين صورة القرموط والإزميل ينتج اسم الملك نارمر.

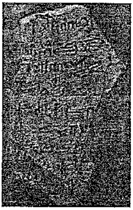
كان المصريون يعتبرون لغتهم الهيروغليفية "كلام الله"، لذا قصروا استخدامها على الاستخدامات الدينية والنصوص الجنائزية. منذ عصر الأسرة الثانية عشرة، اعتقد المصريون أن أي تشويه أو حذف لبعض الأحرف الهيروغليفية من النصوص الجنائزية المنقوشة في قبر المتوفى، إما أن يكون ذا عواقب محمودة أو سيئة على المتوفى، الذي تعتمد روحه على تلك النصوص لكي تهتدي إلى جسده في الحياة الآخرة



مخطوطة مكتوبة بالهيراطيقية ترجع لعام 1110 ق.م، محفوظة في المتحف البريطاني.

تعد الهيراطيقية شكلاً مبسطًا للكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة، وتمامًا كالهيروغليفية، استخدمت الهيراطيقية في كتابة النصوص الدينية. وبحلول الألفية الأولى قبل الميلاد، أصبحت الهيراطيقية اللغة التي يغلب استخدامها في كتابة النصوص الجنائزية وعلى جدران المعابد. ونظرًا لحاجة الكتابة الهيروغليفية للدقة والعناية عند كتابتها، على النقيض من الكتابة الهيراطيقية الأسهل والأسرع عند كتابتها، لذا استخدمت الهيراطيقية لحفظ

السجلات.استخدمت الهيراطيقية لتكون بمثابة نصوص مختصرة للكتابات الغير رسمية والرسائل الخاصة والمستندات القانونية والقصائد وسجلات الضرائب والنصوص الطبية والأمور الحسابية والوسائل التعليمية .كما كان للهيراطيقية نمطين مختلفين للكتابة ، أحدهما كان مخصصًا للسجلات الحكومية والمخطوطات الأدبية ، والآخر للخطابات بين العامة.



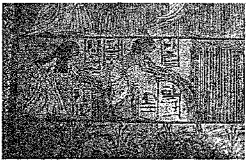
قطعة بها نقوش هيراطيقية ، تعود لعصرالأسرة المصرية الحادية والعشرون.

وفي منتصف الألف الأولى قبل الميلاد ، في الوقت الذي كانت الهيروغليفية والهيراطيقية لا تزال تستخدم للكتابات الملكية والنقوش التذكارية والنصوص الدينية والجنائزية ، ظهرت أبجدية جديدة أكثر سهولة في الاستخدام وهي الديموطيقية. ثم ظهرت الأبجدية القبطية كآخر تطور للأبجديات المصرية القديمة ، والتي كانت بمثابة نسخة منقحة من الأبجدية اليونانية ،وفي القرن الرابع الميلادي ، أصبحت القبطية هي اللغة المستخدمة بعدما أصبحت المسيحية الدين الرسمي في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية؛ وهُجرت الهيروغليفية على اعتبار أنها أحد صور التقاليد الوثنية ، وبالتالي فهي غير صالحة لكتابة الكتاب المقدس.

استخدمت العديد من المواد لتدوين الأدب المصري القديم، فبالإضافة إلى الإزميل اللازم لعمل النقوش الحجرية، كانت أقلام القصب الأداة الرئيسية للكتابة في مصر القديمة، كما استخدمت أصباغ سوداء من الكربون وحمراء من المغرة كأحبار للكتابة على لفائف من ورق البردي والسيراميك والحجر الجيري. تقد أن لفائف البردي كانت غالية نسبيًا، نظرًا لأن محتواها كان يمكن إزالته، إعادة استخدامها .تتميز لفائف البردي بأنها يمكن تقسيمها إلى قطع صغيرة لاستخدامها في كتابة الرسائل القصيرة، وهو ما أدي إلى ندرة موسمية للفائف البردي في فترات العام التي لا يصلح فيها استخدام نبات القصب،وهو ما يفسر استخدام رقائق الحجر الجيري لكتابة الرسائل القصيرة، كما استخدم الخشب والعاج والجص.

عندما أصبحت مصر ولاية رومانية، استعيض عن قلم القصب المصري بقلم روماني أقصر وأكثر سمكًا ذي رأس مدبب، كما استبدلت الأحبار المصرية بالأحبار اليونانية المصنوعة من الرصاص .كان للاعتماد على أدوات الكتابة اليونانية والرومانية تأثير على الخط المصري، فأصبحت أكثر دقةً ووضوحًا.

حفظ المواد المكتوبة



نقش لاثنين من الفلاحين المصريين يرتدونالكتان، ويجمعون نباتات البردي من الحقل، في (دير المدينة) ترجع لعصر الأسرة المصرية التاسعة عشر

وفّرت المقابر المصرية المبنية تحت الأرض في الصحراء، أفضل البيئات لحفظ وثائق البردي، فمثلاً، هناك العديد من كتب الموتى المحفوظة جيدًا في تلك المقابر لترشد الروح إلى جسد المتوفي في الحياة الآخرة، كما جرت العادة خلال نهاية عصر الدولة الوسطى والنصف الأول من عصر الدولة الحديثة على حفظ البرديات غير الدينية في غرف الدفن، لذا، فأن أغلب البرديات الأدبية الباقية تعود لتلك الفترة.

تعرضت الكثير من الكتابات على الأحجار أيضًا للفقد، لأنها كانت كثيرًا ما يعاد استخدامها كمواد بناء، كما أن المواد السيراميكية تتطلب بيئة جافة لضمان الحفاظ على الأحبار على أسطحها. يؤكد "جون و. تيت" أن "المواد المصرية المكتوبة التي ما زالت باقية متفاوتة للغاية، بحسب الزمان والمكان. "فعلى سبيل المثال، هناك المواد المكتوبة في كل العصور القديمة في منطقة دلتا النيل، في حين هي موجودة بوفرة غربمدينة طيبة .كما لاحظ تيت أنه على الرغم من وجود عدة نسخ من بعض البرديات، إلا أن البعض الآخر لم يبق منه سوى نسخة واحدة، مثل قصة الملاح التائه تنسب إلى عصر الدولة الوسطى، على الرغم من اكتشاف تدوين القصة نفسها على بعض القطع الفخارية من عصر الدولة الحديثة. العديد من الأعمال الأدبية الأخرى لم يبق منها سوى بعض الأجزاء من نسختها الأصلية المفقودة.



اثنان من الأعمدة الحجرية منقوش عليها كتابة هيروغليفية في معبد الرامسيوم بنيت في عهد الملك رمسيس الثاني.

على الرغم من ظهور الكتابة في أواخر الألفية الرابعة قبل الميلاد، إلا أنها كانت تستخدم فقط لتدوين الأسماء والألقاب؛ وظلت كذلك حتى حوالي عام 2600 ق.م، في بداية عصر الدولة القديمة. من خلال هذا التطور، بدأت أولى مراحل تطور اللغات المصرية وهي اللغة المصرية القديمة. ظلت اللغة المصرية القديمة هي اللغة المنطوقة حتى حوالي عام 2100 ق.م، حيث تطورت إلى اللغة المصرية الوسطى مع بداية عصر الدولة الوسطى بالرغم من الارتباط الوثيق بين اللغة المصرية الوسطى باللغة القديمة، إلا أن اللغة المصرية الحديثة كان مختلفة بشكل كبير من حيث القواعد اللغوية .يعتقد أن اللغة الحديثة ظهرت كلغة بين العوام في عام 1600 ق.م تقريبًا، لكنها لم تستخدم كلغة كتابة إلا عام 1300 ق.م خلال حقبة العمارنة في الدولة الحديثة. بحلول القرن السابع قبل الميلاد، تطورت اللغة المصرية الحديثة إلىالديموطيقية، وظلت كلغة منطوقة حتى القرن الخامس الميلادي. تدريجيًا، بدأت اللغة القبطية تحل محل الديموطيقية مع بداية القرن الأول الميلادي.

استخدمت الهيراطيقية جنبًا إلى جنب مع الهيروغليفية كلغة كتابة في عصري الدولة القديمة والوسطى، لتصبح بعد ذلك هي لغة الكتابة السائدة في عصر الدولة الحديثة في عصر الدولة الحديثة والفترة المتبقية من تاريخ مصر القديمة، أصبحت اللغة المصرية الوسطى هي اللغة الهيروغليفية الكلاسيكية التي كانت عادة ما تكون مخصصة للقراءة والكتابة، كما ظلت اللغة الوسطى اللغة المنطوقة المقدسة عند ذكر الحكايات التاريخية والتراتيل الدينية والطقوس الجنائزية. ومع ذلك، فقد أعيد كتابة الأدب المكتوب باللغة المصرية الوسطى بالهيراطيقية خلال الفترات اللاحقة.

الإنتاج الأدبي الاجتماعي والديني والتعليمي



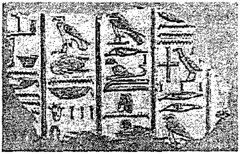
تمثال حجري ملون لكاتب مصري يجلس القرفصاء وهو يقرأ بردية، يعود لعصر الأسرة المصرية الخامسة.

طوال التاريخ المصري القديم، كانت القراءة والكتابة من المتطلبات الرئيسية لشغل الوظائف العامة، حيث كانت هناك طبقة اجتماعية متعلمة متميزة من الكتبة، تقوم بمساعدة المسؤولين الحكوميين.كما يتضح من "بردية أنستاسي الأولى" التي ترجع لحقبة الرعامسة، فقد كان من وظائف الكتبة المساعدة في ".. تنظيم حفر الترع وبناء الأبنية، وحساب عدد الرجال اللازمين

لنقل المسلات والتجهيز للحملات العسكرية"، وبالإضافة لوظائفهم الحكومية، كان الكتبة يصيغون الرسائل والوثائق التجارية والقانونية لأفراد الشعب الأميين. ويعتقد أن نسبة المتعلمين لم تتجاوز 1٪ فقط من السكان؛ والبقية من المزارعين والرعاة والحرفيين والعمال الأميين، وكذلك التجار الذين كانوا يحتاجون لخدمات الكتبة. كانت المكانة المتميزة للكتبة هي الموضوع الرئيسي في تعاليم دوا- خيتي، وهو نص تعليمي شعبي يعود لحقبة الرعامسة، والتي سخر فيها من الصنائع والمهن المتواضعة مثل صانعي الفخار والصيادين والخدم والجنود، وأشاد بمهنة الكاتب.

تولت طبقة الكتبة مسؤولية حفظ ونقل الأدب الكلاسيكي وتأليف أعمال جديدة. كان طلبة المدارس يقومون بنسخ الأعمال الكلاسيكية مثل قصة سنوحى ووصايا أمنمحات، كتمارين تربوية على الكتابة ولغرس القيم الأخلاقية والمعنوية اللازمة والمميزة لطبقة الكتبة الاجتماعية. مثّل أدب الحكمة غالبية النصوص التربوية خلال عصر الدولة الوسطى؛ أما الحكايات السردية مثل قصة سنوحى والملك نفر كا رع والقائد ساسينيت، فنادرًا ما نسخت كتمارين مدرسية حتى عصر الدولة الحديثة.ويصف عالم المصريات "وليام كيلي سمبسون" الحكايات السردية مثل سنوحى والملاح التائه بأنها "تعليمات أو نصائح في صورة قصة"، فقد ضمت تلك القصص العديد من الفضائل المحمودة عند المصريين في تلك الفترة، مثل حب الوطن أو الاعتماد على النفس.ولم تقتصر الكتابات على طبقة الكتبة، بل عثر على كتابات دونها أشخاص لم يمتهنوا مهنة الكتابة مثل الرسام "مينينا" العامل في دير

المدينة خلال عصر الأسرة المصرية العشرين، والذي استخدم مقاطع من قصتي الفلاح الفصيح والملاح التائه في رسالة تأنيب أرسلها لابنه العاق.



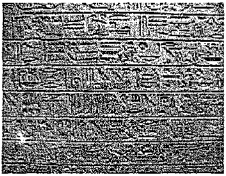
قطعة حجرية بها كتابة هيروغليفية زاهية الألوان، مكتوبة في أعمدة رأسية موجودة في معبد الكرنك، تنسب لعصر الملك سيتي الأول.

ليس هناك الكثير من الأدلة حول ممارسة قدماء المصريون لفن الإلقاء، لكنها أدلة قوية فعلى سبيل المثال، اللوحة الجنائزية للملك سنوسرت الأول تذكر صراحة الأشخاص الذين سيجتمعون للاستماع للكاتب الذي سيتلو عليهم النصوص الجنائزية. كما كان لانتشار فن الغناء بين المصريين، أثره في تدوينهم لأشكاله المختلفة ما بين أغاني المديح وأغاني الحب والترانيم الجنائزية.

استخدم الأدب أيضًا في الأغراض الدينية، بداية من نصوص الأهرام من عصر الدولة القديمة، وحتى النصوص الجنائزية التي تكتب على جدران المقابر ونصوص التوابيتوكتاب الموتى الذي كان يوضع داخل المقابر، لتسترشد به الروح للوصول للجسد في الحياة الآخرة. مما استوجب كتابة تعاويذ سحرية لحفظ المقبرة. كما يمكن تفسير العثور على نسخ من نصوص أدبية غير جنائزية في المقابر غير الملكية، إلى أنها وضعت للترفيه عن الموتى من خلال قراءة القصص في حياتهم الآخرة.

على الرغم من أن الإنتاج الأدبي كان أغلبة من كتابات الذكور، إلا أنه كانت هناك بعض الأعمال النسائية، حيث تشير عدة مصادر إلى العثور على بعض الرسائل الخاصة المرسلة والمستلمة من قبل نساء. ومع ذلك، يؤكد عالم المصريات "إدوارد وينت" أنه رغم وجود دلائل واضحة تشير إلى أن تلك الرسائل رسائل نسوية، إلا أن ذلك لا يلغي احتمالية كون النساء قد استأجرن من يكتب لهن.

تحديد تاريخ النصوص



لوحة ميناخت كبير الكتبة التي تؤرخ لعصر الفرعون آي.

يعتقد عالمي المصريات ريتشارد باركنسون ولودفيغ مورينز أن الأدب المصري القديم لم يكتب حتى عصر الأسرة المصرية الثانية عشرة، أي مع بداية عصر الدولة الوسطى.

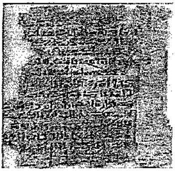
لم تستخدم الكتابة في عصر الدولة القديمة إلا في كتابة الطقوس الدينية والمعاملات التجارية، كما لم تستخدم الكتابة لتدوين النصوص الترفيهية والثقافية، إلا في عهد الدولة الوسطى. كما اعتقد باركنسون ومورينز أن النصوص المكتوبة في عصر الدولة الوسطى، ما هي إلا تدوين لنصوص شفهية من عصر الدولة القديمة.

يعد تحديد تواريخ كتابة النصوص باستخدام علم دراسة الخطوط أمرًا صعبًا، بسبب اختلاف أنماط الكتابة الهيراطيقية كما أن دراسة نظم الكتابة والرمز المستخدمة، هو أيضا أمر صعب، نظرًا لاستخدام بعض الكتبة رموزًا من بعض الأنماط القديمة، لذا يمكن القول بأن نمط الكتابة يقدم القليل من المساعدة عند تحديد تاريخ أحد النصوص. على سبيل المثال، فقد سجّل كتبة الدولة الوسطى نصوص من أدب الحكمة من العصر الذهبي للدولة القديمة مثل تعاليم كاي جمني، كما سجّلوا قصصًا أخرى تنسب لعصر الفوضى، والتي تصور صعوبة الحياة خلال عصر الاضمحلال الأول مثل قصة الفلاح الفصيح.

أنواع الأدب المصري القديم وموضوعاته

يصنّف علماء المصريات المعاصرين الأدب المصري القديم إلى أنواع عدة، منها على سبيل المثال الرثاء والخطابة والحكايات والوصايا والتعاليم .وتعد فقط الحكايات السردية هي المكتوبة على هيئة كتابات نثرية، ورغم ذلك فالكثير من تلك الحكايات السردية إضافة إلى الأنواع الأدبية الأخرى، كانت مكتوبة في هيئة أبيات شعرية. معظم الشعر المصري القديم كان مكتوبًا في هيئة أبيات من مقطعين، وأحيانًا من ثلاث أو أربعة مقاطع.

الوصايا والتعاليم



قطعة من بردية ممزقة عليها كتابات هيراطيقية بالحبرين الأسود والأحمر، تعود لعصر الدولة الحديثة.

يمكن تصنيف أدب الوصايا والتعاليم، كأحد أشكال أدب الحكمةالذي نشأ في الشرق الأدنى القديم، ويعتقد أنه كان يمثل جزءً من المنهج التعليمي المستخدم في عصر الدولة الوسطى. اعتمدت نصوص التعاليم على الحكايات السردية التي يمكن قراءتها أيضًا بغرض الترفيه؟ ويؤكد باركنسون أن هناك أدلة على أن في البداية، لم يكن الهدف من كتابة نصوص التعاليم، هو استخدامها للأغراض التعليمية، ولكن كانت أهدافها أيديولوجية فمثلاً، يستشهد عالم المصريات أدولف إيرمان بوصايا أمنمحات الأول لأبنائه، والتي ليس بها أي فلسفة مدرسية، أكثر من كونها توصية لأولاده بأن يحافظوا على إخلاصهم للملك. وفي الوقت الذي دعت فيه أعمال الأدب السردي مثل الفلاح الفصيح إلى تحدي المجتمع وأيديولوجياته، إلا أن نصوص التعاليم أكدت على ضرورة الامتثال لعقائد المجتمع وتقاليده.

كانت الكلمات الأساسية التي ساعدت على تحديد نصوص التعاليم معرفة (وتعليم) سبا.يت كانت هذه النصوص غالبًا ما تكون في صورة نصائح أو توجيه معنوي من شخصية مسئولة مثل فرعون أو وزير إلى ابنه أو أبنائه. من أمثلة ذلك أمثال بتاح حتب ووصايا أمنمحاتوتعاليم الولاء وتعاليم كاي جمني وتعاليم أمينيموبي. نصوص التعاليم الباقية من عصر الدولة الوسطى مكتوبة على مخطوطات من البردي، ولم يبق أي من تلك النصوص التي تم تدوينها على حجارة، أما أقدم نصوص التعاليم المدونة على الخشب، فكانت نسخة من أمثال بتاح حتب، تعود إلى عصر الأسرة

الثامنة عشرة. وكانت أمثال بتاح حتب وكاي جمني مدونة على بردية بريسي، التي كتبت خلال عصر الأسرة الثانية عشرة. أما تعاليم الولاء فقد وصلت إلينا كاملة عن طريق مخطوطات من عصر الدولة الحديثة، على الرغم من العثور على النصف الأول منها مدونًا على لوحة حجرية من عصر الأسرة الثانية عشرة. وبالرغم من أن وصايا أمنمحات هي من أعمال الدولة الوسطى، إلا أنها وصلت إلينا عن طريق نسخ من عصر الدولة الحديثة. أما تعاليم أمينيموبي فهي من أعمال الدولة الحديثة.

الحكايات والقصص الروائية

تعد الحكايات والقصص الروائية أقل ألوان الأدب، التي لا زالت باقية من عصر الدولة الوسطى واللغة المصرية الوسطى، بينما غلب هذا اللون من الأدب على ألوان الأدب الباقية من حقبة الرعامسة وحتى نهاية الدولة الحديثة شملت القصص التي تعود لعصر الدولة الوسطى قصة مجلس الملك خوفو والملك نفر كا رع والقائد ساسينيت والفلاح الفصيح وقصة سنوحى وحكاية الملاح التائه. أما قصص عصر الدولة الحديثة فشملت قصة سقوط يافا وحكاية الأمير الملعون وقصة الأخوين وقصة وينامون.

كتبت القصص التي ترجع للألفية الأولى قبل الميلاد بالديموطيقية مثل قصة لوحة المجاعة التي تروي قصة تعود لعصر الدولة القديمة، رغم أنها كتبت خلال عصر البطالمة (وقصص خعمواس) عصر الأسرة التاسعة عشرة (وإيناروس) عصر مصر الفارسية (اللذان تحوّلا إلى أبطال أسطوريين في عصر مصر البطلمية والرومانية).

كان الخيال المصري القديم خصبًا، يظهر ذلك جليًا في العديد من الحكايات الخرافية. فمثلاً، في قصة الملاح التائه تخيل المؤلف وصول الملاح إلى جزيرة صحراوية حيث قابل ثعبانًا يتكلم أما قصص مثل سنوحى وسقوط يافا والأمير الملعون فهي تعطي صورة خيالية لحالة المصريين المغتربين؛ بينما تحكي قصة تقرير وينامون قصة واقعية لمصري سافر إلى جبيل في فينيقيا لجلب خشب الأرز لبناء السفن في عهدرمسيس الحادي عشر.

معظم الحكايات والقصص وجدت مدونةً على مخطوطات من البردي، وقليلاً ما تواجدت منها أجزاء من النصوص أو نصوص كاملة منقوشة على أحجار. فمثلاً، وجدت قصة سنوحى على خمس برديات تعود للأسرتين الثانية عشرة والثالث عشر، والتي أعيد نسخها مرات عدة على حجارة خلال عصر الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين، أحدها يحتوي على النص كاملاً على كلا الجانبين .

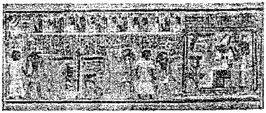
المراثي والخطب والحوارات



صورة ملونة لطائر برأس إنسان ترمز إلى الروح "با" عند قدماء المصريين، وهي إحدى شخصيات الرئيسية في قصة حوار بين رجل وروحه.

نوع آخر من الأدب نشأ في عصر الدولة الوسطى، وهو أدب المراثي والخطب والحوار، والتي شملت أعمال مثل معاتبة إيبوير ونبوءة نفرتي وحوار بين رجل وروحه .لم يسبق أن عثر على أي نصوص من هذا اللون من الأدب من عصر الدولة القديمة، كما لم يتم تأليف أي نصوص جديدة من هذا النوع في عصر الدولة الحديثة، ومع ذلك، فقد نسخت أعمال مثل نبوءة نفرتي كثيرًا خلال حقبة الرعامسة في عصر الدولة الحديثة .غير أن هذا النوع من الأدب، مرحلة من التجديد في عصر مصر البطلمية والرومانية يمكن تصنيف أدب الخطابات جنبًا إلى جنب مع أدب التعاليم، كأحد أشكال أدب الحكمة في الشرق الأدنى القديم

كانت نصوص الدولة الوسطى ذات موضوعات تحمل نظرة تشاؤمية تجاه التغييرات الاجتماعية والدينية، مثل قصة حوار بين رجل وروحه والتي تروي قصة حوار دار بين رجل وروحه حول ما إذا كان عليه الاستمرار في العيش في حالة من اليأس أو السعي نحو الموت للهروب من حياته البائسة .وعلى الرغم من أنه يمكن وصف تلك القصص بالمآسي، إلا أن نبوءة نفرتي التي كتبت في عصر أمنمحات الأول، تشذ عن تلك القاعدة، والتي توفر حل إيجابي لمشاكل العالم .يصف عالم المصريات سيمبسون تلك النبوءة، بأنها بمثابة "... نشرة سياسية سافرة، تهدف إلى دعم نظام الحكم الجديد للأسرة الثانية عشرة التي أسسها أمنمحات بعد أن اغتصب العرش من منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشر."تدور تلك القصة حول نبوءة الكاهن والحكيم نفرتي للملك سنفرو أن البلاد سوف تدخل في عصر من الفوضى مشيرًا إلى فترة الاضمحلال الأولى، والتي ستنتهي على يد الملك الصالح أميني، إشارة إلى أمنمحات الأول.



مخطوطة ملونة تعبّر عن مشهد الحساب، حيث يوزن فيه قلب الميت أمام الإلهة ماعت إلهة العدل في مقابل ريشة تمثّل أعماله السيئة، فإن ثقُل قلبه سمح له بالعبور للآخرة.

كان أول ظهور للنقوش الحجرية الجنائزية خلال عصر الدولة القديمة، حيث وجدت في مقابر المصاطب والتي كانت تضم نقوش تحمل اسم المتوفى ووظائفه وصالح أعماله.ويعتقد أن القصائد الجنائزية كانت للحفاظ على روح الملك الميت، وتعد نصوص الأهرام هي أقدم النصوص الأدبية الدينية الباقية في صورة شعرية لم تظهر هذه النصوص في المقابر أو الأهرامات الناشئة قبل عهد أوناس، الذي بنى هرم أوناس في سقارة .كانت الهدف من نصوص الأهرام هو حفظ ورعاية الروح الملكية في الآخرة .ظهر بعد ذلك في عصر الدولة الوسطى نوعًا آخر من النصوص الدينية وهي نصوص التوابيت ثم كتاب الموتى وصلاة رع وكتاب الآخرة، والتي كتبت على برديات منذ عصر الدولة الحديثة وحتى نهاية الحضارة المصرية القديمة.

نظمت القصائد أيضًا لتُلقى في الاحتفالات الملكية. على سبيل المثال، في معبد الكرنك نقشت أبيات شعرية على جدران المعبد تصف انتصاراتتحتمس الثالث العسكرية، ومباركة الآلهة له مما ضمن له النصر على أعدائه .بالإضافة إلى هذه القصائد

المنقوشة على الحجارة، فقد تم العثور على قصائد مكتوبة على لوحات خشبية والتي كان تلاميذ المدارس يستخدمونها. وبالإضافة إلى تمجيد الملوك، كتبت القصائد لمدح مختلف الآلهة وحتى نهر النيل.



جدارية ملونة لأعمى يعزف على قيثار من عصر الأسرة الثامنة عشر.

لم يبق من تراتيل وأغاني عصر الدولة القديمة، إلا تراتيل تحية الآلهة في الصبح في معابدها الخاصة وقد اكتشفت مجموعة من الأغاني المخصصة للملك سنوسرت الثالث في اللاهون. يعتقد عالم المصريات إيرمان أن هذه الأغاني كانت تستخدم لاستقبال الفرعون في منف. أما القصائد التي كانت تعزف على الهارب، فقد ظهرت في عصر الدولة الوسطى، وكانت تعزف أمام الضيوف على العشاء في المآدب الرسمية.

كتب إخناتون ترنيمة آتون العظمى التي تم العثور عليها في مقبرة آي في تل العمارنة إلى إلهه آتون خلال فترة حكمه والتي قارن عالم المصريات سيمبسون بين طريقة صياغتها وتسلسل أفكارها وبين المزمور لم تبق إلا ترنيمة شعرية واحدة فقط مكتوبة بالديموطيقية، بالرغم من وجود العديد من التراتيل الدينية المكتوبة بالهيروغليفية على جدران المعابد.

لم يعثر على نصوص لأغاني عاطفية قبل عصر الدولة الحديثة، إلا أن هذا لا يلغي احتمال وجودها في عصور سابقة لذلك. قارن إيرمان بين أغاني الحب المصرية القديمة، وسفر نشيد الأنشاد عند استبداله للفظي "أخي" و"أختي" اللذان كان يستخدمهما المتحابان للأشارة إلى بعضهما البعض.

الرسائل



كتابات هيراطيقية على قطعة من الحجر الجيري لرسائل من الوزير "خاي" أحد وزراء رمسيس الثاني.

عادةً ما كانت الرسائل الرسمية المكتوبة على لفائف البردي والمرسلة لمسافات طويلة مختومة بخاتم طيني، أما الرسائل المنقوشة على الحجر فكانت تستخدم لكتابة الرسائل غير السرية القصيرة والمرسلة إلى أماكن قريبة .كما كانت الخطابات الملكية أو المراسلات الرسمية، تكتب في الأصل بالهيراطيقية، وفي بعض الأحيان كانت تنقش على الأحجار بالهيروغليفية

فيما عثر على أقدم الرسائل الخاصة المعروفة والمكتوبة على ورق البردي في معبد جنائزي يعود إلى عهد الملك ديدكاري-

إيزيزي من الأسرة الخامسة. وتعد بردية حيكاناخت، التي كتبها مزارع غني والتي ترجع لعصر الأسرة الحادية عشرة، أحد أطول الرسائل المكتوبة المعروفة في مصر القديمة. وفي حقبة الرعامسة، ظهرت نوعية أخرى من الرسائل وهي رسائل استعطاف الآلهة، والتي أصبحت منتشرة بشدة خلال فترتي مصر الفارسية والبطلمية.

النقوش التذكارية

تعتقد كاثرين بارك أن أقدم "النقوش التذكارية" المصرية القديمة، ترجع إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد، وأضافت أن هذه النقوش القديمة، كانت تحث الناس على الاحتفال وتخليد صاحب السيرة.

في البداية، منذ نهاية عصر الأسرة الثالثة، كانت تضاف القليل من تفاصيل السيرة الذاتية للمسؤول المتوفي إلى جانب ألقابه في النقوش التذكارية الجنائزية ظل الأمر كذلك، حتى عصر الأسرة السادسة عندما أصبح يتم سرد قصة حياة المتوفي والوظائف الحكومية التي تولاها. توسعت النقوش التذكارية في المقابر في عصر الدولة الوسطى، لتتضمن معلومات عن عائلة الشخص المتوفى.

كانت الغالبية العظمى من نصوص السير الذاتية للبيروقراطيين الإقطاعيين، ولكن خلال عصر الدولة الحديثة، أصبح بعضها مخصص لبعض ضباط وجنود الجيش. ركزت نصوص النقوش التذكارية في فترات نهاية التاريخ المصري القديم على التشديد على استجداء الآلهة لترحم المتوفي في حياته الآخرة .بالرغم من أن السير الذاتية القديمة في المقابر كانت تتفاخر بالحياة الناجحة للمتوفي، إلا أن السير الذاتية الأحدث أصبحت تتضمن المراثي لوفاة الميت السابقة لأوانها.

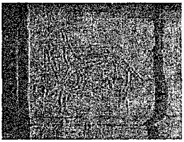


نقوش على جدران معبد الكرنك تذكر أعمال تحتمس الثالث.

يعتبر المؤرخون المعاصرون بعض نصوص السير الذاتية، بمثابة وثائق تاريخية هامة. على سبيل المثال، وفرت نصوص السير الذاتية للقادة العسكريين في المقابر التي بنيت في عهد تحتمس الثالث، الكثير من المعلومات حول حروب تحتمس الثالث في سوريا وفلسطين، إضافةً إلى سجلات تحتمس الثالث المنحوتة على جدران العديد من الآثار التي بنيت خلال فترة حكمه، مثل تلك التي في معبد الكرنك، والتي توفر أيضًا معلومات حول هذه الحملات .كما سردت سجلات رمسيس الثانيتفاصيل معركة قادش ضد الحثيين، والتي كتبت للمرة الأولى في الأدب المصري القديم في صورة شعر ملحمي، والذي اختلف عن كل ما سبقه من الشعر والذي كان متركزًا على الاحتفال والمديح والتعاليم.

مثال آخر، للفرعون النوبي بعنخي مؤسس الأسرة الخامسة والعشرون لوحة مكتوبة باللغة المصرية الوسطى تصف حملاته العسكرية الناجحة. من الوثائق الأخرى المفيدة للتعرف على التاريخ المصري القديم، قوائم الملوك التي سجلتها الأسرات المصرية القديمة

مثل الأسرة الخامسة في حجر باليرمو، كانت هذه القوائم بمثابة الوثائق التي يستند إليها الفرعون عند مطالبته بالعرش.



نقش لكلب على أحد جدران معبد كوم أمبو، الذي بني في عصر البطالمة.

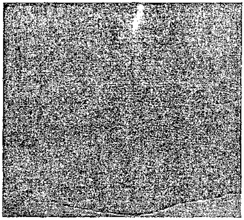
كان المؤرخ المصري مانيتون أول من جمع تاريخ مصر القديمة كاملاً. عاش مانيتون في عصر بطليموس الثاني، واعتمد على تاريخ هيرودوت الذي كتبه اليونانيه يرودوت كمصدر رئيسي عند كتابته لتاريخ مصر باللغة اليونانية، وإن كان قد اعتمد أيضًا بشكل أساسي على قوائم الملك التي نقشتها الأسرات المصرية السابقة

النقوش على جدران المعابد والمقابر

خلال عصر الدولة الحديثة، غالبًا ما نقش الكتبة الذين سافروا إلى المواقع القديمة رسائل على جدران المعابد الجنائزية المقدسة والأهرامات، عادة كتذكار .يعتقد العلماء الحاليين، أن هؤلاء الكتبة لم يكونوا مجرد سائحين، ولكنهم كانوا يسافرون لتلك المعابد بغرض الحج .وهناك أدلة عثر عليها في مقبرة سنموت، تدل على أن ممارسة الكتابة على الجدران، كانت من المناهج التعليمية في مدارس الكتبة. وفي أحد النقوش الموجودة على جدران المعبد الجنائزي لتحتمس الثالث في الدير البحري، وجدت نصوص

مقتبسة من أمثال بتاح حتب ضمن الصلوات المكتوبة على جدران المعبد. وعادةً ما كان الكتبة ينقشون نقوشهم في مجموعات منفصلة للتمييز بين الكتابات الخاصة بهم عن كتابات الآخرين .

ترجمة وتفسير الأدب المصري القديم



حجر رشيد أحد أعمال الأدب المصري القديم المكتوبة بالهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية، والمحفوظة في المتحف البريطاني.

بعد أن تحول القبط إلى المسيحية في القرون الأولى للميلاد، أصبح لديهم أدبهم الخاص الغير مرتبط بالأدب الفرعوني أو الهيليني. ومع ذلك، يعتقد العلماء بأن الأدب المصري القديم، المتوارث شفاهةً، كان لها أثره على الأدب اليوناني القديم والأدب العربي. يظهر ذلك من التشابه بين قصة سقوط يافا على أيدي المصريين، بعد أن إختبأ الجنود في السلال، وقصة سقوط طروادة على أيدي اليونانيين بعد أن إختبأوا في حصان طروادة، التي ذكرهاهوميروس في الإلياذة .كما أنه يمكن الربط بين مغامرات السندباد البحري وحكاية الملاح التائه الفرعونية وقد علّق بعض علماء العالم القديم على الأدب المصري القديم، فمثالاً، علق المؤرخ الروماني اليهودي يوسيفوس فلافيوس على نصوص مانيتون التاريخية.

يعد معبد فيله أكثر المواقع التي تحتوي على نقش هيروغليفية من مصر القديمة الآن، والتي ترجع إلى عام 394 م في عهد ثيودوسيوس الأول في القرن الرابع الميلادي، قام اليوناني المصري "هورابولو" بعمل مسح لما يقرب من مائتي قطعة هيروغليفية مصرية، وقدم تفسيرًا لمعانيها. وعلى الرغم من محدودية فهمه لتلك النصوص، وعدم درايته باستخدامات الحروف الهيروغليفية، إلا أن هذا المسح ظل مفقودًا حتى عام 1415، عندما عثر عليها الإيطالي كريستوفورو بونديلمونتي في جزيرة أندروس.

كان أثانيسيوس كيرتشر أول أوروبي يدرك أن اللغة القبطية هي سليلة اللغات المصرية القديمة، وحاول استنتاج معاني الحروف الهيروغليفية على أساس ذلك. استمر الحال كذلك حتى عام 1799، عندما اكتشفت الحملة الفرنسية على مصر حجر رشيد، والذي استخدمه العلماء لفك رموز اللغات المصرية القديمة، عندما استطاع جان فرانسوا شامبليون ترجمة الكتابة الهيروغليفية في حجر رشيد عام 1822.

قبل عام 1970، كان هناك إجماع بين العلماء أن الأدب المصري القديم كغيره من الآداب، كان متأثرًا بالنظم الاجتماعية والسياسية القديمة، إلا أنه بعد هذا التاريخ شكك الكثير من العلماء في تلك النظرية .ففي الوقت الذي كان فيه العلماء قبل عام 1970، يعتمدون على الأعمال الأدبية المصرية القديمة كمصادر تاريخية تعكس بدقة ظروف هذا المجتمع القديم، إلا أن العلماء الآن يتعاملون مع تلك القاعدة بحذر.

الفصل الثامن

مكتبة الإسكندرية من العصر الفرعونى إلى العصر الحديث

- أنشئت مكتبة الإسكندرية الأولى عام 322 ق.م أنشأها "ديمتريوس دى فاليرى" تلميذ الفيلسوف أرسطو.
- كان بالمكتبة أكثر من 500 ألف مخطوط، وكانت أغنى مكتبة في العالم بعد مكتبة (بيرجام) شمال غرب آسيا الصغرى.
- يقدر إجمالي تكاليف المشروع الحالي بمبلغ 160 مليون دولار مقسمة على النحو التالي:

-60 مليون دولار قيمة الأرض.

-و60 مليون دولار قيمة المباني.

-و40 مليون دولار قيمة الكتب والمعدات اللازمة.

- عدد العاملين: 250 فردًا.
- مساحة المكتبة: 80 ألف متر.
- عدد أدوار المكتبة: 11 دورًا.
- إجمالي مسطح الأدوار: 854.5 مترًا مربعًا.
- ارتفاع المبنى: 33 مترًا فوق سطح الأرض و12 مترًا تحت سطح الأرض.
- مسطح المكتبة العامة : 36770 مترًا مربعًا.
- الأنشطة الثقافية: 4210 أمتار مربعة.
- الخدمات الفنية والتقنية: 10860 مترًا مربعًا.
- مركز المؤتمرات بالإضافة إلى خدمات فرعية: 30840 مترًا مربعًا.

- عـدد المجلـدات بالمكتبـة: 400.000 مجلـد عنـد الافتتـاح و8 ملايين مجلد على المدى البعيد.
- عدد الدوريات: 1500/ 4000.
- مواد سمعية وبصرية ووسائط متعددة: من 10 آلاف إلى 50 ألف.
- عدد المخطوطات والكتب النادرة من 10 آلاف إلى 50 ألف.
- عدد الخرائط: 50 ألف.
- ستتيح المكتبة أماكن لـ 3500 قارئ.
- أنشئ الحائط اللوحي الدائري بقطر 160 مترًا.
- أهدى الرئيس التركي في زيارته الصيف الماضي للمكتبة 10 آلاف كتاب.
- كمـا أهـدى السـلطان قـابوس السـيدة سـوزان مبـارك 6000 كتـاب نـادر وموسـوعات وكتـب مرتبطـة بتـاريخ الحضـارة المصرية.
- وأهدت الصين حوالي 1200 كتاب، أما اليابان فأهدت أجهزة سمعية وبصرية، وإيطاليا قدمت منحًا لتدريب العاملين بالمكتبة من أجل الدعم والحفاظ على التراث، واليونان أهـدت تماثيل للعلماء المعروفين عن المكتبة القديمة مثل إقليدس وديمتريس وبطليموس وفيلاديلفيس.
- بلغـت قيمـة التبرعـات حـوالي 200 مليـون دولار بلغـت منهـا التبرعات العربية 65 مليون دولار.
- اختارت اللجنة الدولية التصميم المنفذ من 1400 تصميم من 77 دولة.

مراحل تطوير المشروع في إطار التنفيذ:

قطع مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة مشوارًا واسعًا في الإعداد للبحث والدراسة منذ عام 1985م، كان من أبرز هذه المراحل الخطوات التالية:

1. تشكيل اللجنة التحضيرية لمشروع المكتبة باشتراك عدد من كبار رجال الفكر والثقافة في مصر من أجل دراسة المشروع من كافة جوانبه.

2. قام السيد/ أحمد مختار أمبو المدير العام لليونسكو بزيارة إدارة جامعة الإسكندرية مع مجموعة من مستشاريه وذلك في 1986/2/7م؛ حيث اجتمع مع المسئولين في جامعة الإسكندرية وأعضاء لجنة المكتبة، وقاموا بدراسة المشروع من كافة جوانبه دراسة مبدئية، وأبدى السيد/المدير العام موافقته وتأييده للمشروع، وأوصى بأهمية وضع خطوات تنفيذية في سبيل تحقيق هذا المشروع العالمي الهام. كما وعد باستعداد اليونسكو لتقديم المساعدة الممكنة في مجال الدراسة والإعداد.

3. تقدم السيد الدكتور/ سفير مصر لدى اليونسكو بتقديم مذكرة وافية عن المشروع في عام 1986م لمنظمة اليونسكو مدعمة بطلب من وزارة التعليم العالي لمساندة المشروع.

4. من أجل هذا تم عرض الموضوع على اللجنة التنفيذية لليونسكو في الدورة رقم 124 لسنة 1986م، واتخذت اللجنة قرارًا هامًّا بدعوة المدير العام بالتعاون مع الحكومة المصرية في حدود موارد اليونسكو في الإعداد لتنفيذ المشروع.

5. أصدر الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الإسكندرية قرارًا بتشكيل اللجنة التنفيذية لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية في يناير عام 1987م.

6. في الفترة من 1987/1/27م وحتى 1987/2/6م حضر إلى جامعة الإسكندرية وفد من اليونسكو لإعداد الدراسة الأولية لجدوى المشروع.. واجتمع الوفد بالسيد/ وزير التعليم ورئيس جامعة الإسكندرية ولجنة المكتبة، وتمت مناقشة المشروع من كافة جوانبه من الناحية الفنية. وتمّ تقديم دراسة الجدوى الابتدائية في مارس عام 1987م.

7. نسّق وفد من جامعة الإسكندرية مع منظمة اليونسكو لزيارة مجموعة من المكتبات العامة والجامعية في فرنسا وسويسرا وألمانيا وإنجلترا في الفترة من 1987/4/1م حتى 1987/4/21م، وعقد الوفد اجتماعًا هامًا مع المسئولين في اليونسكو في 1987/4/17م تمّ فيه بحث الجوانب المعمارية الواردة في دراسة الجدوى والاتفاق عليها، وأيضًا تحديد الخطوات الفنية المعمارية الواردة في دراسة الجدوى والاتفاق عليها. وأيضًا تحديد الخطوات ومراحل العمل التالية لإخراج المشروع إلى حيِّز الواقع على أن يأتي عدد من الخبراء في سبتمبر عام 1987م لاستكمال دراسة الجدوى، وتم الاتفاق على أن هذه المكتبة عامة بحثية، على أن يتم تجميع الكتب والدوريات سنويًا حسب الأولويات المحددة؛ ليصل عدد المجلدات إلى 200.000 مجلد و1500 دورية عند الافتتاح، كذلك تم الاتفاق على طرح مسابقة معمارية دولية لتصميم مجمع الكتب

تحت إشراف الاتحاد الدولي للمهندسين المعماريين، وأن يتم الاتصال ببرنامج التنمية التابع للأمم المتحدة لتمويل المسابقة وبرنامج للتدريب والخبراء.

8. وفي سبتمبر عام 1987م حضر عدد من خبراء اليونسكو؛ وذلك لبحث البرنامج المعماري والمكونات المكتبية والتقنية الخاصة بالمشروع، بالإضافة لنواحي استخدام الكمبيوتر وتحديد نظام اقتناء المجلدات والكتب بعد مسح الكتب والموارد المتاحة محليًّا وإقليميًّا، وقد اجتمع الخبراء باللجنة التنفيذية، وتم مناقشة توصياتهم التي تضمنتها دراسة الجدوى في شكلها النهائي في نوفمبر عام 1987م، وتم الاتفاق على أهمية عقد اجتماع للخبراء المعماريين لمناقشة البرنامج المعماري وإجراءات المسابقة الدولية المعمارية وخطة التدريب والاقتناء وكان ذلك في عام 1988م.

9. صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم 1319 لسنة 1987م بتشكيل اللجنة القومية العليا لمشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة من وزراء التعليم والإعلام والثقافة والسياحة ومحافظ الإسكندرية ورئيس جامعة الإسكندرية ورئيسين سابقين للجامعة إلى جانب تشكيل اللجنة التنفيذية التي صدر بها قرار سابق من رئيس جامعة الإسكندرية، وقد تم وضع المشروع تحت رعاية السيد/ رئيس جمهورية مصر العربية.

10. أصدر المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في جلسة 1987/10/22م بباريس موافقته على إصدار النداء الدولي لدعم مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وصدر النداء

الدولي فعلاً من المدير العام لليونسكو في ديسمبر 1987م بلغات اليونسكو الخمس، موجهًا إلى الدول والمؤسسات والأفراد لدعم مشروع المكتبة بصور الدعم المختلفة.

11. في نفس الوقت بناء على طلب من الحكومة المصرية، وبالتنسيق مع اليونسكو وافق برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة بالقاهرة على دعم المسابقة المعمارية الدولية وبرنامج التدريب والخبراء لمشروع المكتبة بمبلغ 600.000 دولار.

12. عقدت الندوة الدولية للخبراء المعماريين والمكتبيين العاملين لمناقشة البرنامج المعماري وإجراءات المسابقة المعمارية الدولية، وذلك بالاشتراك مع اليونسكو في القاهرة من 21 إلى 24 مارس 1988م، وقد تمت تحت التوصية بمراحل العمل التنفيذية حسب برنامج زمني محدد.

- وقد تم تعيين مدير لهذه الهيئة، واتخذت مقرًا لها بمبنى معهد الدراسات العليا والبحوث بطريق الحرية بالإسكندرية.

أهداف المكتبة الجديدة:

الهدف الرئيسي لإنشاء هذه المكتبة هو أن تؤدي مهمة المكتبة القديمة من حيث كونها مكتبة عامة للبحث العلمي، قادرة على أن تساعد المنطقة بأسرها على استعادة سمعتها السابقة في مجال البحث العلمي على أسس حديثة، وسوف يكون للمكتبة ملامح خاصة بها تميزها عن غيرها من المكتبات الكبرى، فسيكون لها إمكانات فعّالة حديثة للاتصال والمعلومات؛ لتكون همزة وصل ونواة هامة في شبكة الاتصالات الدولية التي تضم

مكتبات العالم الكبرى في الوقت الحاضر، كما سيكون هناك اهتمام خاص بالدراسات التي لها اتصال مباشر بالأسس التاريخية والجغرافية والثقافية للإسكندرية ومصر والشرق الأوسط. فالمكتبة سوف تصبح جسرًا يربط الحاضر بالماضي، ونافذة متفتحة على المستقبل فهي بمثابة مركز لنقل الدراسات التي تهتم بالمنطقة بأسرها.

شعار المكتبة:

يتكون شعار المكتبة من ثلاثة عناصر: قرص الشمس، مياه البحر، الفنار ويعبر "قرص الشمس" غير المكتمل عن فكرة استمرار البحث والإحياء؛ حيث يخرج قرص الشمس من مياه البحر باعثًا الحياة والنور على أرض مصر التي ارتبط قرص الشمس بحضارتها على مر العصور، كما يعبر قرص الشمس- غير المكتمل- عن فكرة إشراق مكتبة الإسكندرية من جديد لإحياء دورها الحضاري الذي أشعَّ على دول العالم قاطبة.

ويعبر عنصر "الفنار" المرتفع فوق "سطح البحر" عن مدينة الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط، موطن المكتبة الكبرى القديمة ذلك أن الفنار كان أحد معالمها ورموزها الشهيرة وأحد عجائب الدنيا السبع، كما أنارت المكتبة طريق التقدم والمعرفة على مر العصور.

عناصر المكتبة وخدماتها:

من المقرر أن يتسع تصميم المكتبة لحوالي 4 ملايين مجلد من كافة المعلومات المطبوعة أو الإلكترونية بأشكالها المختلفة،

وسيضم المبنى قاعات مختلفة السعة والفراغات والخصائص حتى تستوعب الوظائف والأنشطة الآتية:

1. قاعة تضم مجلدات عن الموضوعات العامة الشاملة لفروع الآداب والفنون والعلوم والتكنولوجيا.
2. قاعات للموضوعات المتخصصة.
3. قاعات للكتب النادرة والوثائق الفريدة.
4. قاعات للمجموعات الخاصة.
5. قاعات للخرائط.
6. قاعة الدوريات.
7. قاعة للموسيقى.
8. قاعات للفنون التشكيلية والبصرية.
9. قاعات مخصصة للتراث الحضاري والثقافي لمصر ومنطقة البحر المتوسط.

معهد المكتبات والمعلومات الدولي:

يعتبر هذا المعهد عنصراً مكملاً للمكتبة، وسوف تدعو المكتبة عددًا كبيرًا من المكتبيين رفيعي المستوى لتشغيل المؤسسة، وسوف يقام بينهم تعاون وثيق- وسوف يضم هذا المعهد مجموعة القاعات والمعامل الآتية:

1. قاعة محاضرات.
2. فصول دراسية.

3. قاعات للندوات وحلقات الدرس.

4. معامل لغات ومعامل مكتبات.

5. معمل ترميم وحفظ الوثائق.

6. معمل التجهيزات والمعدات الإلكترونية.

7. استراحة ومخازن.

8. غرف اجتماعات.

9. إدارة المعهد وغرف هيئة التدريس.

10. خدمات ومرافق مساندة.

المكونات الثقافية:

المكتبة هي مركز إحياء ثقافي رفيع المستوى، وليست مجرد مكان به مجموعة من الكتب؛ لذلك سوف يجري فيها نوعان من الأنشطة:

1. تنظيم معارض مؤقتة (للكتب والنقوش وما إلى ذلك).

2. تنظيم مناسبات فنية (محاضرات، حفلات موسيقية).

فهذه الإدارة تُعَدُّ بمثابة الواجهة التي تطالع بها المكتبة للجمهور، فستضم مساحات واسعة تتيح حرية الحركة لأفراد الجمهور المترددين على المكتبة؛ ولذلك سوف تضم المكتبة هيئة للنشء ممن تتراوح أعمارهم بين 14، 18 الذين يتدربون على كيفية الاستفادة من المكتبة.

سيطر مصطلح الفجوة الرقمية على حديث الدوائر الثقافية في العديد من بلدان العالم العربي في السنوات القليلة الماضية؛ باعتبار أن فارق المعرفة الشاسع بين دول العالم المتقدم وبين دول العالم العربي لم يعد يترك مجالا لترف السكوت على الوضع الراهن أو الخضوع لتلقي المعارف ومصادر المعلومات من بعض القوى الأجنبية القليلة، والاكتفاء بأن يكون العرب مجرد متلقٍ سلبي لتلك المعارف، وألا يشاركوا في صناعتها أو حتى تنقيحها.

ولكن ثمة أطواق نجاة هنا وهناك في مناحٍ كثيرة من عالمنا العربي تتبدى في الأفق.. تصعد حينا وتخفق حينا آخر، تسعى لرقمنة أجهزتها ومؤسساتها الثقافية، ومن بينها ثلاثة مشروعات مصرية المنشأ قومية الاتجاه، وهي: مشروع المكتبة الأزهرية الرقمية، والتحول الرقمي لدار الكتب والوثائق القومية، والمليون كتاب بمكتبة الإسكندرية.

أول هذه المشروعات- ولعله أهمها- هو مشروع المكتبة الإلكترونية بالأزهر الشريف، ويهدف لتزويد موقع الأزهر الذي أنشئ حديثا بآلاف المراجع والمخطوطات النادرة التي لا توجد في أي مكان بالعالم.

إحياء المخطوطات العربية

حول بداية مشروع المكتبة الإلكترونية بالأزهر، يقول الشيخ شوقي السبكي- رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر، والمشرف على أعمال المشروع- : "جاءت مبادرة سمو الشيخ محمد بن

راشد ولي عهد دبي، ووزير الدفاع الإماراتي في عام 2001 انطلاقة مهمة لمسح وحفظ مخطوطات الأزهر بمنحة قدرها 5 ملايين دولار، وتم الاتفاق بين الأزهر وإحدى الشركات الأمريكية الكبرى لتولي أعمال تركيب الأجهزة والمعدات وأجهزة المسح الضوئي، ثم القيام بحفظ المخطوطات كاملة لكن توقف المشروع لأسباب فنية".

ويضيف قائلا: "وبعد فترة طويلة تم بحث المشروع مرة أخرى، واتفقنا على بدء العمل مجددا في 29 مايو 2004، وقد بذلنا مجهودات ضخمة حتى نستطيع افتتاح المشروع رسميا في يوم 12 مايو 2005، وهو ما يعد إنجازا حقيقيا يحسب للعاملين بهذا المشروع.

ويؤكد أنه تم مسح وتصوير 14 ألف مخطوطة، أو 900 ألف صفحة في المرحلة الأولى، والآن نستكمل مراحل المشروع الأخرى، والأهم من ذلك أننا استطعنا تعليم عدد من المهندسين والفنيين المصريين العاملين بالمشروع بجوار أعمال الشركة الأمريكية، حتى صرنا نعتمد الآن على خيرة شباب الأزهر الشريف في ذلك المشروع، والاستغناء عن خدمات الشركة الأمريكية.

وتضم المكتبة الآن فريقا متميزا من مهندسي الحاسب والنظم الآلية، وأكثر من 15 إخصائيا في توثيق المكتبات من السيدات والرجال، في حين ينحصر دور فريق مؤسسة بن راشد على الإشراف والمتابعة والمراقبة فقط.

ويضيف مدير الإدارة المركزية لشئون المكتبة: "إن العمل يجري على قدم وساق لترميم مخطوطات المكتبة تمهيدا لنشرها على الإنترنت، فهناك عدد ضخم من المخطوطات التي كادت تفنى بسبب الإهمال وتسرب المياه إلى بعضها، وقد قررنا إعادة ترميمها في

خطة زمنية قصيرة؛ خاصة بعد أن تبرع الشيخ جمعة الماجد صاحب مركز جمعة الماجد للبحوث والمخطوطات الإماراتي بجهاز ترميم للمكتبة الأزهرية.

كما قاموا بتدريب بعض العاملين بالمكتبة، وشكلنا فريق عمل لترميم تلك المخطوطات. وقد انتهينا بالفعل من ترميم مكتبة المغاربة بالكامل بعد أن كانت في حالة يرثى لها داخل الجامع الأزهر، والآن يجري الإعداد لترميم بقية مكتبات الأزهر الست.

ويضيف الشيخ شوقي السبكي قائلا: "إن أهمية المشروع ترجع إلى الانتقال بمخطوطات الأزهر من المحلية إلى العالمية، فلم يعد أمامنا ترف التقاعس (耽搁,拖延) عن الدخول في العصر الرقمي بكامل عتادنا، حتى نستطيع الرد- بالأدلة القاطعة- على أعداء الإسلام والمسلمين، ونؤكد أننا نمتلك دينا وقرآنا يتصدى لافتراءات (诽谤,污蔑) الغرب".

كما عكست مبادرة الشيخ آل مكتوم تضافر جهود البلدان الإسلامية والعربية من أجل النهوض بالإسلام، وجعله يحتل المكانة التي تليق به. وهو ما أكد عليه شيخ الأزهر فضيلة الإمام محمد طنطاوي خلال المؤتمر الصحفي الذي عقد بمناسبة انطلاق الموقع رسميا، حين قال: إن انطلاق هذا المشروع يعكس روح الأخوة والتعاون التي تربط مصر بدولة الإمارات، وإن إنشاء موقع لمخطوطات الأزهر على الإنترنت مطلب مهم في الوقت الحاضر ولمستقبل الأجيال القادمة؛ لأنه يبث صوت الإسلام الحقيقي للعالم الخارجي، ويسلط الضوء على الصورة الحقيقية لسماحة الإسلام، ويعكس الروح المستنيرة التي يتحلى بها المسلمون.

. ولعل ثاني أهم المشروعات التي تسعى لحفظ الذاكرة العربية والإسلامية رقميا وعرضها على شبكة الإنترنت لتحتل مكانا عالميا هو مشروع التحول الرقمي لدار الكتب والوثائق القومية المصرية؛ باعتبارها من أهم دور الأرشيفات على مستوى العالم من حيث المقتنيات.

وتضم هذه الدار تراثا وثائقيا هائلا في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وتكاد تكون المصدر المحلي الوحيد للتاريخ والحوادث التاريخية لبعض بلدان المنطقة العربية، كما أن تلك المقتنيات مسئولة عن رسم جزء هام من الصورة العامة لتاريخ العالم.

وفي إطار مشروع التطوير الحالي لدار الكتب، تم تحديث قاعات الاطلاع والمخطوطات والوثائق عن طريق استخدام الوسائل التقنية الحديثة في بناء قواعد بيانات آلية، يتعرف من خلالها المترددون على الدار على رصيدها الزاخر من المخطوطات والوثائق.

وتبلغ مخطوطات دار الكتب المصرية ما يقرب من 57 ألف مخطوطة تعد من أنفس المجموعات على مستوى العالم كله بتنوع موضوعاتها وخطوطها المنسوبة ومخطوطاتها المؤرخة.

كما تضم مجموعة نفيسة من أوراق البردي (纸草) العربية، من بينها مجموعة عُثر عليها في كوم أشقاو بالصعيد، تبلغ مجموعها ثلاث آلاف بردية تتعلق بعقود زواج وبيع وإتجار واستبدال وكشوف وسجلات وحسابات خاصة بالضرائب أو تقسيم مواريث أو دفع صداق وغيرها من موضوعات. وأقدم البرديات يعود لسنة 87 هـ. ولم ينشر منها إلا 444 بردية.

كما تحتوي الدار على مجموعة ضخمة من الوثائق الرسمية التي تتمثل في حجج الوقف ووثائق الوزارات المختلفة وسجلات المحاكم وغيرها، مما يعنى به الباحثون في شتى المباحث الأثرية والتاريخية.

وتمتلك الدار أيضا مجموعة كبيرة من النقود العربية يعود أقدمها إلى سنة 77هـ (696م).. كل هذه الثروة من المخطوطات والوثائق يجري الآن إدراجها على شبكة الإنترنت لتتاح للباحثين والدارسين، وكذلك القارئ العادي الذي يمتلك الشغف للاطلاع على تلك المخطوطات.

وثائق لا تكذب

يقول د. رفعت هلال- رئيس دار الوثائق والمشرف على المشروع: إن التحول الرقمي يهدف لتطوير نظام حفظ وتداول الوثائق؛ لحماية تراث مصر الحضاري من الضياع والتلف أو الدمار، وكذلك إنشاء الفهارس الإلكترونية للتعريف بالرصيد الحضاري لمصر.

ويمضي د. رفعت قائلا: نسعى لتطوير المصادر الأصلية لكتابة التاريخ المصري والمنطقة وإتاحته إلكترونيا، مما يحدّ من الغزو الفكري الآتي من الخارج والذي يحمل في طياته وجهات نظر مضادة للحقائق والركائز التي بنيت عليها الحضارة العربية والإسلامية، مما يشكل واجهة دفاع عن الثقافة العربية من خلال الوثائق التي لا تكذب ولا تستطيع تزييف الحقائق.

ومن جانبه يشير د. محمد صابر، رئيس دار الكتب والوثائق القومية، إلى أن المرتبة الثانية للدخل البريطاني بعد السياحة

هو دار الوثائق البريطانية، وهو ما يحفزنا على استكمال المشروع وإتاحة صور من الوثائق للباحثين المصريين والأجانب، لندر عائدا سنويا يقدر بمئات الآلاف من الجنيهات على أن تتطور أعمال الدار من خلال تلك الأرباح حتى نخفف العبء عن الحكومة ووزارة الاتصالات والمعلومات التي تكلفت تمويل المشروع كاملا.

ولم تأت جدية المشروع من أهدافه وطموحات القائمين عليه فحسب؛ بل تشير الأرقام إلى حجم الإنجاز الذي تحقق حتى الآن، وهو توثيق 50 ألف وثيقة كمشروع استرشادي (指导性的) تم افتتاحه في أغسطس الماضي، ويجري العمل في بقية الوثائق على قدم وساق للانتهاء منها سريعا.

كما يعمل المشروع على إعداد قاعدة بيانات ببليوجرافية (参考文献) لإجمالي مقتنيات الدار، التي تقدر بنحو 90 مليون وثيقة لتتاح على شبكة الإنترنت للباحثين والدارسين والقارئ العادي الذي يبحث عن المعرفة، مع تقديم تعريف لمحتويات الدار باللغة الإنجليزية وإصدار مجموعة من الدراسات المتخصصة.

وأصبح من الممكن استخدام الكلمات المفتاحية أو الدالة للوصول إلى المعلومات التي تتضمنها هذه الوثائق، مثلما صارت فهارس هذه المجموعة متاحة عبر شبكة الإنترنت، وذلك لتحديد أنسب أساليب التحول الرقمي الكامل للدار، وتقديم الخدمات للباحثين والدارسين محليا ودوليا.

يتكلف المشروع 20 مليون جنيه ويستغرق 4 سنوات، وقد انتهت دار الوثائق من المرحلة الأولى منه، وخلال السنوات القادمة تستكمل الدار المشروع.

ثالث مشروعات التحول الرقمي هو مشروع المليون كتاب التابع لمكتبة الإسكندرية، التي تعد له بالتعاون مع ما يزيد على عشرين مؤسسة وجمعية ثقافية من العديد من دول العالم.

ويطمح مشروع المليون كتاب إلى تحويل جميع الكتب المنشورة في مكتبة الإسكندرية إلى كتب رقمية، بحيث يستهدف في المدى القصير مليون كتاب يتم تحويلها إلى كتب رقمية (وهذه الكمية من الكتب تمثل 1٪ من كافة الكتب المنشورة بمختلف اللغات حتى عام2005).

ويتضمن المشروع عملية طويلة ومعقدة تبدأ من تحديد واختيار الكتب التي سيتم نقلها بالماسح الضوئي(扫描仪).ويتم اختيار هذه الكتب حسب معيار (标准)دقيق، وتشمل الكتب النادرة التي نفدت طبعتها، أو تلك التي ليس لها حقوق نشر، أو المستندات الحكومية، وأيضا كتب الأطفال والرسائل العلمية. ويلي مرحلة الاختيار عملية المسح الضوئي الفعلي والمسح الضوئي للصور ومراقبة الجودة، والتعرف على الرموز ضوئيا وبصريا. وتلي هذه العملية عملية المسح الضوئي للصور ومراقبة جودة هذه الصور؛ حيث يتم استخدام مجموعة من الأدوات اليدوية والآلية.

ثم تأتي عملية تنقية الصور وتصغير حجم الملف المنقول إلى الحجم المناسب، ثم إزالة أي فراغات زائدة ومراعاة حجم الهوامش مع تعديل الزوايا.

المراجع والمصادر

المراجع العربية:

1. مرسي محمد منير، القاهرة، عالم الكتب، 1983م. (فلسفة التربية: اتجاهاتها، مدارسها).
2. عمر محمد التومي الشيباني، 1983م. (فلسفة التربية الإسلامية).
3. الكيلاني، ماجد سرحان، بيروت: مكتبة الريان، 1998م. (فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة).
4. بكر، عبد جواد سيد، القاهرة، دار الفكر العربي، 1983م (فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف).
5. مرسي، محمد منير، القاهرة، عالم الكتب، 1983م. (فلسفة التربية في الإسلام فلسفة التربية: إتجاهاتها، مدارسها).
6. عمر محمد التومي الشيباني، 198م. (فلسفة التربية الإسلامية).
7. الكيلاني، ماجد سرحان، بيروت: مكتبة الريان، 1998م. (فلسفة التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة).
8. بكر، عبد جواد سيد، القاهرة، دار الفكر العربي، 1983م. (فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف).
9. رفقي ظاهر، مصر، مكتبة النهضة، 1981م. (فلسفة التربية في الإسلام: عرض وتحليل لجوانب المنهج الإسلامي في تربية الشباب).

10. مصطفى أمين، 1914م، القاهرة، مطبعة المعراف، 1925م. (تاريخ التربية).
11. مرسي محمد منير، القاهرة: عالم الكتب، 1993م. (تاريخ التربية في الشرق والغرب).
12. حنفي عوض، القاهرة: مكتبة وهبة، 1987م. (علم الاجتماع التربوي).
13. علي عبد الواحد، القاهرة: در النهضة، 1978م. (عوامل التربية: بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي).
14. سميرة أحمد السيد، القاهرة: دار الفكر العربي، 1993م. (علم اجتماع التربية).
15. البيلاوي حسن، شبل بدرات، الإسكندرية: دار المعارف، 2000م. (علم اجتماع التربية المعاصر).
16. عبد الرحمن، عبد الله محمد، بيروت: دار المعارف الجميلة، 2000م (علم اجتماع التربية الحديث: النشأة التطورية والدراسات الميداينة الحديثة).
17. رفقي ظاهر، مصر، مكتبة النهضة، 1981م. (عرض وتحليل لجوانب المنهج الإسلامي في تربية الشبان).
18. مصطفى أمين، 1914م، القاهرة: مطبعة المعارف، 1925م. (تاريخ التربية).
19. مرسي محمد منير، القاهرة: عالم الكتب، 1993م. (تاريخ التربية في الشرق والغرب).
20. حنفي عوض، القاهرة: مكتبة وهبة، 1987م. (علم الاجتماع التربوي).

21. علـي عبـد الواحـد، القـاهرة: در النهضـة، مصـر، 1978م.
(عوامل التربية: بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي).
22. سميرة أحمد السيد، القاهرة: دار الفكر العربي، 1993م.
(علم اجتماع التربية).
23. البيلاوي حسن، شيل بدرات، الإسكندرية: دار المعارف، 2000م (علم اجتماع التربية المعاصر).
24. عبد الرحمن، عبد الله محمد، بيروت: دار المعارف الجميلة، 2000م. (علـم اجتمـاع التربيـة الحـديث) النشـأة التطوريـة والدراسات الميداينة الحديثة.

المراجع الأجنبية:

1. Ancient Egypt – maintained by the British Museum, this site provides a useful introduction to Ancient Egypt for older children and young adolescents
2. BBC History: Egyptians – provides a reliable general overview and further links
3. Texts from the Pyramid Age Door Nigel C. Strudwick, Ronald J. Leprohon, 2005, Brill Academic Publishers
4. Ancient Egyptian Science: A Source Book Door Marshall Clagett, 1989
5. Digital Egypt for Universities. Outstanding scholarly treatment with broad coverage and excellent cross references (internal and external). Artifacts used extensively to illustrate topics.
6. Ancient Egyptian Metallurgy A site that shows the history of Egyptianmetalworking

7. Aldred, Cyril (1988). Akhenaten, King of Egypt. London, England: Thames and Hudson. ISBN 0-500-05048-1.
8. Allen, James P. (2000). Middle Egyptian : An Introduction to the Language and Culture of Hieroglyphs. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 0-521-77483-7.
9. Badawy, Alexander (1968). A History of Egyptian Architecture. Vol III. Berkeley, California: University of California Press. ISBN 0-520-00057-9.
10. Billard, Jules B. (1978). Ancient Egypt: Discovering its Splendors. Washington D.C.: National Geographic Society.
11. Cerny, J (1975). Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-First Dynasty' in The Middle East and the Aegean Region c.1380–1000 BC. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 0-521-086914.
12. Clarke, Somers (1990). Ancient Egyptian Construction and Architecture. New York, New York: Dover Publications, Unabridged Dover reprint of Ancient Egyptian Masonry: The Building Craft originally published by Oxford University Press/Humphrey Milford, London, (1930). ISBN 0-486-26485-8.
13. Clayton, Peter A. (1994). Chronicle of the Pharaohs. London, England: Thames and Hudson. ISBN 0-500-05074-0.
14. Cline, Eric H.; O'Connor, David Kevin (2001). Amenhotep III: Perspectives on His

Reign. Ann Arbor, Michigan: University of Michigan Press, 273. ISBN 0-472-08833-5.

15. Dodson, Aidan (1991). Egyptian Rock Cut Tombs. Buckinghamshire, UK: Shire Publications Ltd. ISBN 0-7478-0128-2.
16. Dodson, Aidan (2004). The Complete Royal Families of Ancient Egypt. London, England: Thames & Hudson. ISBN 0500051283.
17. El-Daly, Okasha (2005). Egyptology: The Missing Millennium. London, England: UCL Press. ISBN 1-844-72062-4.
18. Filer, Joyce (1996). Disease. Austin, Texas: University of Texas Press. ISBN 0-292-72498-5.
19. Gardiner, Sir Alan (1957). Egyptian Grammar: Being an Introduction to the Study of Hieroglyphs. Oxford, England: Griffith Institute. ISBN 0-900416-35-1.
20. Hayes, W. C. (October 1964). "Most Ancient Egypt: Chapter III. The Neolithic and Chalcolithic Communities of Northern Egypt". JNES: 217–272.
21. Imhausen, Annette; Eleanor Robson, Joseph W. Dauben, Kim Plofker, J. Lennart Berggren, Victor J. Katz (2007). The Mathematics of Egypt, Mesopotamia, China, India, and Islam: A Sourcebook. Princeton: Princeton University Press. ISBN 0-691-11485-4.
22. James, T.G.H. (2005). The British Museum Concise Introduction to Ancient Egypt. Ann Arbor, Michigan: University of Michigan Press. ISBN 0-472-03137-6.

23. Kemp, Barry (1991). Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization. London, England: Routledge. ISBN 0415063469.

24. Lichtheim, Miriam (1975). Ancient Egyptian Literature, vol 1. London, England: University of California Press. ISBN 0-520-02899-6.

25. Lichtheim, Miriam (1980). Ancient Egyptian Literature, A Book of Readings. Vol III: The Late Period. Berkeley, California: University of California Press. ISBN 0-520-24844-1.

26. Loprieno, Antonio (1995a). Ancient Egyptian: A linguistic introduction. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 0-521-44849-2.

27. Loprieno, Antonio (1995b), "Ancient Egyptian and other Afroasiatic Languages", in Sasson, J. M., Civilizations of the Ancient Near East, **4**, New York, New York: Charles Scribner, pp. 2137–2150, ISBN 1-565-63607-4

28. Loprieno, Antonio (2004), "Ancient Egyptian and Coptic", in Woodward, Roger D.,The Cambridge Encyclopedia of the World's Ancient Languages, Cambridge, UK: Cambridge University Press, pp. 160–192, ISBN 0-52-156256-2

29. Lucas, Alfred (1962). Ancient Egyptian Materials and Industries, 4th Ed.. London, England: Edward Arnold Publishers. ISBN 1854170465.

30. Mallory-Greenough, Leanne M. (2002). "The Geographical, Spatial, and Temporal Distribution of Predynastic and First Dynasty Basalt Vessels". The Journal of Egyptian Archaeology **88**: 67–93. London, England: Egypt Exploration Society.

31. Manuelian, Peter Der (1998). Egypt: The World of the Pharaohs. Bonner Straße, Cologne Germany: Könemann Verlagsgesellschaft mbH. ISBN 3-89508-913-3.

32. McDowell, A. G. (1999). Village life in ancient Egypt: laundry lists and love songs. Oxford, England: Oxford University Press. ISBN 0-19-814998-0.

33. Meskell, Lynn. Object Worlds in Ancient Egypt: Material Biographies Past and Present (Materializing Culture). Oxford, England: Berg Publishers. ISBN 1-85973-867-2.

34. Midant-Reynes, Béatrix (2000). The Prehistory of Egypt: From the First Egyptians to the First Pharaohs. Oxford, England: Blackwell Publishers. ISBN 0-631-21787-8.

35. Nicholson, Paul T. et al. (2000). Ancient Egyptian Materials and Technology. Cambridge, UK: Cambridge University Press. ISBN 0521452570.

36. Oakes, Lorna (2003). Ancient Egypt: An Illustrated Reference to the Myths, Religions, Pyramids and Temples of the Land of the Pharaohs. New York, New York: Barnes & Noble. ISBN 0-7607-4943-4.

الفهـــرس

تم بحمد الله

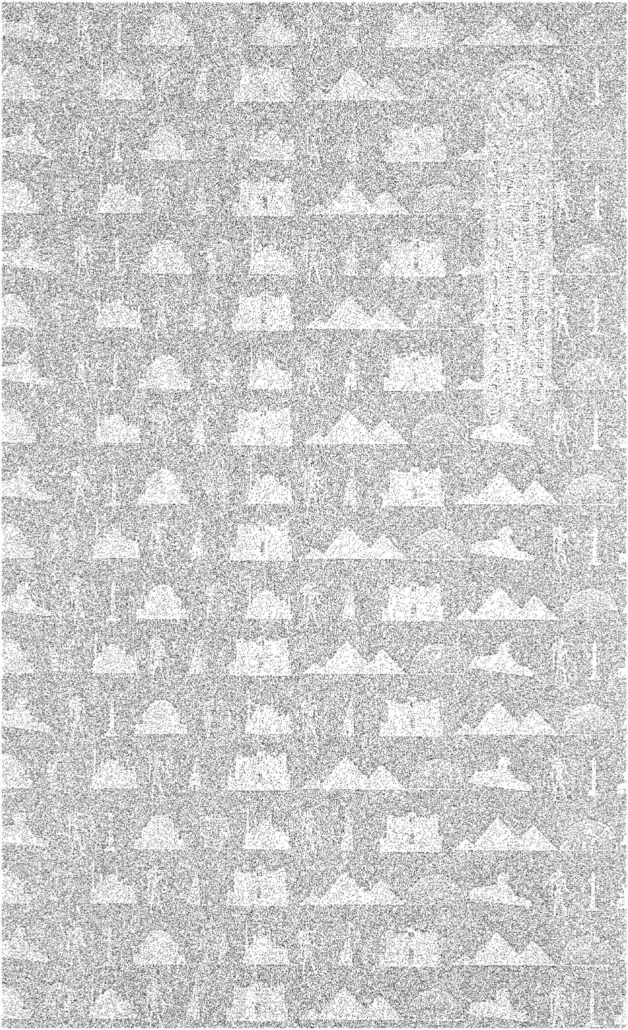
رقم الإيـــداع : 2014/3460

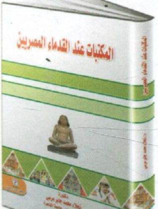
الترقيم الدولي : 7-102-735-977-978

مـع تحـيات

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: 5404480 - الإسكندرية







الناشر
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
٥٩ ش محمود صدقى متفرع من العيسوى سيدى بشر - الإسكندرية
تليفاكس : ٥٤٠٤٤٨٠ / ٠٠٢٠٣ - الاسكندرية

ISBN: 977 - 735 - 102 - 7
9 789777 351027